الدكتور محمد يوسف النجرامي

الشيعة في الميزان

١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م

الشيعة في الميزان

بأنني أنا الدكتور محمد يوسف نجرامي مؤلف الكتاب
أفوض شعيب محمد أحمد حسين لترجمة كتابي
في اللغات العالمية ونشره

مؤلف الكتاب
محمد يوسف النجرامي
تحريراً في ١٠/٧/[illegible]م

تأليف

الدكتور محمد يُوسُف النجرامي

١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إن الموضوع الذى نتناوله فى كتابنا هذا ليس جديدا ، بل إنه كان محل الاهتمام والعناية من قبل الباحثين والدراسين منذ زمن بعيد نظراً لخطورة حركة الشيعة فى تاريخنا الإسلامى ، ولكن حركة الشيعة فى عصرنا اليوم قد أخذت لونا جديداً بعد أن تولى الإمام الخمينى قبضة الحكم فى إيران مدعية بأنها تمثل الإسلام الحقيقى وهى رمزٌ للوحدة الإسلامية وأنها حركة لا شيعية ولاسنية بل إنها إسلامية كما تدعى حكومة الإمام الخمينى عن طريق سفاراتها فى بلدان العالم وبالوسائل الإعلامية الأخرى .

ومن هنا : إن بعض الجماعات الإسلامية فى العالم الإسلامى قد وقعت فريسة لتلك النعرات البراقة والشعارات الجذابة التى روجتها أجهزة الإعلام الإيرانية .

ولكنه لم يمض وقتٌ طويلٌ حتى انكشف للعالم حقيقة نوايا الثورة ورجالها حيث إنهم غير مختلفين عن أسلافهم على الإطلاق فى حقدهم وضغينتهم على أصحاب النبى ﷺ بصفة عامة وعلى الشيخين رضوان الله عليهما بصفة خاصة حيث يقول الإمام الخمينى فى إحدى خطبه يوم الجمعة بمدينة « قم » : « إن أصحاب النبى ﷺ لم يقوموا بتقديم التضحيات مثل ماقام بها الجيش الإيرانى ويرى الإمام الخمينى بأن أصحابه كانوا يتخلفون عن اشتراكهم فى الغزوات التى كان يريد بها النبى ، وكانوا يقدمون لتخلفهم مبررات واهية ولكن الجيش الإيرانى رهين لإشارتى » [1] .

فإن الإمام الخمينى لم يكتف بهذا فحسب بل إنه اتهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتهمة الكفر وأخرجه عن دائرة الإسلام كما جاء فى كتابه بعنوان : « كشف الأسرار » [2] باللغة الفارسية .

---

(١) جريدة « جنك» باللغة الأردية الصادرة من كراتشى (باكستان) فى نوفمبر لعام ١٩٨٢ م .

(٢) كشف الأسرار ص ١١٩ .

وأما موقف حكومة الإمام الخمينى من السنيين فأقدم هنا تقريراً وضعته « اللجنة الإسلامية العالمية » التى زارت « طهران » فى ٢٨ ديسمبر لعام ١٩٨٢ م وقامت بدراسة أوضاع السنيين الذين يعيشون فى داخل إيران ، وهذا التقرير يوضح حقيقة النعرات الجوفاء ، والشعارات الفارغة التى أطلقها زعماء الثورة الإيرانية عند توليتهم زمام الحكم فى إيران من ناحية ومن ناحية أخرى يكشف حقد الآيات على أهل السنة والجماعة ، حيث إنهم فرضوا عليهم الإرهاب بالحديد « والنار » وهذا مايلى نص التقرير :

« إن السنين غير مسموح لهم أن يقيموا مسجدا علماً بأن عددهم لا يقل عن خمسمائة ألف نسمة فى مدينة طهران فقط ، بينما توجد ١٢ كنيسة للمسحيين ومعبدان لليهود ، ونفس العدد مخصص للمجوس ، والهندوس ، وإن السنيين غير مسموح لهم أن يصلوا صلاة العيد وإن الحكومة تفرض فى نفس اليوم حراسة مشددة من قبل القوات المسلحة بينما كان لهم الحق فى أداء صلاة العيد فى عهد الشاه فى إحدى حديقة من حدائق طهران ، وعليهم أن يصلوا صلاة الجمعة فى ميدان جامعة طهران خلف الإمام الشيعى أو فى السفارة الباكستانية فى طهران ، وغير مسموح لهم لإقامة حفلة دينية أو تشكيل حزب دينى وإن الحكومة قامت بإلقاء القبض على الشيخ عبد العزيز خريج من جامعة ديوبند (الهند) قبل بضعة أيام على أساس أنه قام بتشكيل لجنة لأهل السنة والجماعة التى كانت تهدف لرعاية السنيين فى شئون دينهم . وكذلك إنهم محرومون من طباعة كتبهم الدينية فى إيران رغم أنهم كانوا يطلبون كتبهم الدينية من باكستان فى عهد الشاه .

ولكن الحكومة الحالية فرضت قيوداً مشددة بهذا الشأن ولا يوجد للسنين أى تمثيل فى الجهاز التنفيذى أو القضائى للدولة .

وتبلغ نسبة عدد السنيين فى ولاية « زهدان » حوالى ٩٥٪ ، ولكن ليس لهم الحق ان يلحقوا فى سلك التدريس إلا قليلاً وعلى سبيل المثال أن عدد المدرسين فى المدارس الرسمية فى ولاية زهدان حوالى خمسمائة من المدرسين ولا يوجد من بينهم إلا ٢٤ مدرساً من السنيين وإن هذا الإجراء يساعد على تحويل معتقدات أطفال السنيين إلى معتقدات الشيعة بسهولة .

كما ترى الحكومة بالإضافة إلى ذلك أن المنهج التعليمى فى المدارس الرسيمة هو على المذهب « الشيعى » (١) .

إن الإجراءات الصارمة التى اتخذتها حكومة الإمام الخمينى ضد أهل السنة والجماعة ، فإنها ليست غريبة عليهم حيث إن التاريخ يشهد بأن الشيعة كانوا وراء تلك النكسات والنكبات التى تعرضت لها الأمة الإسلامية على مر التاريخ .

إن استشهاد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان والحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ليس إلا حلقة من المؤامرات التى دبرها اليهود والمجوس ضد الإسلام ، والتنافر الشديد بين الأمويين والعباسيين ليس إلا نتيجة الدسائس والوشايات التى عملها الشيعة .

وإن بربرية الزنج والقرامطة ضد المسلمين كانت لا تهدف إلا على القضاء على الإسلام وغارة التتار على بغداد ودور ابن العلقمى الشيعى فيها ليس إلا مظهراً من مظاهر الحقد الذى يضمره الشيعة للإسلام .

وإن الحروب الصليبية التى قام بها الصليبيون ضد الأمة الإسلامية ليست إلا حلقة من الحلقات المدبرة التى دبرها الشيعة ضد الإسلام والمسلمين ، كما يذكر ابن الأثير وغيره من المؤرخين ، وإقامة الدولة الفاطمية فى مصر ومحاولتها تشويه صور السنيين وإنزالها العقاب على كل شخص ينكر معتقدات الشيعة ، وقتل الملك النادر فى دلهى من قبل الحاكم الشيعى آصف خان على رءوس الأشهاد ، وإراقة دماء السنيين فى ملتان من قِبَل الوالى أبى الفتح داود الشيعى ومذبحة جماعية للسنيين فى مدينة لكناؤ (الهند) وضواحيها من قِبَل أمراء الشيعة على أساس عدم تمسكهم بمعتقدات الشيعة بشأن سب الخلفاء الثلاثة رضى الله عَنهم عندهم ، وقيام ارتكاب المير صادق جريمة الخيانة والغدر فى حق السلطان (تيبو) وطعن الميرجعفر الشيعى وراء ظهر الأمير سراج الدولة وانفصال الباكستان الشرقى عن الإقليم الغربى ، حيث إنها أصبحت دولة صغيرة بعد أن كانت تعدّ أكبر دولة إسلامية فى العالم ، ومأساة استسلام تسعين ألف جندى من الجيش الباكستانى أمام الجيش الهندى الذى لا نظير له فى التاريخ الإسلامى كله ، ذلك بسبب خيانة الرئيس الباكستانى الأسبق يحيى خان الشيعى .

---

(١) مجلة « نئى دنيا » باللغة الأردية الصادرة من دلهى الهند فى ١٤ أبريل لعام ١٩٨٤ م .

إن هذه الوقائع كلها مدونة فى التاريخ ولكن هل أخذنا منها درساً ؟ وهل راجعنا نفوسنا وضمائرنا ؟ وهل درسنا الأسباب والعلل التى أزالت مجدنا وكرامتنا ؟ وهل حاولنا أن نعرف من هم كانوا وراء النكسات والنكبات التى تعرضت لها الأمة الإسلامية فى حقبة من التاريخ .

معذرة ياأخىُ المسلم لانجد لهذا السؤال إجابة إلا بالنفى بدليل عندما تولّى « الآيات » الحكم فى إيران ، وعملت أجهزتهم الإعلامية الدعاية المكثفة لإسلاميتهم التى أدت فى واقع الأمر إلى شلّ جهاز الفهم والإدراك عند البعض وفقد الوعى عند البعض الآخر بطريقة مذهلة كما يتضح من قول قائل : « إن الإمام الخمينى يقوم بالإنجازات التى لم يقم بها محمد ﷺ » .

وإن الكتاب الذى بين أيدينا ليس إلا نتيجة عن خلجات النفس ، ودقات القلب التى كان يشعر بها الكاتب عندما لاحظ بأن دعاية أجهزة الإعلام الإيرانية قد اختلت موازين الحكم ، وزعزعت القيم والأخلاق ، وطمست الحقائق حيث أصبح الحق باطلاً والباطل حقاً وإن المذهب الذى أنشىء أساساً لتقويض الإسلام من جذوره يدعى : إنه يمثل الإسلام الحقيقى ووقعت فريسة لها بعض الدول العربية والإسلامية حيث إنها مدت يد التعاون مع النظام الحكم فى « طهران » وطار بعض زعماء السياسيين والدينيين إلى طهران مهنئين لقيام الثورة ، وآمنت بعض الجماعات الإسلامية فى العالم الإسلامى بشخصية الإمام الخمينى ، وأبدت ولاءها له بدون تحفظ .

وكما شاهد الكاتب الإقبال الشديد من قِبل بعض المثقفين على الثورة الإيرانية وغلوّهم الشديد فى مدح الإمام الخمينى حيث صار معجزة القرن لديهم ، وفى نفس الوقت تجاهلهم التاريخ تحت تأثير الشعارات والنعرات التى أطلقها « الآيات » من بداية أمرهم .

ولكن هذه الدعاية التى عملتها أجهزة الإعلام الإيرانية ليس معناها أن نغفل عن الحقائق ونلقى ستاراً مظلماً على المجازر الرهيبة وحمامات الدم والكوارث والنكبات التى تعرضت لها الأمة الإسلامية على مر التاريخ ، ودور الشيعة فيها لا يخفى على كل من له إلمام بالتاريخ .

والكتاب لا يتحدث إلا عن الحقائق الثابتة حول الشيعة معتمداً على كتبهم الموثوقة ومراجعهم المستندة كما سيرى القارئ .

وأخيراً أسجل شكرى لكل من أعاننى فى إخراج هذا الكتاب إلى الوجود وأخص بالذكر الأخ (عبد الأحد عبد الماجد الندوى) الذى تولى تبييض مسودّة الكتاب ، وكما لا يمكن أن أنسى معاونة الأستاذ (راشد عبد الله) الذى جاء أجله المحتوم وهو كان فى عنفوان شبابه ، حيث إن المرحوم قد أمدّنى بمراجع قيمة من باكستان حول الموضوع وأدعو الله له أن يسكنه فى فسيح جناته .

وأسأل الله العلى القدير ألا يحرمنى ثواب هذا العمل ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وذخرًا لى فى يوم الدين آمين .

الدكتور محمد يوسف النجرامى

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

« موقف اليهود من الإسلام إبان ظهوره »

إن الإسلام قد حقق انتصارات ساحقة من أول يومه بسبب مبادئه العظيمة ، ومن ثم فإنه قد نال ترحيباً حارًا لأن الإنسانية فى ذلك الوقت كانت تعانى من التمزق النفسى والخُلقى وتجهل قِيمَ الأخلاق والحياة ، وإنها كانت فى حاجة ماسة إلى النظام الذى يخلّص البشرية من الفساد والفوضى ، وينقذها من عبودية الإنس إلى عبودية الله ، ويخرجها من الظلمات إلى النور ، وبالتالى ينظم الحياة على الفطرة .

وعند ماظهر الإسلام على يد نبينا العظيم (محمد ﷺ) وجد المتعطشون مايروى عطشهم نحو المساواة ، والعدل ، والكرم ، والعفو ، والتسامح والذى قد قدم أمام العالم نظاما متكاملا الذى يحدد علاقة الفرد بالجماعة ، وعلاقة الحاكم بالمحكومين ، ويضع قواعد المعاملات ، وسياسة المال والاقتصاد ، وعلاقة الأمة الإسلامية لغيرها من الأمم فى حالَىْ الحرب والسلم ، هذا إلىٰ بيان الحدود والحقوق والواجبات ونظام الأسرة وكيفية بنائها وعلاقة أفرادها بعضهم ببعض كما عرف الناس تفاصيل العبادات ، وما لله فى أعناقهم من حقوق . هذا هو السر الذى ساعد فى نشر الإسلام .

ويروى التاريخ فى نفس الوقت أن الدعوة الإسلامية قد تعرضت إبان ظهورها للفتن والمحن والمؤامرات التى لا حصر لها وإنه يشهد بأن النبى ﷺ وأصحابه قد لاقوا مصائب جمّة فى مكة المكرمة .

وعندما بلغ إيذاء المشركين للنبى ﷺ وللصحابة ذروته ، أذن الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه الكريم وأصحابه فى الهجرة إلى المدينة المنورة ، وذلك لقيام نظام من نوعه الفريد الذى كان ﷺ راغباً أن يقوم به وإن الأنصار والمهاجرين كانوا عضدًا لرسولهم الكريم فى سبيل إقامة ذلك النظام ، وتوطيد بنيانه والذى كان موفقًا كل التوفيق بعون الله سبحانه وتعالى .

ولكن الإسلام تعرض هناك لخطرين : أولا : النفاق الذى كان لا وجود له بمكة المكرمة ، حيث كان الإسلام هناك مغلوب الحال وإن النفاق يحتاج فى ظهوره إلىٰ قوتين متساويتين ، ووضع المسلمين بمكة المكرمة كان يختلف عن المشركين فى القوة والقرآن قد يصور وضع المسلمين لتلك الفترة تصويراً دقيقاً فى هذه الآية : ﴿ واذكروا إذ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُم وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[الأنفال : ٢٦] .

ونقل الإسلام إلى المدينة المنورة كان كفيلا لنجاحه ، لذلك فإنه تعرض لأخطار المنافقين منذ فجره .

وإن النفاق كما ذكرتُ يحتاج فى ظهوره إلى قوتين متساويتين أو الحزب المعارض الذى يتنافس السلطة ، ومن خلال هذا المنطلق نلاحظ بالمدينة المنورة بظهور جماعة التى تحمل صفات غريبة ، وهى عبارة عن المكر والحقد وعدم الثبات فى الموقف ، والطعن وراء الظهر واستغلال العنصر الغالب ، واستخدامه لجلب المنفعة المؤقتة ، والقرآن يصف حال تلك الجماعة فى هذه الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ [الحج : ١١] .

وفى آية أخرى : ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَإِلَىٰ هٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هٰؤُلَاءِ ﴾
[النساء : ١٤٣] .

وكان يترأس جماعة المنافقين عبد الله بن أُبَىّ بن أبى سلول الذى لعب دوراً كبيراً فى تحطيم الإسلام بعد أن استقر بالمدينة المنورة ، وكان معروفا هناك قبل دخول الإسلام إليها وإن أهاليها قد كانوا معترفين بسيادته بعد حرب (بعاث) وإن قبيلتى الأوس والخزرج لا تقران أى سلطان عليهما إلا سلطة عبد الله بن أُبَىّ بن أبى سلول الذى أحسّ بأن قدوم النبى ﷺ إلى المدينة المنورة خطر عليه ، ولاحظ بأن سلطته لن تدوم ، بل إنها تفلت من يديه .

ومن هنا فقد دخل فى الإسلام متنكراً مع حقده وضغينته التى كان يضمرها للإسلام وأهله وأعمال عبد الله بن أبىّ التى قام بها مليئة بها كتب السيرة والتاريخ حيث

إنه وجماعته قد قاموا بتوجيه التهمة إلى السيدة عائشة رضى الله عنها عند رجوع المسلمين من غزوة بنى المصطلق ، ولكن الله قد أنزل بعض الآيات لتفنيد هذه التهمة .

وكذلك دبروا للقضاء على محمد ﷺ عند عودته من غزوة تبوك ، ولكن الرحمة الإلٰهية قد أنقذته من تلك المؤامرة ، وإن مسجد الضرار الذى أقاموا بنيانه كان يرمز إلى سوء نيتهم ، حيث إنهم لا يهدفون منه إلا تشتيت وحدة المسلمين .

إن أعمال المنافقين مسطرة فى كتب السيرة والتاريخ وهذه بعض ماسلف ذكرها موجزا .

وأما الخطر الثانى الذى تعرض له الإسلام فهو من قِبَل اليهود رغم أن النبى ﷺ عندما قدم المدينة المنورة أقام معاهدة التعاون بين المسلمين وغير المسلمين .

كان سكان المدينة بعد الهجرة ثلاث طوائف هم المسلمون ، واليهود (بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع) والعرب الذين لم يدخلوا الإسلام وقد أراد الرسول ﷺ أن يخلق جوًّا للتعاون والتسامح بين هذه الطوائف فعقد معاهدة بين المسلمين وغيرهم .

وقد أورد ابن هشام نص هذه المعاهدة وخلاصتها :-

(١) إن للجماعة شخصية دينية وسياسية ، ومن حق الجماعة أن تعاقب المفسد وأن تؤمن المطيع .

(٢) إن الحرية الدينية مكفولة للجميع .

(٣) على سكان المدينة من المسلمين وغيرهم أن يتعاونوا ماديًّا وأدبيًّا ، وعليهم أن يردوا متساندين أىَّ اعتداء قد يوجه لمدينتهم .

(٤) الرسول هو الرئيس العام لسكان المدينة ، وتعرض عليه القضايا الكبرى وصور الخلاف بين طائفة وأخرى ليفصل فيها [١] .

وذكر ابن إسحاق فى كتابه صفحة كاملة تتضمن ما جاء فى تلك المعاهدة ، ومن أهمها هو بقاء اليهود على دينهم ، وعدم التعرض لأموالهم ، ولا ممتلكاتهم [٢] .

---

(١) ابن هشام : ج ٢ ص ١٦ ، ١٧ .

(٢) ابن إسحاق .

إن التاريخ يشير بأن اليهود لم يكونوا مخلصين فى العهد ، ولم يدخلوا فى هذا عهدهم إلا ريثما يجدون لأنفسهم طريقاً آخر ، فقد أحسوا منذ اللحظة الأولى أن الدين الجديد ينتزع منهم القيادة وزاد حقد اليهود حينما رأوا دين محمد ينمو نمواً واسعاً فى أقصر مدة عرفها التاريخ ، فاليهود يعرفون كيف تعثرت اليهودية ، وكيف حوربت المسيحية عدة قرون ، ولكن انتصار محمد بدأ يتحقق فى حياته وبعد سنين قليلة من بدء دعوته وبخاصة عندما تمت الهجرة وظهر الطريق ممهداً للنجاح الكامل ، ومن ثم فإنهم قاموا بنقض العهد الذى قد عهدوه مع النبى ﷺ .

إن التاريخ يروى بأن أول من نكث العهد كان (بنو قينقاع) أكثر اليهود سخطا وغيظاً على انتصار المسلمين فى غزوة بدر .

وحدث أن ذهبت امرأة من الأنصار إلى سوق الصاغة حيث يكثر اليهود فتسلل خلفها رجل يهودى وهى جالسة وعقد طرف ثوبها إلى أعلاه فلما وقفت المرأة تكشف ظهرها فتضاحك اليهود ، وصرخت المرأة شاكية ، فوثب رجل من المسلمين على اليهودى فقتله ، وشدَّ اليهود على المسلم فصرعوه وأعلنوا نبذهم للعهد واستعدوا للحرب (١) .

ولما كلمهم الرسول فى ذلك وأنذرهم قالوا له فى استهتار ظاهر :

يامحمد إنك تحسب أننا كقومك ؟! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، إننا والله لئن حاربتنا لتعلمن أننا الناس ، وكان هذا تهديداً ظاهرا وإنذاراً بخيانة جسيمة .

ونزل بعد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

ويروى أن الرسول ﷺ قال عندما نزلت هذه الآية : إنى أخاف خيانة بنى قينقاع وخرج الرسول ﷺ فى جمع من أصحابه وحاصر دورهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم الرسول ﷺ (٢) .

---

(١) ابن الأثير ج ٢ ص ٥٦ .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٢٠ ، وأصح السير ص ٧١ أبو البركات عبد الرءوف باللغة الأردية .

يرى ابن عباس ، رضى الله عنه ، بأن الآية : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المهاد * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [آل عمران : ١٢ ، ١٣] نزلت فى هذا الشأن .

ثم إن بنى النضير قد قاموا بما قام به بنو قينقاع وهو أنهم نكثوا العهد . يقول الإمام البخارى نقلا عن الإمام الزهرى بأن هذه الحادثة قد وقعت بعد ستة أشهر من غزوة بدر ، ويروى ابن إسحاق بوقوعها بعد غزوة أحد الرأى الأخير هو الأرجح عند المؤرخين وأورد ابن هشام فى كتابه تفصيلا كاملا بخصوص نقض الحلف الذى أقامه بنو النضير مع المسلمين وإن الحلف كان يقضى بالتعاون بين الفريقين عند الحاجة .

وحدث أن قتل أحد المسلمين رجلين خطأً فوجب على المسلمين أن يدفعوا الدية عنهما ، ورأى الرسول ﷺ أن يسأل بنى النضير أن يسهموا فى دفع هذه الدية عملا بالحلف السابق فذهب بنفسه إلى الحى الذى يسكنون فيه وذكر لهم الخبر فقالوا له : « نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه » وطلبوا منه الجلوس ريثما يدبرون له المال الذى طلبه فجلس الرسول بجانب جدار ومعه من أصحابه : أبو بكر ، وعمر ، وعلى رضوان الله عليهم أجمعين .

وذهب اليهود ليفكروا فيما يدفعون من المال ، ولكن سرعان ماهتف واحد منهم : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه .

وقال آخر : من منا يعلو هذا الجدار فيلقى عليه حجراً فيريحَنا منه .

قال عمرو بن جحاش : أنا لذلك .

وصعد عمرو ولكن سُرعان ما أوحى الله لمحمد أن اليهود يأتمرون به ليقتلوه وطلب منه الانسحاب فى صمت وانسحب الرسول ﷺ ، وأخبر أصحابه بالمؤامرة الخبيثة ، وتشاور معهم حول العمل الشنيع المدبر من قِبَل اليهود ، وأخيراً أدرك المسلمون بأن وجود بنى النضير بين المسلمين لا يصلح نظراً للأمن الداخلى ، ولذلك أرسل إليهم إنذاراً لإجلائهم عن المدينة المنورة فى خلال عشرة أيام ، ولكنهم رفضوا هذا الإنذار بمساندة عبد الله بن أُبىّ بن سلول الذى أعطاهم الوعد بمساعدتهم ضد المسلمين .

ومن ثم فإن النبى ﷺ حاصرهم مع أصحابه لمدة ستة أيام ثم ألقى الله فى قلوبهم الرعب ، فطلبوا من الرسول ﷺ أن يسمح لهم بالخروج من المدينة ومعهم ماتحمل الإبل إلا الدروع (١) .

فقبل الرسول منهم ذلك وخرجوا حيث نزل بعضهم خيبر ، وآخرون بالشام (٢) وإن قبيلة بنى قريظة معروفة فى اتخاذ موقفها العدائى نحو الإسلام ، أكثر من أى قبيلة من اليهود ، وإنها كانت خطراً كبيراً على الإسلام ، بسبب سياستها التى كانت تقوم على المكر والنفاق .

ومن ثم فإنها قامت بكل مافى وسعها للقضاء على الإسلام ، ولكن الحكمة الإلهية قد جعلت النصر حليفاً للمسلمين .

يحدثنا التاريخ بأن بعض كبار اليهود قاموا بزيارة لمكة وضواحيها ، لتحريش المشركين ضد النبى ﷺ وأصحابه ، وعرضوا عليهم خطة للقضاء على الإسلام ، ونالت الخطة ترحيباً لدى المشركين ، حيث لاحظوا فيها تحقيق آمالهم ، ولذلك أبدوا استعدادهم للزحف على المدينة المنورة بالتعاون مع غطفان وقريش وغيرهما من القبائل الأخرى ، وعندما اطلع النبى ﷺ على تلك الخطة المدمرة قرر الدفاع عن المسلمين وذلك بحفر الخندق حول المدينة المنورة وكان النبى ﷺ يردد هذه الكلمات : « اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر « للأنصار والمهاجرين » وإن أصحابه كانوا يردون عليه نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدًا (٣) .

والواقع أن المسلمين قد وقفوا موقفاً مشرفا مع النبى ﷺ وذلك أمام الجيش الكبير ، المكون من عشرة آلاف مقاتل بقيادة أبى سفيان بن حرب ، وفى نفس تلك اللحظة المحرجة غدرت بنو قريظة وجد المسلمون أنفسهم محاطين بالأعداء وقد صور القرآن حالة المسلمين أدق تصوير « فقال » ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم وَمِنْ أَسْفَلَ منكم وإذ زاغت الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾ [سورة الأحزاب : الآيتان ١٠ ، ١١] .

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ١٧٨ .

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٧٨ .

(٣) صحيح البخارى – كتاب المغازى – باب غزوة الخندق .

ولما سمع الرسول ﷺ بغدر بنى قريظة أرسل لهم سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وقابلا ليريا الأمر وليمنعا بنى قريظة عن هذا « الغدر » فذهب سيد الأوس والخزرج وقابلا كعب بن أسد وسألاه وحذراه فسخر منهما وأظهر لهما الخشونة والبغى (١) .

وانتهت غزوة الأحزاب وعاد المهاجمون دون أن يجنوا شيئاً ، فأحاط المسلمون بمساكن بنى قريظة وشددوا عليهم الحصار نتيجة لغدرهم ونكث عهدهم واستمر الحصار خمسة وعشرين يوماً وعرض عليهم المسلمون أن يدخلوا الإسلام فيأمنوا على دمائهم وأموالهم وأبنائهم فأبوا (٢) .

ورضوا أن يسلموا بما يحكم به سعد بن معاذ فى أمرهم وجىء بسعد فسلم له المسلمون واليهود زمام القضية .

وحكم سعد بن معاذ رضى الله عنه بأن هذه الخيانة العظمى تقتضى القتل ، ومن ثم فإنه حكم بقتل الرجال وسبى النساء والأطفال وكان ذلك فى العام ... للهجرة إثر غزوة الأحزاب ، وبقى هناك من اليهود من خيبر التى قد اتخذوها مقرًّا لهم بعد أن تم إجلاؤهم من المدينة المنورة نتيجة لغدرهم ومكرهم .

ومن هنا قرر اليهود الانتقام من المسلمين وحشدوا جميع الطاقات البشرية والمادية ضد الإسلام وأهله وقاموا بإرسال وفد مكوَّن من كبار اليهود إلى مكة المكرمة لطلب العون منهم ومن ناحية أخرى كانوا على اتصال مستمر مع المنافقين الموجودين بالمدينة المنورة الذين كانوا مكلفين من قِبَلهم بالتجسس على المسلمين .

والواقع أن هذا الوضع كان خطيراً على المسلمين الذى يهدد كيانهم ، ولذلك فإن النبى ﷺ أعدّ جيشا للقضاء على هذا الخطر المرتقب حيث إن اليهود قد قاموا بإنشاء مجموعة من الحصون فى منطقة خيبر تمهيداً لشن هجوم شامل على المسلمين ولكن هذه الحصون قد تم سقوطها بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه الذى جعله

---

(١) ابن هشام : ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) تاريخ العرب : فليب حتى .

النبى ﷺ قائداً للجيش المكلف لتصفية حصون اليهود فى المنطقة المذكورة ، ولم يجد اليهود بدًّا من أن يستسلموا واتفق معهم المسلمون اتفاقاً سمحاً مرة أخرى ، فقد تركهم الرسول ﷺ يزرعون الأرض التى أصبحت مِلكاً للمسلمين بحكم الفتح وأصبح لليهود شطراً لزرع الثمار نظير عملهم [١] .

كما صار للمسلمين الإشراف على اليهود حتى لا يعودوا إلى ألوان الغدر مرة أخرى .

يروى التاريخ بأن اليهود الذين كانوا موجودين فى الجزيرة العربية ، أو خارجها ، لم يكونوا راضين عن هذا الوضع الذى تم بينهم وبين المسلمين ، وقد اعتبروه إهانة لهم لأنه يمس كرامتهم وشرفهم ، هذا بالإضافة إلى أنه معارض لنظريتهم الخاصة التى تدور حول شعبهم المختار .

ومن هنا كانوا ينتهزون الفرصة لكى يأخذوا بثأرهم من المسلمين ولكنهم فشلوا فى مخططاتهم ومؤامراتهم ضد الإسلام وأهله ، حيث إن الإسلام قد استقر بنيانه فى أيام النبى ﷺ .

* * *

---

(١) ابن هشام : ج ٢ ص ٢٣٩ .

مرض النبى ﷺ ووفاتـــه

بعد حجة الوداع بحوالى ثلاثةَ شهور ، مرض النبى ﷺ بالحمى ، واشتد عليه المرض ، فلم يستطع أن يخرج للصلاة بالناس ، فأمر أبا بكر أن يصلى بهم ، وقبل وفاته بثلاثة أيام طلب النبى ﷺ الصحيفة والقلم وهو فى شدة مرضه لكتابة وصية ينقذ بها الأمة من الضلال ، كما جاء فى البخارى عن طريق عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، قال : « لما اشتد بالنبى ﷺ وجعه قال : ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده . قال عمر إن النبى ﷺ غلب الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ؛ فاختلفوا وكثر اللغط قال : قوموا عنى ولاينبغى عندى التنازع » [١] .

يتضح من الرواية المذكورة بأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان ضمن الحاضرين والذى رأى بأن النبى ﷺ يتحدث من شدة الوجع والقرآن كاف لإنقاذنا .

والواقع أن الرواية الموضحة ليست خالية من الغرابة حيث إن النبى ﷺ يطلب القلم والصحيفة لكتابة الوثيقة لإنقاذ الأمة من الضلال بعده فكيف عمر بن الخطاب رضى الله عنه يرد عليه قائلا : إن القرآن يكفينا ؟ وقبل أن نبدأ الدراسة حول الرواية المذكورة ، من الأفضل أن نضع أمامنا هذه الحقائق التالية :

(١) استمر مرض النبى ﷺ حوالى ثلاثة عشر يوما .

(٢) إن النبى ﷺ قد قام بطلب القلم والصحيفة يوم الخميس كما يتضح من الروايات التى وردت فى البخارى ومسلم وإنه انتقل إلى جوار ربه يوم الإثنين فمن الذى منعه أن يكتب الوصية خلال هذه الأيام التى سبقت وفاته ؟ .

(٣) لم ترد أى رواية طوال مرضه ﷺ حول اختلال ذهنه من شدة المرض أو الوجع .

(٤) طلب النبى ﷺ القلم والصحيفة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولكن الرواية المذكورة لم ترد إلا عن طريق عبد الله بن عباس رضى الله عنه .

---

(١) فتح البارى : ج ١ ص ١٦٨ . للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلانى .

(٥) إن الراوى لم يكن حاضراً فى ذلك الوقت عند النبى ﷺ بل إنه نقلها عن شخص آخر [١] .

وجدير بالذكر أن النبى ﷺ عاش أربعة أيام بعد طلبه القلم والصحيفة ، حتى تحسنت صحته ، وظن الناس بأنه قد تم شفاؤه من المرض ، ومن ثم فإن أبا بكر رضى الله عنه قصد إلى داره التى تقع بعيداً عن المسجد النبوى ، إن هذا الأمر يوحى بأن النبى ﷺ كانت لديه فرصة للقيام بما كان يراه من الوصية والنصيحة للأمة .

ومن هنا أبدى بعض الباحثين شكوكهم حول صحة دارية الرواية السابقة [٢] .

وبالإضافة إلى ذلك لو قبلنا صحة دارية الرواية المذكورة فإن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان من باب العطف على النبى ﷺ حيث إنه كان راغبا فى ألَّا يجهد النبى ﷺ نفسه وهو يعانى من شدة الوجع ، هذا يدل على حبه العميق وإخلاصه العظيم للنبى ﷺ وهناك رواية أوردها ابن كثير نقلا عن الموطأ بأن آخر الكلمات التى قالها النبى ﷺ هى : « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان على أرض العرب » [٣] .

وأضاف البيهقى هذه العبارة : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » من ضمن الكلمات التى كان يرددها النبى ﷺ قبل وفاته ، ويقول على بن أبى طالب رضى الله عنه بأن النبى ﷺ قد أكد على الصلاة والزكاة وحسن المعاملة مع الرقيق فى آخر مرضه [٤] .

ومن ثم فهناك رأى من باب الاحتمال وليس من باب الجزم ، بأن طلب النبى ﷺ القلم والصحيفة لكتابة تلك الكلمات التى كان يرددها فى آخر حياته .

خلاصة القول أن مرض النبى ﷺ لم يطل وإنه انتقل بجوار ربه يوم الأثنين الثانى عشر من ربيع الأول سنة ١١ هـ وكان فى الثالثة والستين من عمره .

---

(١) فتح البارى : ج ١ ص ١٦٩ . للإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى .

(٢) الفاروق : ص ٥١ . شبلى النعمانى – الأردية .

(٣) ابن كثير : ج ٤ ص ٤٧١ .

(٤) ابن كثير : ج ٤ ص ٤٧٣ .

خلافة أبى بكر رضى الله عنه

توفى النبى ﷺ ولم يترك لأمته نظاما معينا للحكم ، ولا نصا صريحاً لمن يتولى الأمر بعد ذلك لاقتضاء الحكمة الإلهٰية ، ويعجبنى فى هذا الصدد كلام الأستاذ محمد حسين زيدان ردا على ماقاله الدكتور أحمد أمين فى إحدى مقالاته : « ليت رسول الله ﷺ سن نظام الحكم فى الإسلام » فرد عليه الأستاذ محمد حسين زيدان قائلا : إن هو إلا وحى يوحى ، فالإسلام الرسالة الخاتمة والعامة للناس كافة أراد الله لنبيه ألا يضع نصًّا محدوداً لنظام معين فلابد من السعة ؛ يختار كل شعب أو يتخير كل زعيم أسلوباً فى الحكم هو نظامه .

إن حصر نظام الحكم على صورة واحدة موحدة تحكم الشعوب المسلمة صينيًّا ، وهنديًّا ، وفارسيًّا ، أوروبيًّا ، أفريقيًّا يعطل انتشار الإسلام ؛ فالإسلام والإيمان دين ودنيا قرآن وسيف ، فأوامر الدين ونواهيه قد تحقق النص لها ، أما أمور الدنيا فالتحديد فى النظام فيها أن تكون على أساس الشريعة .

وقد وضعت لها الأسس العامة . أما الأسلوب الذي يدار به هذا الأساس ، فقد أطلقت الحرية : « أنتم أعلم بأمر دنياكم -- إلى آخره [(١)] .

إن الحكمة الربانية قد رأت كما جاء فى كلام الأستاذ محمد حسين زيدان بأن ينتقل محمد ﷺ إلى جوار ربه بدون أن يحدد نوعية نظام الحكم لمن يتولى بعده ، وجدير بالذكر أنه كان هناك ثلاثة أحزاب عند وفاة النبى ﷺ ، وكل حزب كان يدعى أحقية الخلافة له دون غيره ، عرض ابن هشام هذا الموضوع بقدر من الوضوح فقال : « ولما قبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر وعمر [(٢)] .

إن أهل البيت كانوا يرون بأن على بن أبى طالب رضى الله عنه له الأفضلية لتولية الخلافة لمكانته فى الإسلام وإصهاره للرسول وقرابته إليه [(٣)] .

---

(١) جريدة المدينة : ١٠ جمادى الأولى لعام ١٤٠٥ هـ .

(٢) ابن هشام : ج ٤ ص ٣٣٦ .

(٣) الكامل لابن الأثير : ج ٣ ص ٩٨ .

ونقل عن على رضى الله عنه أنه كان يرى بأنه وأهل بيته الثمرة وقريش الشجرة والثمرة خير مافى الشجرة [١] .

ويروى البخارى عن ابن عباس أن علياً رضى الله عنه خرج من عند النبى ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ، فقال : أصبح بحمد الله بارئاً ؛ فأخذ بيده العباس رضى الله عنه وقال . أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، إنى والله لأرى رسول الله سيتوفى من وجعه هذا الأمر ، فإن كان فينا علمناه وإن كان فى غيرنا كلمناه فأوصى بنا فقال على رضى الله عنه : أما والله لئن سألناه فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ... إلى آخره [٢] .

تُشير الروايات بأن الزبير رضى الله عنه كان متحمسا أكثر من كل واحد لخلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه كما يتضح من كلام الطبرى : « وتخلف على والزبير واخترط الزبير سيفه وقال : لا اغمده حتى يبايع علىّ [٣] .

إن الروايات التى أسلفت ذكرها تشهد بأن أهل البيت كانوايطمعون فى الخلافة بعد وفاة النبى ﷺ على مبدأ الوراثة ، كما يتبين من قول على رضى الله عنه بأن أهل البيت بمثابة الشجرة وإن قريشا مثل الشجرة والثمرة خير مافى الشجرة ، وكذلك إذا صح مارواه العينى من أن عليًّا قد عهد لابنه [٤] .

وبالإضافة إذا رجعنا إلى بيعة الحسن بن على رضى الله عنه بعد وفاة والده نجدها شبه بالوراثة منها بالانتخاب ، لأن عواطف الناس فى تلك الوقت كانت مشدودة بمقتل علىّ رضى الله عنه فاندفع الناس إلى تولية الحسن رضى الله عنه فى الكوفه ليحل محل والده .

ومن هذا يتجلى أن أهل البيت كانوا يرغبون الخلافة لعلى رضى الله عنه لإصهاره

---

(١) فجر الإسلام ص ٢٦٦ - دكتور أحمد أمين .

(٢) صحيح البخارى : ج ٣ ص ٦١ . وابن هشام : ج ٤ ص ٣٢ .

(٣) تارخ الطبرى : ص ٨٢٠ .

(٤) عقد الجمان : ج ١ ص ١١٢ .

للرسول ﷺ وقرابته إليه ، وقد استمر هذا المبدأ « الوراثية » فيما بعد عند العلويين والعباسيين ، وقد حاولوا بكل وسائلهم أن يجعلوا الخلافة وراثية فى آل العباس .

وأما بالنسبة للأنصار فقد جالت الفكرة عندهم بأن يتولى سعد بن عبادة رضى الله عنه الخلافة ؛ ذلك لمكانته ومواقفه المشرفة مع الرسول ﷺ فهو النقيب فى بيعة العقبة [(١)] وله فيها موقف خالد مع رسول الله ، ثم هو من الذين شهدوا بدرا [(٢)] ، وحظى بمقام أهل بدر ومنزلتهم عند الله ، وعند الناس ، أضف إلى ذلك أن رسول الله ﷺ شهد له بأنه من بيت جود وكرم .

كما أننا نجد فى تاريخه أن النبى عليه الصلاة والسلام اعتمد عليه هو وسعد بن معاذ فى غزوة الخندق ، وكذلك أعطاه الراية على الجيش يوم فتح مكة ، وهو من السابقين بتقديم الطعام إلى رسول الله ﷺ عندما وصل إلى المدينة .

ومن ثم رأى الأنصار بأن سعد بن عبادة رضى الله عنه له حق الأفضلية لتولية الخلافة . وأما بالنسبة المهاجرين فإذا درسنا موقفهم فى ضوء التاريخ بالأمانة والصدق نجد أنهم كانوا بعيدين عن هذا النزاع فى أول الأمر ولا نصدق الأكاذيب التى تدور حول تركهم جثمان النبى ﷺ فى بيت عائشة رضى الله عنها وذهابهم إلى سقيفة بنى ساعدة لنقاش موضوع الخلافة ، نورد هنا رواية من مسند أبى يعلى لحسم هذا الموضوع : « بينما نحن فى منزل رسول الله ﷺ إذا رجل ينادى وراء الجدار أن أخرج إلىّ ابن الخطاب . فقلت : إليك عنى فإنا عنك مشاغيل يعنى بأمر رسول الله ﷺ فقال له : قد حدث أمر فإن الأنصار اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة فأدركوهم هم أن يتحدثوا أمراً يكون فيه حرب فقلت لأبى بكر انطلق [(٣)] » .

إن هذه الرواية توضح بأن المهاجرين لم يثيروا موضوع الخلافة على الإطلاق كما نسب إليهم ، وإن ذهابهم إلى سقيفة بنى ساعدة كان تقديراً للموقف فى ذلك الوقت ،

---

(١) إمتاع الأسماع : للمقريزى ص ٣٧ .

(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب .

(٣) مسند أبى يعلى .

لأن المدينة المنورة لم تكن خالية من مكر المنافقين الذين كانوا ينتظرون وفاة النبى ﷺ لإثارة الفتن بين المسلمين ؛ لتشتيت وحدتهم وفى نفس الوقت قد أثار الأنصار موضوع الخلافة الذى جعلوه حساساً ومعقّدا ، وأنه يحتاج إلى حل عاجل بلباقة وتصرف حكيم ، بينما كان القرشيون لا يرون الأنصار فى مستواهم كما يتجلى بشكل واضح فى غزوة بدر عندما رفض عتبة لقيام الحرب مع الأنصار وإن أبا بكر رضى الله عنه كان يدرك هذه النقطة جيداً والتى أشار إليها فى الخطبة التى ألقاها فى سقيفة بنى ساعدة ، ولذلك فإن المصلحة كانت تقتضى أن تكون هناك شخصية مقبولة عند الجميع نظراً للظروف التى يمر بها المسلمون .

ولذلك وقعت الأنظار على أبى بكر الصديق رضى الله عنه واجتمعوا عليه حتى أنَّ عليًّا بن أبى طالب رضى الله عنه عندما سمع مبايعة أبى بكر رضى الله عنه أسرع إلى بيعته بدون تأخير .

يروى لنا ابن الأثير أن عليًّا بن أبى طالب كان فى بيته إذ جاءه من أنبأه أن أبا بكر جلس للبيعة فخرج فى قميص له ماعليه إزار ولا رداء عجلاً كراهية أن يبطىء عنها حتى بايعه ثم جلس إليه ، وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ولزم مجلسه (١) .

ويعزز هذا ويقويه ماورد فى إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى حيث يقول : « وقد صح عن ابن حبان وغيره من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن عليًّا بايع أبا بكر فى أول الأمر قال : وأما فى مسلم عن الزهرى من أن رجلا قال له : لم يبايع علىّ أبا بكر حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها قال : ولا أحد من بنى هاشم فقد ضعّفه البيهقى بأن الزهرى لم يسنده ، أما الرواية الموصلة عن أبى سعيد فأصح (٢) .

ويروى الحسن البصرى عن قيس بن عبادة قال : « قال على ابن أبى طالب : إن رسول الله ﷺ مرض أياما وليالى وينادى للصلاة فيقول الرسول : « مروا أبا بكر فليصلّ بالناس » فلما قبض رسول الله ﷺ نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين فرضينا لديننا من رضى رسول الله ﷺ لديننا فبايعنا أبا بكر (٣) .

---

(١) الكامل لابن الأثير : ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٢) إرشاد السارى : ج ٦ ص ٢٧٧ .

(٣) الاستيعاب : ج ٢ . للحافظ ابن عبد البر .

ورد فى نفس الكتاب نقلا عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حيث قال : « خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر رضى الله عنه ... » إلخ [(١)] .

إن الروايات الموضحة توحى بأن شخصية أبى بكر رضى الله عنه كانت مقبولة عند الجميع بدون أى نزاع وذلك لفضائله ومواقفه الجليلة ، بالإضافة إلى أنه كان أول من أسلم من الرجال وأسلم على يديه عدد من الصحابة وكان صاحب الرسول فى الهجرة حيث ورد ذكره فى القرآن : ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فى الغارِ إذ يقولُ لصاحِبِه لَا تحزنْ إنَّ اللهَ معنا ﴾ [التوبة : الآية ٤٠] .

وكان أكثر الناس صحبة للرسول عليه الصلاة والسلام فقال فيه : « إنى لا أعلم أحدا كان عندى أفضل يدًا فى الصحبة منه » وقال : « لو كنت متخذًا من العباد خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً » وإن النبى ﷺ أمر فى مرضه الذى توفى فيه : « مُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس » أى أن الرسول ﷺ أنابه عنه ليكون إماما للناس فى الصلاة فلبث أبو بكر يصلى بالناس ثلاثة أيام . صلى بهم سبع عشرة صلاة [(٢)] فعد الناس ذلك إشارة من الرسول عليه السلام بأنه يعهد لأبى بكر رضى الله عنه بالأمر من بعده ، بل عدّ بعض العلماء هذا عهدا صريحاً من الرسول ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه بخلافته من بعده [(٣)] .

ومن ثم فإن مبايعة أبى بكر رضى الله عنه قد تمت بالإجماع ، إن جميع المصادر التاريخية تؤكد بأن الأمة قد أجمعت على مبايعة أبى بكر رضى الله عنه حيث إن المسلمين قد اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة فتداولوا الرأى وتشاوروا بحرية وصراحة حتى أن أحد المؤرخين الغربيين شبه هذا الاجتماع بأنه كان مثل مؤتمر حديث تدور فيه المناقشات وفق الأساليب الدستورية حتى انتهوا إلى اختيار أبى بكر رضى الله عنه وما كان هناك سيف ولاقوة غير سيف الحجة والدين ، وبايعه المسلمون جميعاً مبايعة عامة فى المسجد فتم اختياره بالإجماع .

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر : ج ٢ ص ١١٤٩ .
(٢) الطبرى : ص ١٩٧ .
(٣) الفصل فى الملل والنحل لابن حزم : ج ٤ ص ١٦٩ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه بخصوص هذا الموضوع « وأبو بكر بايعه المهاجرون والأنصار الذين هم بطانة الرسول ﷺ والذين بهم صار للإسلام قوة وعزة فجمهور الذين بايعوا رسول الله ﷺ هم الذين بايعوا أبا بكر [١] .

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل متحدثًا عن بيعة أبى بكر رضى الله عنه مع قيام الخلاف بين الرواة فى أمر البيعة واشتراك بنى هاشم وسائر المهاجرين فيها أو تخلف جماعة منهم عنها فالاتفاق تام على أن أبا بكر ولى الأمر بعد الرسول غير منازع منذ اليوم الأول ، ولم يذكر أحد من القائلين بالتخلف عن بيعته أن واحدا من بنى هاشم أو من غيرهم حاول أن يثير ثائرة مسلحة أو هم بمناهضة الخليفة الأول . أفكان ذلك لمكانة أبى بكر من رسول الله حتى قال : « لو كنت متخذا من العباد خليلا لا تخذت أبا بكر خليلاً » أم كان لصحبته رسول الله ﷺ فى الهجرة ، ولما تحلى به من فضائل وما كان له فى نصر الرسول من مواقف ؟ أم كان لأن رسول الله أنابه عنه فى الصلاة فى أثناء مرضه الأخير ؟ أيًا كان السبب الذى دعا المسلمين إلى بيعة أبى بكر بالخلافة يوم وفاة النبى فالثابت أنه لم يناهضه أحد [٢] .

إن هذه الأقوال كلها تشير إلى أن مبايعة أبى بكر رضى الله عنه قد تمت بالإجماع ؛ وذلك لفضله ومواقفه الجليلة مع النبى ﷺ وأنه رضى الله عنه قد أقام حكومته على منهاج النبوة ، ومن أعظم الإنجازات فى عهده موقفه المشرف أمام المرتدين ومانعى الزكاة .

يروى التاريخ بأن أبا بكر رضى الله عنه استشار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى هذا الصدد فرأى معظم الصحابة العدول عن فكرة الحرب ماداموا يشهدون أن لا إله إلا الله ، ولكن أبا بكر رضى الله عنه صاح مقسما ليقاتلن الجميع حتى يثوبوا إلى الحق أو يموت أبو بكر مجاهداً فى سبيل إعلاء كلمة الله ، فاستجاب أغلب المسلمين أو كلهم إلى اتجاه أبى بكر [٣] .

---

(١) نقلا عن كتاب « الإسلام والخلافة فى العصر الحديث » للدكتور محمد ضياء الدين الريس ص ٢٥٥ .

(٢) نفس المصدر . ص ٢٥٧ .

(٣) فتوح البلدان للبلازرى ص ١٠٤ .

إن أبا بكر رضى الله عنه كان غير راضٍ أن يُهدم ركن من أركان الإسلام وهو حى وإن الحمية الإسلامية قد دفعته أن يقاوم هذه الحركة الهدامة بالبسالة والشجاعة حتى إنه قام بإرجاع الأمور إلى نصابها ثم انتقل إلى جوار ربه سبحانه وتعالىٰ بعد أن أمضى فى الخلافة عامين وبضعة شهور .

خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

عندما أحس أبو بكر رضى الله عنه بدنو أجله دعا الصحابة وأفضى إليهم بما يجول فى خاطره قال : « قد حضرت من قضاء الله ماترون ؛ وإنه لابد لكم من رجل يلى أمركم ويصلى بكم ويقاتل عدوكم ويقسم فيأكم » (١) .

وبمثل هذه الكلمات التى عبر بها أبو بكر رضى الله عنه عما يدور فى نفسه ، وكذلك أنه عرض بما فى ذهنه حول تولية عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة وذلك فى خطبته التى وصف عمر بصفاته كلها ، وخلاصتها أنه شديد من غير عنف لين من غير ضعف ، وإذا كان طلحة قد احتج على توليته بقوله لأبى بكر تولى علينا فظا غليظا ماذا تقول لربك إذا لقيته ؟

فقد حدث أن اعترف بعد ذلك بفضله وقال لعمر : « لقد استقامت العرب عليك وفتح الله على يدك » ، ثم اشترك مع عثمان وعبد الرحمٰن فى طلب العهد من أبى بكر لعمر لأنه أهل لها (٢) .

وبهذا صار عمر بن الخطاب رضى الله عنه إماما للمسلمين بعهد أبى بكر إليه لأنه وقع برضا الجماعة وأجمعت الأمة على جواز هذا العهد وانعقاده ، كما تم بواسطة أبى بكر لعمر بمحضر من الصحابة فأجازوه وأوجبوا على أنفسهم طاعة عمر ، وكما عهد عمر فى الشورى إلى الستة ففوض بعضهم إلى بعض حتى أفضى ذلك إلى عبد الرحمٰن ابن عوف وانعقد الأمر فى النهاية إلى عثمان بن عفان وأوجب المسلمون طاعته والملأ من الصحابة حاضرون للأولىٰ والثانية ولم ينكره أحد منهم ، فدل على أنهم متفقون على صحة هذا العهد ، عارفون بمشروعيته ، والإجماع حجة (٣) .

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٩ .

(٢) رد الباقلانى على الشيعة ص ١٩٧ .

(٣) المقدمة لابن خلدون ص ٢١٠ .

إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد تولى الخلافة بعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه وحكم بنفس المنهاج الذى حكم به سلفه .

ان عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ملىء بالفتوحات العظيمة التى لم تشهدها البشرية من قبل ، وقد أنشأ نظام الحكم من مشكاة النبوة الذى يتميز عن النظم الكبرى فى ذلك الوقت مثل نظامى الروم والفرس ، إنه لا يهدف من خلال فتوحاته إلى أى منفعة مادية أو أطماع توسعية للدولة الإسلامية بل إنه كان يريد أن يخلص البشرية من نظام القهر والعبودية والاضطهاد وإدخالها فى النظام الذى يتميز بالعدل والسماحة والحرية والمساواة ، ولذلك فإن هذا النظام قد نال ترحيبا من الشعوب المفتوحة .

يروى التاريخ : عند مادخل المسلمون فى أراضى الشام ورأى النصارى سماحة الإسلام والعدل والمساواة تضرعوا لله داعين للمسلمين أن يعودوا مرة أخرى ، وحلفوا اليهود بالتوراة داعين بعدم عودة القيصر مرة أخرى .

إن هذا الشعور قد نتج لتعامل المسلمين معهم حيث إن أمير المؤمنين أصدر أوامره إلى جيشه بعدم قطع الشجر وعدم تعرضهم للأطفال والنساء وأكد على عماله بامتناعهم عن الغدر والتمثيل وقتل أطفال الأعداء [1] .

إن هذا التسامح قد ولد شعور الحب والاحترام للمسلمين عند الشعوب التى فتحت أراضيهم على أيدى المسلمين حيث إنهم أبدوا رغبتهم بأن يدوم النظام الإسلامى إلى الأبد لأنهم وجدوا فيه العدالة والمساواة والحرية التى لم يلمسوها فى غيره من الأديان الأخرى .

ثم انتقل عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى جوار ربه بعد المؤامرة التى دبرها بعض أعداء الإسلام من الفرس واليهود ونفذها أبو لؤلؤة المجوسى تاركا وراءه الأعمال الجليلة ، ومخلفا سيرة من أعظم السير التى يرويها التاريخ .

---

(١) كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٢٠ .

عهد الشيخين يقضى على مخططات أعداء الإسلام

إن الإنجازات والأعمال الجليلة التى تمت فى عصر الشيخين رضى الله عنهما كانت مصدر فخر واعتزاز للإسلام وأهله ، وفى نفس الوقت إنها كانت موضع القلق والحقد لأعدائه الذين تم إخراجهم من المدينة المنورة فى عصر النبى ﷺ وعن مدينة خيبر فى عصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهم كانوا يحرقون من نار الحسد والضغينة .

جدير بالذكر أن أعداء الإسلام كانوا يتوقعون بأن الإسلام ينتهى بعد وفاة النبى ﷺ ، ولكن أبا بكر رضى الله عنه قد وقف موقفا مشرفا أمام المشاكل التى واجهها فى بداية خلافته .

ولقد صدق ما قاله الدكتور محمد حسين هيكل متحدثا عن حروب الردة وموقف أبى بكر المجيد منها إذ يقول . « وإن لهذه الغزوة الأولىٰ من غزوات أبى بكر لجلالا ما أشبه بجلال غزوة بدر .

وقف المسلمون يوم بدر ومحمد على رأسهم وعددهم لا يزيد على ثلاثمائة يقاتلون المشركين من أهل مكة وعددهم يزيد على ألف ، وهنا وقف أهل المدينة وأبو بكر على رأسهم وهم قلة أمام هذه الجموع الغفيرة من عبس وذبيان وغطفان وغيرهم من القبائل ويومئذ تحصن محمد بإيمانه وإيمان أصحابه وبنصر الله إياهم على المشركين ، وهنا تحصن أبو بكر بإيمانه وإيمان أصحابه فانتصر كما انتصر الرسول ؛ ثم كان لنصره الأثر البالغ فى حياة المسلمين » .

ويقول « وأبو بكر هو الخليفة الأول الذى أقر الإسلام حين حاول المرتدون من العرب أن يقوضوا ركنه أو يثملوا منه » .

ويختم قائلا : « لاشك فى أن الصديق قد نفذ فى حروب الردة ماجاء فى كتاب الله من قوله تعالى فى سورة براءة : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّين ونفصل الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِنْ نكثوا أَيْمَانَهُم مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِى دِينِكُمْ فقَاتِلُوا أئمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُم لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ [التوبة : ١١ ، ١٢] [نقلا من كتاب الإسلام والخلافة فى العصر الحديث ص ٢٦٩ - ٢٧٠ - للدكتور محمد ضياء الدين الريس] .

وإن عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يتميز باتساع رقعة الدولة الإسلامية التى كانت تشتمل على معظم الإمبراطوريتين فى ذلك الوقت وهما فارس والروم وكذلك الاستقرار الذى نتج عن إقامة الدولة على الدعائم القوية المستمدة من القرآن والسنة . وإن الفتوحات التى تمت فى عهده رضى الله عنه كانت لإعلاء كلمة الحق التى تختلف كليا عن عدوان الاستعمار الذى يخضع الشعوب بالقسر والقوة ويكبت الحريات ويستخدم الأساليب الدكتاتورية فى خنق أصوات المعارضة إلى غير ذلك من المساوىء .

والواقع أن الحروب الإسلامية كانت تحَرُّرِيَّةُ ضد حكم الأباطرة والملوك وحواشيهم الذين كانوا يحكمون بالحديد والنار حيث إن الإسلام قد أعطى البلدان التى تم فتحها بأيدى المسلمين الأمان على أرواح الناس وأموالهم بالإضافة إلى إعطائهم حرية العبادة وخفف الضرائب التى كانت تثقل كواهلهم ، ومن تشرف بقبول الإسلام فإن له حق التمتع بجميع الحقوق التى يتمتع بها المسلم . وهكذا إن الإسلام صار له السلطان على الشعوب التى فتحها المسلمون . وفى نفس الوقت خسر أعداء الإسلام فى مخططاتهم لأن هذا الوضع كان غير صالح فى حقهم أن ينفذوا مافى مخيلتهم ومن ثم قاموا بتأجيل مخططاتهم لوقت آخر .

وضع دار الخلافة بعد الشيخين رضى الله عنهما

إن التاريخ يروى بأنه كان يوجد هناك تنافس وصراع رهيب بين بنى أمية وبنى هاشم عند ظهور الإسلام . وإن الأمويين كانوا يحتلون مكانا بارزا فى المجتمع العربى ، وفى نفس الوقت موقفهم العدائى للإسلام وأهله كان معروفا .

إن أبا سفيان من بنى أمية قاد جيش المشركين ضد الإسلام فى غزوة الخندق ولكن الإسلام قد وضع مجتمعا يتميز بالأخوة الإسلامية بغض النظر عن العصبية القبلية والتفاخر بالأنساب . والتقوى هى التى كانت ميزان المفاضلة فى الإسلام ، ومن ثم فلم يكن هناك فرق بين الهاشميين والأمويين ولا بين العرب والعجم ، كلهم كانوا مرتبطين بالوحدة الإسلامية والأخوة الإسلامية ، وإن هدفهم الأساسى كان يدور حول إعلاء كلمة الحق وكانوا بعيدين كل البعد عن المطامع الدنيوية ؛ ومصلحة الإسلام لها الصدارة فى حياتهم .

جدير بالذكر أن أبا بكر رضى الله عنه لم يرشح أحداً من أبنائه أو من عائلته

لمنصب الخلافة ، ونفس الوضع نراه فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . يروى التاريخ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أكد أن يبعد ابنه عن تولى الخلافة على الإطلاق ، والواقع أن هذه الأمور كلها توحى بإخلاصهم وحبهم العظيم للإسلام ؛ وأعمالهم كلها كانت خالصة لله سبحانه وتعالى ، إن حب الله ورسوله كان يجرى فى قلوبهم مجرى الدم فى العروق .

إن انكار الذات وعدم السعى وراء السلطة والانضباط فى العمل يتجلى فى موقف خالد بن الوليد رضى الله عنه عندما تلقى خطاب الفصل من الخليفة حيث إنه قام بتسليم جميع سلطته إلى خلفه وانقاد لتعليمات الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واعتبر نفسه جنديا عاديا فى الجيش الإسلامى رغم دوره البطولى فى خدمة الإسلام .

والواقع أن خالد بن الوليد رضى الله عنه كان صحابيا للرسول محمد ﷺ وخريجاً من المدرسة المحمدية التى كانت لاتعرف إلا الإخلاص فى سبيل الله والعمل الجاد للإسلام والمسلمين .

إن هذا الوضع المثالى قد استمر حتى منتصف خلافة عثمان رضى الله عنه ، ثم طرأ هناك بعض التغير عندما دخل جماعة من الفرس فى الإسلام واحتك المسلمون بالحضارات والديانات العديدة .

وجدير بالذكر أن بعض الأفراد من الفرس دخلوا فى الإسلام مخلصين له ، ولكن البعض الآخر أشهروا إسلامهم مكرا ونفاقا للطعن فيه ، ولذلك فإنهم كانوا عارين من الإخلاص والحمية الإسلامية التى كانت تسود فى عصر النبى ﷺ أو فى عهد الشيخين رضى الله عنهما ، إن المسلمين الذين دخلوا فى الإسلام حديثا كانوا لا يدركون منزلة المهاجرين والأنصار وكانوا يجهلون أعمالهم الجليلة وتضحياتهم المخلصة وجهودهم الجبارة فى خدمة الإسلام ، ومن ثم تجاوزوا عن حدود الاعتدال وقاموا برمى سهام الطعن والنقد فى كبار أصحاب النبى ﷺ .

إن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان من كبار الأثرياء قبل الإسلام وبعده ، وكان سخياً بذل المال لخدمة الإسلام ففى جيش العسرة أمد المسلمين بمئات من الإبل وعدد من الخيول وألف دينار ، وفى مناسبات كثيرة كان يعطى ماله بدون حساب لخدمة

الإسلام ، وفى نفس الوقت يتعامل مع أقربائه معاملة حسنة ويرعى شئونهم ، ولكن خصومه قد استغلوا موقفه نحو أقربائه استغلالا سيئاً وألصقوا به تهمة ميله لأقربائه الأمويين منهم وتعيينه العمال على الأمارات قد فتح باب الطعن والشك فى حكمه وإدارته عند خصومه الأمر الذى ساعد على تعقيد الموقف ، ومن هنا وجد المخربون فرصة سانحة لتشويه سمعة الخليفة وإثارة البلبلة والشغب فى آن واحد .

* * *

الباب الأول

نشأة الشّيعَة

ظهور عبد الله بن سبأ يتضح من دراسة الأحداث التى وقعت فى آخر عهد عثمان رضى الله عنه أن الظروف كانت ملائمة لأعداء الإسلام الذين تم طردهم من المدينة المنورة ثم مدينة خيبر لقيامهم بأعمال تخريبية انتقاما من المسلمين .

يروى التاريخ أن اليهود قد قاموا بعدة محاولات فاشلة فى زمن النبى ﷺ للنيل من الإسلام ، ولكن العناية الربانية كانت حليفة للمسلمين ، وعلى حسب الوثائق التاريخية أن اليهود لم يتوقفوا عن مكرهم ومخططاتهم الهدامة ، ومن هنا أشهر بعض كبار اليهود الإسلام مكرا ونفاقا لإحداث الفتن بين المسلمين من ناحية والطعن فى عقائدهم من ناحية أخرى مثل : عبد الله ابن سبأ فى عهد عثمان رضى الله عنه ، إن اهتمامهم كان موجها إلى المسائل الدينية ورواية الحديث ، ولقد كان ينظر إلى ما يروونه من الأحاديث نظرة ارتياب لما عرف عنهم من وضع الأحاديث غير الصحيحة ونسبتها كذبا إلى الرسول ﷺ .

ومما يذكر عن الإمام على رضى الله عنه أنه قال عن عبد الله بن سبأ : إنه يكذب على الله ورسوله ، وكان هدفهم الأساسى على حد تعبير العالم الكبير الشيخ أبى زهرة « أن يفسدوا على المسلمين أمور دينهم » [(١)] .

إن دور عبد الله بن سبأ كان يتميز عن بقية اليهود الذين اعتنقوا الإسلام حيث إنه وجد الظروف الملائمة كما أسلفت ذكرها للقيام بأعماله الإجرامية وبث أفكاره اليهودية بناء على التطورات التى طرأت فى الآونة الأخيرة ، وأضف إلى ذلك وجود التعاطف عند بعض أصحاب النبى ﷺ لأهل البيت فى أحقية تولية الخلافة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه بعد وفاة النبى ﷺ ثم لين السياسة التى انتهجها عثمان رضى الله عنه فى فترة حكمه .

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ١٣ للأستاذ أبى زهرة .

إن هذه الأمور قد دفعت عبد الله بن سبأ أن يستغل الموقف لإثارة البلبلة بين صفوف المسلمين ووحدتهم ؛ ومن هنا إنه دخل فى الإسلام متنكرا لأجل الكيد للإسلام وتقويض دعائمه من الداخل .

عبد الله بن سبأ بين الحقيقة والخرافة

قبل أن نبدأ البحث عن أفكار عبد الله ابن سبأ الصفانى ، من الأفضل أن نتحدث عن حقيقته فقد حظى باهتمام كبير من قبل الباحثين فمنهم من حمله عبْء مذهب الشيعة وألقى على كاهله بنظريات التشيع كلها ، ومنهم من تشكك فى وجوده حيث إنه شخصية خرافية ليت لها حقيقة .

ويذكر أستاذنا الجليل الدكتور أحمد شلبى فى كتابه [1] أنه اطلع على كتاب بعنوان « عبد الله بن سبأ » للأستاذ مرتضى العسكرى عميد كلية أصول الدين بالعراق وفيه يذكر المؤلف أن عبد الله بن سبأ أسطورة اخترعها وضاع اسمه سيف بن عمير .

وصدر حديثا كتيب فى باكستان للأستاذ منظور حسين البخارى وقد ترجم إلى اللغة الإنجليزية ووزع مجانا من قبل الكاتب ويؤكد فيه مزاعم السيد مرتضى العسكرى .

وجدير بالذكر أن الأخير قد قام بتأليف كتاب بعنوان « عبد الله وافسانای تاریخی دیکر » باللغة الفارسية لأجل هذا الغرض يحتوى على ثلاث مجلدات ويدور من أوله إلى آخره حول إثبات أن عبد الله بن سبأ شخصية خيالية ذكرها ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ أول مرة فى كتابه ، وأن الكتب التى سبقته خالية من ذكر هذه الشخصية وكذلك الدكتور طه حسين يبدى شكوكه حول وجود عبد الله بن سبأ إذ يقول « ويتخيل إلىّ أن الذين يسرفون فى أمر ابن سبأ إلى هذا الحد يسرفون على أنفسهم وعلى التاريخ إسرافاً شديدا .

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج١ ص ٤٣٢ دكتور أحمد شلبى .

وأول ما نلاحظه أنا لانجد لابن سبأ ذكرا فى المصادر المهمة التى قصّت أمر الخلاف على عثمان ، فلم يذكره ابن سعد حين قصّ ما كان من خلافة عثمان وانتفاض الناس عليه ، ولم يذكره البلازرى فى أنساب الأشراف ، وهو فيما أرى أهم المصادر لهذه القصة وأكثرها تفصيلا ، وذكره الطبرى عن سيف بن عمر وعنه أخذ المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهر » [1] .

إن كلام الدكتور طه حسين يؤيد ماقاله الأستاذ مرتضى العسكرى حيث إن الطبرى ينفرد بذكر هذه الشخصية ، وإن المؤرخين الآخرين الذين جاءوا بعده قد ذكروها نقلا عنه ، والواقع أن هذا الكلام ليس خاليا من الغرابة حيث إن الحسن بن محمد بن الحنفية المتوفى سنة ٩٥ هـ ذكرها فى كتابه .

ويتناولها الإمام أبو حنيفة المتوفى سنة ١٥٠ هـ فى مسنده ، وكذلك سعد بن عبد الله المتوفى سن ٣٠١ هـ قد قام بذكرها فى كتابه بعنوان (كتاب المقالات والفرق) وبالإضافة إلى ذلك فإن محمد حسن بن موسى النوبختى الذى كان يعدّ من كبار الشخصيات الشيعية فى القرن الثالث الهجرى قد أقام فصلا خاصا عن عبد الله بن سبأ فى كتابه بعنوان (فرق الشيعة) .

فى الحقيقة أن عبد الله بن سبأ له دور ملحوظ فى تاريخ الشيعة حيث إنه أول من زرع بذرة الشيعة ولا نوافق ماقرره الدكتور أحمد أمين فى بعض كتبه [2] ، يبدو أن الدكتور أحمد أمين استقرأ هذا الرأى من الوقائع التاريخية التى تروى عن تخلف بعض الأشخاص عن بيعة أبى بكر حيث رأوْا أحقية علىٍّ بالخلافة ولكن اختلاف الرأى فى مثل هذه الحالة لا ينبغى أن يؤخذ كدليل على بداية التشيع لأن الملتفين حول علىٍّ حينئذ لم يكن يجمعهم إلا حبهم له وتفضيله على غيره لا على أساس النظرية الشيعية .

والواقع أنّا لانجد للتشيع أى أثر فى أيام النبى ﷺ أو فى عهد الشيخين رضى الله عنهما ، فكيف نسلم بأن الشيعة قد نشأت فى وقت وفاة النبى ﷺ ؟! . وإن شخصية

---

(١) الفتنة الكبرى ج ١ ص ١٣٢ دكتور طه حسين .

(٢) فجر الإسلام ص ٣١١ ، ٣١٢ د/ أحمد أمين وضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٠٩ نفس الكاتب .

عبد الله بن سبأ تحمل أهمية كبيرة فى التاريخ ، ومن ثم فإن الكتب التى قام بتأليفها علماء السُّنة والشيعة وجماعة من المستشرقين لم يتجاهلوها ؛ بل أعطوها مكانا بارزا فى مؤلفاتهم نظراً لدورها الخطير فى التاريخ .

إن إنكار وجود شخصية عبد الله بن سبأ يدل على التجاهل أو التغافل عن الحقائق الثابتة المدونة فى الكتب المعتمدة ، ومن هنا فالأفضل أن نقوم بجولة سريعة فى الكتب التى قام بتأليفها كبار علماء الشيعة والسُّنة وجماعة من المستشرقين لإجلاء هذه الشخصية التاريخية تفنيدًا للآراء التى أبداها بعض الكتاب المعاصرين حول خرافة وجود عبد الله بن سبأ .

عبد الله بن سبأ فى مصادر الشيعة

إن أمهات الكتب للمذهب الشيعى قد تناولت شخصية عبد بن سبأ بكل جلاء ووضوح ؛ حيث إن محمد الحسن بن موسى النوبختى الذى يعد من كبار علماء الشيعة فى القرن الثالث الهجرى يذكر عبد الله بن سبأ فى كتابه بعنوان (فرق الشيعة) إذ يقول : « وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب على عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليًّا عليه السلام » .

وكان يقول وهو يهودى فى يوشع بن نون وصى بعد موسى ، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة على عليه السلام وأظهر البراءة من اعدائه وكاشف مخالفيه [(١)] .

وأضاف الكاتب قائلا عند تناوله موضوع السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ « وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعثمان والصحابة تبرْأ منهم وقال : إن عليًّا عليه السلام أمره بذلك ، وكان أول من قال بألوهية وربوبية على رضى الله عنه » [(٢)] .

وجاء فى رجال الكشى والذى يعد من أمهات الكتب عند الشيعة وهو للكاتب أبى عمرو محمد بن عمر بن العزيز « عن أبان بن عثمان قال : سمعت أبا عبد الله يقول

---

(١) فرق الشيعة للنوبختى ص ٤٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٤٤ .

لعن الله عبد الله بن سبأ إنه ادعى الربوبية فى أمير المؤمنين ، الويل لمن كذب علينا وإن قوما يقولون فينا مالا نقول فى أنفسنا فنبرأ إلى الله منهم » (١) .

وورد فى نفس الكتاب فى موضوع آخر « إن عبد الله بن سبأ يدعى النبوة وزعم أن أمير المؤمنين هو الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين فدعاه وسأله فاقر بذلك وقال نعم أنت هو إنك أنت الله ، فقال له أمير المؤمنين ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتبْ فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار » (٢) .

وورد فى قاموس الرجال بخصوص عبد الله بن سبأ « لعن الله عبد الله بن سبأ ، إنه ادعى الربوبية فى أمير المؤمنين عبداً طالبا » (٣) .

ويقول العلامة الكلينى فى كتابه الشهير الكافى الذى يعد أهم مرجع من مراجع الشيعة حيث يقول الإمام المنتظر بخصوصه « الكافى كاف لشيعتنا » ، جاء فيه « أتى قوم أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا : السلام عليك ياربنا فاستتابهم فلم يتوبوا فحفر لهم حفيرة أوقد فيها ناراً وألقاهم فيها » (٤) .

ويقول الإمام نعمة الله الجزائرى فى كتابه المعروف بعنوان « أنوار النعمانية » « وقيل : إنه كان يهوديا فأسلم ، وكان فى اليهودية يقول فى يوشع بن نون وصى موسى عليه السلام مثل ماقال فى على » (٥) .

إن الروايات الموضحة تشير إلى بعض الحقائق التالية .

(١) إن عبد الله بن سبأ كان يهوديا .

(٢) إنه وضع مصطلح (الإمامة) لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه .

---

(١) رجال الكش لأبى عمرو حمد بن عمر العزيز وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٨٣ .

(٢) رجال الكشى ج ٧ ص ٩٨ .

(٣) قاموس الرجال للإمام حمد تقى القشرى ج ٥ ، ص ٤٦١ .

(٤) الكافى للكلينى ج ٧ ص ٢٥٧ .

(٥) أنوار النعمانية ج ١ ص ٢٠٧ .

(٣) إن عبد الله بن سبأ أول من طعن فى حق أصحاب النبى ﷺ وتبرأ منهم وأخرجهم عن دائرة الإسلام وأطلق عليهم تهمة الكفر .

(٤) فهو ليس شخصية خرافية كما يدعى بعض كتاب الشيعة ؛ بل إنه شخصية حية فى التاريخ على رأى جمهور الشيعة .

(٥) وإنه وضع نظرية الألوهية لعلى رضى الله عنه ونظرية لرجعته .

(٦) وإنه أول من ادعى بأن الخلفاء الثلاثة قاموا باغتصاب الخلافة من على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ذكر عبد الله بن سبأ فى كتب المستشرقين

« إن مؤلفات المستشرقين ليست خالية من ذكر عبد الله بن سبأ فحسب ؛ بل إنها تقوم بتحليل جوانب حياته والعوامل التى دفعته أن يبث أفكاره الهدامة بين المسلمين ، وقبل أن أسرد آراء المستشرقين وأفكارهم حول عبد الله بن سبأ من الأفضل أن أسجل اعترافى بالمجهودات التى قام بها المستشرقون فى سبيل إجلاء شخصية عبد الله بن سبأ التى أصبحت لغزا عند بعض الباحثين .

وجدير بالذكر أن معظم المستشرقين يكنون الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين حيث إنهم رموا سهام الطعن والتجريح فى ذات الإسلام وإنجازات المسلمين بصفة عامة وبالنسبة للأمويين بصفة خاصة كما يتضح من تاريخ الاستشراق ، وهذا يرجع إلى فتوحاتهم العظيمة التى هددت كيان العالم المسيحى حيث خرجت معظم البلدان التى كانت تحت سيطرتهم ، بالإضافة إلى ذلك محاولة الأمويين فى سبيل جمع المسلمين قاطبة تحت راية واحدة ، ولكن هذه الميزة لم تستمر طويلا بل إنها اختفت تماما لدى ظهور دولتى العباسية والفاطمية فحكم العباسيين على العالم الإسلامى كان شكليا ، لأنه كان مربوطا بالخلفاء العباسيين الرباط الدينى فقط ، ومن ثم فإن الدارس يلاحظ تعاطف المستشرقين مع العباسيين والفاطميين بشكل ملحوظ ، وفى نفس الوقت اتخذوا موقفا سلبياً للأمويين ولكن هذه القضية لم تمنعهم من أن ينقلوا الحقائق حول شخصية عبد الله ابن سبأ وإزاحة الستار الذى حجب شخصيته عن بعض الكتاب .

وعلى سبيل المثال نقدم أولا كتابا بعنوان « الخلافة مجدها وزوالها » (لسروليم

ميور) المعروف بعداوته للإسلام وأهله ، وكان محافظا على ولاية شمال الهند فى أيام احتلال الإنجليز للهند ، إذ يقول فى كتابه : « ابن سبأ المعروف بابن السوداء كان من سكان جنوب الجزيرة العربية وكان يهوديا وأشهر إسلامه ، ولكن ظهرت الحقيقة بأنه كان يحمل الأفكار الثورية ضد الحكومة المعاصرة فى ذلك الوقت ، ولذلك تم نفيه إلى مدينتى الكوفة ودمشق عدة مرات عقوبة له وذلك لأفكاره الثورية ، وأخيرا اتخذ مصر مركزاً له ، ومن هنا بدأ يبث أفكاره ضد العقائد الإسلامية مثل : رجوع محمد إلى الدنيا مرة أخرى مثل رجوع عيسى ، وأن عليًّا كان وصياً للنبى وأن الخليفة عثمان قام باغتصاب الخلافة ، وأن العدل ، والصدق يقتضى القضاء على حكومته ، والواقع أن هذه الأفكار قد لقيت ترحيبا عند بعض الناس (١) .

وعقد البروفيسور نكلسن فى كتابه HISTORY OF THE ARAB « أى تاريخ العرب » فصلا خاصا عن الشيعة يتحدث فيه « إن عبد الله ابن سبأ كان من سكان صنعاء اليمن أشهر إسلامه فى عهد عثمان وكان يهوديا ، ويقول المؤرخون : إنه زار الحجاز والبصرة والكوفة وأخير استقر فى مصر وبدأ دعاية مكثفة حول رجعة محمد مثل رجعة عيسى وزعم أن هناك ألف نبى وكان لكل نبى وصى ، وأن عليًّا كان وصياً لمحمد وأن أبا بكر وعمر وعثمان قد قاموا باغتصاب الخلافة من على » (٢) .

وكما قام الدكتور « والترسى كلينى » بترجمة كتاب « الإبانة عن أصول الديانة » إلى اللغة الإنجليزية وقد تم طبعه فى سنة ١٩٤٠ م وقد قام بكتابة المقدمة المطولة لهذا الكتاب ، ويقول فيها : « إن عبد الله بن سبأ كان يهوديا وقابل عليا وخاطبه ، بانت أن هذه « الكلمة » كانت توحى بأنه كان يتصور عليا بأنه هو الله وأنه نفاه لأن هذه الجملة بمثابة كفر ، ولكن هذه الفكرة قد تأصلت عند متبعى عبد الله بن سبأ بأن عليًّا يرجع إلى الدنيا وكذلك أن الله حل فى على ، ويرى الدكتور كلينى بأن الشيعة يعتقدون بأن منزلة الإمامة فوق منزلة النبوة . وقد قاموا بشرح الإسلام بطريقة غريبة

---

(١) الخلافة مجدها وزوالها لسروليم ميور ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، والكتاب مترجم باللغة الأردية من اللغة الإنجليزية .

(٢) HISTORY OF THE ARAB نكلسن ص ٢١٥ .

توحى بأن محمداً كان مجاملا ، وأنه لم يكن راغبا فى الخير للإنسانية [١] .

ويتحدث الدكتور « جى اين تاهالستر » فى كتابه بعنوان « الشيعة فى الهند » أن عبد الله بن سبأ كان أول من قام بالدعاية فى حق على ، وهو كان يهوديًا من صنعاء وأشهر إسلامه فى خلافة عثمان وزار عدة مدن ونشر أفكاره بأن محمدًا سيرجع إلى الدنيا مرة أخرى وأن عليًا كان وصياً لمحمد ، وزعم أن الخلفاء الثلاثة كانوا غاصبين وأن الألوهية التى كانت توجد فى النبى قد انتقلت إلى على بعد وفاته ، وهذه الفكرة قد لقيت ترحيبا عند الأشخاص الذين كانوا غير راضين عن حكم عثمان [٢] .

وصدر فى لندن كتاب ذو أهمية كبيرة حول المذهب الشيعى بعنوان THE SHEIT RELIGION OF ISLAM أى المذهب الشيعى فى الإسلام من تأليف « دويت ايم دونالدسن » M.DONOLDSON DWEIGHT وهو كاتب ممتاز وعاش فى مدينة « مشهد » حوالى ستة عشر سنة وقد استعان فى إعداد هذا الكتاب بالمراجع المدونة أسماؤها فى ١٦ صفحة وعقد المؤلف فصلا كاملا فى كتابه حول عبد الله بن سبأ يلقى فيه ضوءاً حول شخصيته وأفكاره إذ يقول فيه : « هناك فكرة كانت تجول فى بعض الأذهان بأن عليا كان مكلفاً من عند الله لرعاية الشئون السياسية والدينية للدولة الإسلامية ، وصاحب هذه الفكره وهو عبد الله بن سبأ على حد قول الطبرى الذى زار الإمبراطورية الإسلامية كلها ودعا المسلمين إلى طرق الضلال ، وكان يعتنق اليهودية قبل إشهار إسلامه ، وكان من صنعاء اليمن ، واتخذ مصر مقراله بعد زيارته لعدة دول إسلامية ، وهناك بدأ بدعاية لعلى وأبدى رأيه بأن أبا بكر وعمر وعثمان قاموا باغتصاب الخلافة ، وكذلك قام بالطعن فى عثمان قائلا : إنه كان مفسداً ومخربا ، وزعم بأن محمدا يرجع بعد وفاته مثل عيسى ولكل بنى وصى فإن عليا كان وصياً لمحمد ، ولكن بعض أصحابه لم يقوموا باحترام وصية النبى وخانوا علياً .

وكان يجب على المسلمين تأييد على وبالتالى الضغط على المغتصبين بإرجاعه حقوقه المسلوبة ، وكان يرى أن الألوهية قد انتقلت إلى على بعد وفاة النبى [٣] .

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة المترجم باللغة الإنجليزية ص ٧ ، ٨ .

(٢) الشيعة فى الهند باللغة الإنجليزية ج ١ « اين ثاهالستر » .

(٣) دوريت ايم دونالدسن THE SHEIT RELIGION OF ISLAM .

وقد تناول البروفيسور « حتى » هذا الموضوع بدقة فى أسلوب علمى بكتابه تحت عنوان « تاريخ العرب » إذ يقول فيه : « إن من الصعب أن نبحث مدى تأثر المذهب الشيعى فى نشاته ورقيه من الأفكار الإيرانية أو المسيحية وأن تصور المهدى المنتظر مأخوذ من الفكر المسيحى أو من الأفكار الأخرى ، إن عبد الله بن سبأ كانت شخصيته غريبة محاطة بالرموز والإشارات الغير مفهومة ، وأشهر إسلامه فى عهد عثمان وكان مصدر القلق لعلى بن أبى طالب بسبب أفكاره الغريبة ، ومن هنا كان عبد الله ابن سبأ موسساً لفرقة المتطرفين من الشيعة وإن فرقة « جناستك » [١] . لها دور كبير بدون أى شك فى نشأة نزعة الإمامة عند الشيعة [٢] .

إن هذه الأقوال كلها توحى بوجود شخصية عبد الله بن سبأ وبالتالى كان مؤسسا لهذا المذهب .

ذكر عبد الله بن سبأ فى كتب أهل السنة والجماعة

إن شخصية عبد الله بن سبأ تحتل مكانا بارزا فى الكتب المعتمدة عند أهل السنة والجماعة التى تقوم بدراسة موضوعية حول شخصيته وأفكاره حيث إن الإمام أبا حنيفة المتوفى عام ١٥٠ هـ يتحدث بإسهاب فى هذا الموضوع إذ يقول : « عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم أيام عثمان ، وهو الذى حمل أهل مصر على قتل عثمان ، وأظهر الميل إلى على وكان خبيث الباطن [٣] .

قال البغدادى فى كتابه بعنوان « الفرق بين الفرق » إنَّ ابن السوداء كان على دين اليهود ، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى علِى وأولاده لكى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام [٤] .

وكذلك تناول أبو المظفر الإسفراييني موضوع عبد الله بن سبأ فى كتابه

---

(١) فرقة قديمة عند المسيحيين التى تزعم بأن عيسى عليه السلام كانت شخصية فوق العادة .

(٢) تاريخ العرب باللغة الإنجليزية ص ٢٤٨ .

(٣) مسند الإمام الأعظم ص ١٥٨ .

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٣٣ .

« التبصير فى الدين » والرازى فى « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » وابن حزم فى « الفصل » وغيرهم من المؤلفين الآخرين الذين ذكروا موضوع عبد الله بن سبأ فى كتبهم ، وأن الإمام الشهرستانى قد عقد فصلا فى كتابه بعنوان « الملل والنحل » ويقول فيه السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ الذى قال لعلى عليه السلام : أنت أنت الإلٰه فنفاه إلى المدائن ، وزعموا أنه كان يهوديا فأسلم وكان فى اليهودية يقول فى يوشع بن نون وصى موسى مثل ماقال فى على عليه السلام وهو أول من أظهر القول بفرض إمامة على ومنه تشعبت أصناف الغلاة وزعموا أن عليا حى لم يقتل وفيه الجزء الإلٰهى ولا يجوز أن يستولى عليه وهو الذى يجىء فى السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً (١) .

وقال ابن عساكر فى تاريخه « لما بويع على رضى الله عنه خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ فقال له : أنت دابة الأرض فقال له : اتق الله فقال له : أنت الملك فقال اتق الله فقال له : أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق فأمر بقتله (٢) .

وأخيراً نعرض ماكتبه الدكتور « أحمد أمين » عن عبد الله بن سبأ وعن جماعته « وانتشرت الجمعيات السرية فى آخر عهد عثمان تدعو إلى خلعه وتولية غيره ، ومن هذه الجمعيات من كانت تدعو إلى على ، ومن أشهر الدعاة له عبد الله بن سبأ ، وكان من يهود اليمن فأسلم فقد تنقل فى البصرة والكوفة والشام ومصر ويقول : إنه لكل نبى وصى وعلى وصى محمد فمن أظلم ، لم يجز وصية رسول الله ووثب على وصيه ، وكان من أكبر الذين ألّبوا على عثمان حتى قتل (٣) .

إن هذه المقتطفات التى نقلتها عن كبار علماء الشيعة وأهل السنة والجماعة وجماعة من المستشرقين تؤكد وجود شخصية عبد الله بن سبأ بكل وضوح والتى لعبت دوراً خطيراً فى التاريخ وأن الرأى الذى يدور حول خرافة شخصيته لا يمكن لنا أن نوافق عليه بناء على ماسلف ذكره من الحقائق التاريخية .

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ، ص ٢٢ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ، ص ٤٣٠ .

(٣) فجر الإسلام دكتور أحمد أمين ص ٢٥٤ .

أسباب إنكار وجود شخصية عبد الله ابن سبأ

وإذا قمنا بدراسة العقلية التى تقول بعدم وجود عبد الله بن سبأ فإنها توضح أن العقلية الرافضة ترغب فى تحقيق هدف معين وهو محاولة إثبات ربط وجود الشيعة فى أيام النبى ﷺ أو بعد وفاته مباشرة كما يدعى الشيعة حيث يقول العلامة حسين بخش فى كتابه بعنوان « إمامت وملوكيت » باللغة الأردية « والواقع أن المذهب الشيعى بدأ من نفس اليوم الذى رفض فيه الإمام على عليه السلام الاستسلام أمام السلطة وتحدى لشرعية سلطته مبيناً الأدلة المقنعة لاستحقاق ولايته وأن حكومة الوقت لم تكن فى وسعها أن ترد على تلك الأدلة [(١)] ، ويزعم بعض منهم أن لفظ الشيعة كان شائعًا فى عهد النبى ﷺ كما كان التشيع موجودا فى عصره ، وأن أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب وسواء بسواء [(٢)] . وورد فى كتاب آخر بعنوان « الشيعة فى التاريخ » لمحمد حسين الزين إذ يقول فيه : « إن التشيع ظهر فى أيام نبى الإسلام الأقدس الذى كان يغذى بأقواله عقيدة التشيع لعلى عليه السلام وأهل بيته ويمكنها فى أذهان المسلمين ، ويأمر بها فى مواطن كثيرة » [(٣)] .

ويرى الإمام المظفرى « أن الدعوة إلى التشيع ابتدأت من اليوم الذى هتف فيه المنقذ الأعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه صارخا بكلمة « لا إله إلا الله » فى شعاب مكة وجبالها فكانت الدعوة للتشيع لأبى الحسين عليه السلام من صاحب الرسالة تمشى منه جنبا لجنب مع الدعوة للشهادتين [(٤)] .

ويأتى الشيخ محمد كاشف الغطاء بأحاديث لإثبات نشأة التشيع فى عهد النبى صلوات الله وسلامه عليه وأنه غارس بذرتها منها « والذى نفسى بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة » وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٧] بأن الرسول ﷺ قال لعلى عندئذ ستقوم أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين .

---

(١) إمامت وملوكيت باللغة الأردية العلامة حسين بخش ص ٦٦ .

(٢) أهل الشيعة وأصولها محمد الحسين ص ٨٧ .

(٣) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين ص ٢٩ .

(٤) تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى ص ٨ ، ٩ .

(٥) أصل الشيعة وأصولها الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ٥٤ ، ٥٥ .

والذى يحدو بالشيخ كاشف الغطاء إلى تأكيده فكرة أن الشيعة ظهرت منذ عهد النبى ﷺ هو التفاف بعض الصحابة حول عليٍّ وحبهم له ولكنه يفسر هذا الحب والتجمع بمعنى أكثر تخصيصاً فيعلل التفافهم حوله أو ملازمتهم له بأن جعلوه إماما كمبلغ عن الرسول وشارح ومفسر لتعاليمه وأسرار حكمه وأحكامه (١) .

وإذا تناولنا الآراء التى سردناها آنفافى ميزان النقد فنجدها عارية تماما عن الصحة والحقيقة حيث إن الفكر الشيعى الموجود فى كتبهم المعتمدة لانجد له أثرا فى أيام النبى ﷺ أو بعد وفاته كما يدعى الشيعة ، والواقع أن الفكر الشيعى متأثر إلى حد ما بأفكار عبد الله بن سبأ التى جلبها من اليمن للانتقام من المسلمين عن تلك الإجراءات التى أقيمت ضد اليهود فى أيام النبى ﷺ وبعده نتيجة لأعمالهم التخريبية ، ومن هنا نرى أن الشيعة يقومون بالتأييد الكامل لأعمال عبد الله بن سبأ التى قام بها وجماعته ضد عثمان رضى الله عنه إذ يقول العلامة حسين بخش الشيعى معلقا على اغتيال عثمان رضى الله عنه « إن اغتيال عثمان رضى الله عنه ليس جريمة ، بل إن المصلحة العليا ونجاح المجتمع الإسلامى كان مقتضياً ضرورة اغتياله ، وإن عليًّا عليه السلام كان غير راض للدفاع عن عثمان (٢) .

إن هذه العبارة تكفى لإثبات موافقة الشيعة على الأعمال الإجرامية التى ارتكبها عبد الله بن سبأ وجماعته حيث إنه كان مؤسساً لمذهبهم ، وأما العقلية التى ترفض وجود عبد الله بن سبأ مدعية أن التشيع كان فى عصر النبى ﷺ أو بعد وفاته مباشرة فإن هذا الزعم خال من الحقيقة حتى أن بعض الشيعة لم يوافقوا عليه مثل ابن النديم الذى يرى بأن تكوين الشيعة لم يكن إلا يوم وقعة الجمل حيث قال : « ولما خالف طلحة والزبير عليًّا رضى الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان وقصدهما على عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله تسمى من اتبعه على ذلك باسم الشيعة (٣) .

ومنهم من قال : اشتهر اسم الشيعة يوم حنين (٤) وذهب إليه ابن همزة وأبو حاتم

---

(١) المرجع السابق ص ٥٥ .

(٢) إمامت وملوكيت باللغة الأردية العلامة حسين بخش ص ١٢٣ .

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٢٤٩ .

(٤) روضات الجنة للخوانسارى ص ٨٨ .

وغيرهما من الشيعة ، وإذا سلمنا بالآراء التى ذكرتها آنفاً حول نشأة الشيعة فى أيام النبى ﷺ وزعمهم أن الدعوة للتشيع لأبى الحسن عليه السلام قد بدأت من صاحب الرسالة والتى كانت تمشى منه جنباً لجنب مع الدعوة للشهادتين كما يرى محمد حسين المظفرى فإن هذا يوحى بأن رسالة محمد ﷺ كانت مقتصرة لتنظيم حزب على رضى الله عنه والدعاية له فقط (نعوذ بالله) .

والواقع أن نبينا العظيم محمد ﷺ كان بعيداً كل البعد عن هذا التفكير الضيق وأن رسالته كانت داعية إلى المحبة والمودة والألفة بين الناس ، وأنها قد ربطت جميع المسلمين فى العالم برباط الأخوة وهى ميزة كبيرة لرسالة محمد ﷺ التى تميزها عن الأديان الأخرى وأن الله سبحانه وتعالى قد عد نعمة الأخوة من النعم والكرم التى أكرم بها المسلمين إذ يقول : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعمةَ الله عَلَيْكُمْ إذْ كُنتُم أَعْداءً فأَلَّف بيْنَ قُلُوبكُمْ فأصْبَحْتُمْ بِنِعْمتِهِ إِخْوَاناً ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٠٣] .

ولو افترضنا وجود الشيعة فى أيام النبى ﷺ وأنه قد قام بتكوين هذا الحزب فأين ذكر هذا الحزب فى التاريخ ؟ ولماذا بايع المسلمون أبابكر وعمر رضى الله عنهما بنفس راضية وعن طيب خاطر ؟ ، ولماذا لم يعترضوا على البيعتين إذا كانتا غير شرعيتين ؟ ، ولماذا لم يحاولوا إعادة الحق إلى نصابه .

وكان عليهم إبداء مايجول فى فكرهم مثل الخوارج الذين قد أظهروا آراءهم بدون أى تردد بصرف النظر عن سلامة موقفهم .

خلاصة القول أن الزعم برفض شخصية عبد الله بن سبأ لا يقوم على دليل ولا برهان بل إنه خال عن الحقيقة كما يتضح من الأدلة التى قمتُ بعرضها من أمهات الكتب ومن ثم فيمكن لنا أن نقول إن التشيع قد نشأ وترعرع بأفكاره فى أحضان اليهودية وأما غارس بذرته الأولى وواضع حجره الأول فهو شخصيات يهودية مثل عبد الله بن سبأ وغيره من الدعاة الصامتين والناطقين .

والواقع أن عبد الله بن سبأ قد لعب دوراً خطيرًا فى التاريخ ، وإن الإسلام يعانى من أفكاره وآرائه التى كانت سبباً فى تفرق المسلمين إلى فرق تتناحر باسم الإسلام حتى عصرنا الحاضر .

أفكار عبد الله بن سبأ إن عبد الله بن سبأ كان ينتمى إلى أسرة علمية يهودية من صنعاء اليمن كما يروى التاريخ كان متعلما وملماً باليهودية . وفى نفس الوقت يعرف أساليب الدهاء والمكر ، حيث درس عقائد المسلمين لإلقاء بذرة الشكوك والشبهات فيها مقلداً فيه دور « بولس » ما عمله فى المسيحية حيث قام بتقديم بعض الأفكار والآراء التى كانت غريبة على الإسلام والمسلمين على الإطلاق وبالتالى أثرت على الوحدة الإسلامية والأخوة التى نادى بها الإسلام ، وإن التاريخ يشهد بأن أفكار عبد الله بن سبأ كانت سببا للنكسات والنكبات التى تضررت منها الأمة الإسلامية فيما بعد .

وجدير بالذكر أن المسلمين لعبوا دوراً كبيراً لإنقاذ الإنسانية من الضلال والقهر فإنهم كانوا فى موقع قيادى فى ذلك الوقت بسبب أعمالهم الجليلة وأفكارهم العظيمة التى بهر بها العالم ، وقد أدرك العالم أن نجاح المجتمع الإنسانى يكمن فى اتباع النظام الإسلامى وأن المسلمين كانوا مصدراً للخير والبركة حيث إن الشعوب المظلومة كانت تتوقع منهم دورًا قياديًا فى سبيل رفاهية الإنسانية وتقدمها ، ولكن مع الأسف ، إن السنوات الذهبية التى أقامت ثورة عظيمة فى الفكر والحضاره والتمدن لم تستمر طويلا حتى دخل عبد الله بن سبأ بأفكاره الهدامة التى قضت على تلك الآمال المنشودة ، والواقع أن عبد الله بن سبأ ليس عدوًا للإسلام ولأهله ، بل إنه ارتكب جريمة فى حق الإنسانية كلها وإنه مذنب ليس للتاريخ الإسلامى فقط بل أمام تاريخ العالم كله بسبب أعماله القذرة التى كانت سبباً فى حرمان الإنسانية من الخير والتقدم .

وفيما يلى عرض لأفكار عبد الله بن سبأ الهدامة :

طعن عبد الله بن سبأ فى عقيدة التوحيد إن الدين الإسلامى الحنيف يقوم أساساً على عقيدة التوحيد ، وإن القرآن الكريم والحديث النبوى قد قاما بتركيز هذا المبدأ العظيم ، وإن عقيدة المسلم لا تصح بدون عقيدة التوحيد لأنها روح الإسلام الحقيقى ، وهذا المبدأ العظيم يجلب الفائدة الكبيرة للجنس البشرى لأنه يجمع البشر حول إله واحد ، وفى ذلك توحيد اتجاههم وغرس نظام الأخوة بينهم ، أما تعدد الآلهة فمعناه تفرق البشر وذهاب كل فريق إلى التعصب لما وجّه

قلبه إليه ، وفى ذلك فساد النظام وخسارة للبشرية كما يقول الإمام محمد عبده فى كتابه بعنوان « رسالة التوحيد » [١] .

وإن القرآن الكريم قد اتخذ أسلوبا منطقيا فى مسألة التوحيد يرى بأن التعدد ليس فى مصلحة الكون كما يقول سبحانه وتعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [سورة الأنبياء الآية ٢٢] .

ومن ثم فإن المصلحة العليا للإنسانية موجودة فى عقيدة التوحيد ، وإن عبد الله ابن سبأ كان من ألد الأعداء للإنسانية حيث إنه كان لا يرغب فى المصلحة والخير للعالم ، ومن ثم فقام أول طعن فى عقيدة التوحيد وذلك بوضع الأحاديث فى مدح على ابن أبى طالب رضى الله عنه وأفضليته على جميع أصحاب النبى ﷺ ثم أفضليته على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأخيراً قال بألوهية على بن أبى طالب رضى الله عنه كما يقول ابن عساكر فى تاريخه : « لما بويع على رضى الله عنه خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ فقال له : أنت دابة الأرض ، فقال له : اتق الله ، فقال له : أنت الملك ، فقال : اتق الله ، فقال له : أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق فأمر بقتله » [٢] ، ويقول العلامة الشهرستانى فى كتابه بعنوان « الملل والنحل » أصحاب عبد الله بن سبأ الذى قال لعلى : أنت أنت يعنى أنت الإله فنفاه إلى المدائن [٣] ، وجاء فى نفس الكتاب « إن علياً حى لم يقتل وفيه الجزء الإلهى ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو الذى يجىء فى السحاب ، والرعد صوته والبرق سوطه [٤] .

إن هذه الفكرة قد لقيت ترحيبا عند بعض جماعة من الزط كما أقر العالم الشيعى أبو عمر محمد بن عمر بن العزيز الكشى فى كتابه : « معرفة أخبار الرجال [٥] ؟ والكلينى فى كتابه بعنوان : الكافى » [٦] ولكن الأخير لم يقم بتحديد جماعة الزط ، إن هذه

---

(١) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ص ٧٦ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ١١ .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى ص ١٧٤ .

(٤) نفس المصدر ج ٢ ص ١١ .

(٥) معرفة أخبار الرجال للكشى ص ٧١ .

(٦) الكافى للكلينى ج ٧ ص ٢٥٩ .

الفكرة التى غرس بذرتها عبد الله بن سبأ قد استقرت عند بعض النفوس المريضة ، بدليل أن هذا الزعم له صدى عند بعض الشيعة الذين يرون أن عليًّا أنقذ نوحاً من الطوفان ويقدم العون للإنسان عند المصائب .

وجدير بالذكر أن بعض الشيعة ينادون عليا رضى الله عنه عند المصيبة رغم أن القرآن يصرح بكل وضوح ﴿ وَمَالَكُم مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ ولِىٍّ ولا نصير ﴾

[سورة البقرة الآية ١٠٧] .

وجاء فى الآية الأخرى : ﴿ وَلَاتَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مالَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ .

[سورة يونس الآية ١٠٦] .

وكذلك يعتقدون أن النور الذى رآه موسى عليه السلام عند جبل الطور إنما هو نور على ، وأنه كان عند العرش الإلٰهى فى وقت معراج النبى ﷺ ويربطون التميمة التى تحمل اسم على وبعض صفاته على أكتافهم ويسمونها الإمام الضامن معتقدين بأن عليًّا يحافظ عليهم فى سفرهم .

والسؤال الذى يدور فى أذهاننا : هل لها من أثر فى القرآن أو السنة ؟ وهل علىٌّ رضى الله عنه قام بعرضها ؟ أو أوصى بها ؟! .

والواقع أنه ليس فى وسعنا إلا أن نقول بأن الأباطيل الموضحة كلها وردت نتيجة أفكار عبد الله بن سبأ الذى كان يعتقد ألوهية على بن أبى طالب رضى الله عنه .

طعن عبد الله بن سبأ فى نبوة محمد ﷺ إن رسالة محمد ﷺ نعمة عظيمة أنعمها الله على الإنسانية التى كانت تعيش فى الظلام المطبق والجهل الذى شل جهاز الفهم والإدراك .

وإن البشرية فى ذلك الوقت كانت ترغب فى قيام النظام الذى يخلصها من لعنة الكفر والضلال ولكنها فشلت فى تحقيق هدفها ؛ بل إنها دخلت فى مرحلة اللارجعة فيها وإن تاريخ العالم يروى لنا بأن البشرية قد رأت نور الهداية والرشد فى مختلف عصورها ، ولكنها اختفت بسرعة وعادت إلى حالتها الأولىٰ ، وفى تلك الظروف القاسية والظلام الحالك ارتفع صوت من غار حراء داعياً إلى عبادة خالق الكون وقاضياً على جميع الأفكار والمعتقدات التى ضلت الإنسانية فيها طريقها الصحيح ، وقدم نظاما للبشرية كلها تسعد به .

والواقع أن العالم يدين لهذا النبى الأمى الذى قام بتصحيح وضع الإنسانية على أسس سليمة ، ولكن الحقد والضغينة كانتا بالمرصاد لصد الناس عن دعوته العظيمة بمكة المكرمة ولما هاجر إلى المدينة انتقل الحقد إلى اليهود والمنافقين لصد الناس عن دعوته ووضع العراقيل أمام انتشارها وامتد ذلك حتى أسلم ابن سبأ وتبنى هذه الفكرة ليكون امتدادا لما قام به أهله وذويه من اليهود الحاقدين على الإسلام وأهله حيث إنه أراد تصغير شأن محمد ﷺ وسلب حبه وولائه من قلوب المسلمين وذلك بتقديم فكرة الأئمة وعصمتهم مدعيا بفرض إمامة على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذلك بالأسلوب الذى يتسم بالدهاء والمكر حيث قال : إن كل نبى له وصى ، وعلى كان وصياً ووزيراً لمحمد ﷺ كما يتضح من أمهات الكتب للمذهب الشيعى حيث يقول أبو عمر محمد بن عمر بن العزيز الكشى فى كتابه بعنوان « معرفة أخبار الرجال » : إن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام ، وكان يقول فى يوشع بن نون : وصى موسى عليه السلام وقال فى الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ فى على مثل ذلك وأول من اشتهر بالقول بفرض إمامة على » (١) .

ويقول الإمام نعمة الله الجزائرى فى كتابه بعنوان « أنوار النعمانية » « كان يهوديا فأسلم وكان فى اليهودية يقول فى يوشع بن نون وصى موسى عليه السلام مثل ما قال فى علىّ وقال بوجوب إمامته عليه السلام (٢) .

وجاء فى « روضة الصفاء » لمؤرخ شيعى : أن عبد الله بن سبأ توجه إلى مصر حينما علم أن مخالفيه (أى عثمان بن عفان) كثيرون هناك فتظاهر بالعلم والتقوى حتى فتن الناس بعده ، وبعد رسوخه فيهم بدأ يروج مذهبه ومسلكه وأن لكل نبى وصيًّا وخليفة فوصى رسول الله ﷺ خليفته ليس إلا عليا المتحلى بالعلم والتقوى والمتزين بالكرم والشجاعة والمتصف بالأمانة والتقى (٣) .

إن أقوال عبد الله بن سبأ المشار إليها توضح مابين السطور بأن درجة الإمامة

---

(١) معرفة أخبار الرجال للكشى ص ٧١ .

(٢) أنوار النعمانية ج ١ ص ٢٠٧ للإمام نعمة الله الجزائرى .

(٣) روضة الصفاء ج ٢ ص ٢٩٢ .

لاتقل عن منصب النبوة ، ويجب طاعة الإمام فى الأوامر والنواهى ، وأن الإمامة ركن من الدين يجب الاعتقاد بها ، وكان يهدف عن طريق أفكاره المبينة بتقليل منزلة النبوة أو الرسالة مشيراً إلى أن دور النبى ﷺ كان محدوداً لفترة معينة بعكس الأئمة المؤيدين من الله تعالى ، وفى الحقيقة ، إن عبد الله بن سبأ كان يرغب فى القضاء على علاقة المسلم برسوله بعرض فكرته بألوهية على رضى الله عنه لتقليل منزلة الله سبحانه وتعالى ، ثم قام بتقديم فكرة الإمامة لتصغير أهمية محمد ﷺ .

والواقع أن عبد الله بن سبأ قد حقق نجاحا فى خطته لأن أفكاره كانت موضع الترحيب والاحترام عند بعض الجماعة ولها تأثير واضح عند الشيعة بحيث إن علاقتهم مع النبى ﷺ ليست قوية بدرجة علاقتهم بالأئمة ، وهم يعتقدون أن دور محمد ﷺ كان لفترة معينة ثم انتهى بموته وأن دور الأئمة فيه صفة الاستمرارية والبقاء .

محاولة إثبات نظرية الرجعة عند عبد الله ابن سبأ

إن عبد الله بن سبأ قد جلب نظرية الرجعة من اليهودية وحاول إدخالها فى الإسلام وزعم أن محمدا ﷺ يرجع مثل رجعة عيسى عليه السلام وكان يقول « العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمدا لا يرجع » .

ويستشهد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقرآنَ لرادُّكَ إِلى مَعَادٍ ﴾ [القصص : ٨٥] ثم قال برجعة على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان يستدل من الآية ﴿ وَإِذا وَقعَ الْقوْلُ عَلَيهِم أَخْرَجْنا لهُم دَابَّةً منَ الْأَرض تُكلِّمُهمْ ﴾ [النمل : ٨٢] [ابن عساكر ج ٢٠ ص ٥٧٨] .

وذكر الشيخ عبد القادر الجيلانى متحدثا عن نظرية عبد الله بن سبأ بشأن الرجعة المذكورة فقال : « وأما السبائية منسوبة إلى عبد الله بن سبأ من دعواهم أن عليا لم يمت وأنه يرجع قبل يوم القيامة [1] وكذلك عرض هذا الموضوع أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى فى كتابه بعنوان « فرق الشيعة » فقال : إن علياً لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلمًا وجورًا [2] .

---

(١) غنية الطالبين للشيخ عبد القادر الجيلانى .

(٢) فرق الشيعة للنوبختى ص ٤٤ .

ومن هنا يتضح أن فكرة الرجعة قد غرسها عبد الله بن سبأ التى تطورت فيما بعد حاملة طياتُها الخرافات والأباطيل التى لاحد لها كما سنعرضها إن شاء الله فى موضعها .

وقبل أن نختم الحديث عن أفكار عبد الله بن سبأ من الأفضل أن نشير إلى نقطة هامة وهى أن بعض الباحثين يرون بأن نظرية أبى ذر الغفارى رضى الله عنه حول المال متأثرة بأفكار عبد الله بن سبأ ، والواقع أن هذا الكلام لانجد له أثراً فى الكتب المعتمدة التى تقوم بسرد أفكار عبد الله بن سبأ .

* * *

الباب الثانى

معتقدات الشيعة

إن المذهب الشيعى موزع على فرق عديدة ، وكل فرقة تنفرد عن الأخرى فى الرأى والعقيدة ، ومن ثم فإن من الصعب حصر جميع الفرق وبيان معتقدات كل فرقة على حده ، ولكن يمكن أن نجملها فيما يلى .

(١) إن بعض الشيعة يفضلون عليا رضى الله عنه لتوليه الإدارة بعد وفاة النبى ﷺ مباشرة ولا يتبرأون من غيره من أصحاب النبى ﷺ .

(٢) وإن بعضا منهم يفضلون عليا رضى الله عنه لتوليه أمور المسلمين بعد وفاة النبى ﷺ وفى نفس الوقت يتبرأون من غيره من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

(٣) وإن طائفة من الشيعة تزعم أن عليًّا رضى الله عنه معبودهم وأن الله سبحانه وتعالىٰ قد حل فيه .

(٤) وجماعة منهم ترى أن جبريل عليه السلام قد أخطأ فى مهمته حيث أنزل الوحى على محمد ﷺ بدلًا من على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٥) ويذهب جماعة من الشيعة إلى تكفير جميع أصحاب النبى ﷺ ماعدا أربعة من أصحابه .

إن فرقة « الإمامية » وهى أكبر فرقة من جميع فرق الشيعة على الإطلاق ، ولذلك نتناول فى هذا الباب معتقدات هذه الفرقة ثم نقوم بتحليلها فى ضوء الكتاب والسنة .

نظرية الإمامة

إن فكرة الإمامة قد نالت اهتماما كبيرا فى المذهب الشيعى بحيث إن أهميتها لا تقل عن عقيدتى التوحيد والرسالة ، بل إنها تفوق عليهما عند الشيعة وإن المصادر الأصلية . للمذهب الشيعى قد تروى لنا بعض الأوصاف الخاصة للأئمة التى تخالف أصل عقيدة التوحيد .

وأعرض هنا ما ورد بخصوص هذا الشأن فى الكتب المعتمدة للمذهب الشيعى التى تكشف لنا حقيقة فكرة الإمامة والغلو الشديد فيها بحيث إن منزلة الإمامة قد تفوق على الرسالة وربما تصل إلى درجة الألوهية ، إن الشيعة يعتقدون أن الإمامة ركن من أركان الدين ولا يجوز لنبى إغفالها ولا تفويضها إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام بالنص وأن

يكون هذا الإمام معصوما عن الكبائر والصغائر ، وقاموا بحصر الإمامة فى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وذريته من بعد وفاته يتولونها بالوراثة مستدلين بقول النبى ﷺ « من كنت مولاه فعلى مولاه » ، ويبررون ذلك بما ورد فى كتب الشيعة مثل ما جاء فى أعيان الشيعة « إن الإمامة رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبى ﷺ وإنما وجبت لأنها لطف ، واللطف واجب كما تقدم فى النبوة وإنما كانت لطفا لأن الناس إذا كان لهم رئيس مطاع مرشد يردع الظالم عن ظلمه ويحملهم على الخير ويردعهم عن الشر كانوا أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ، فالدليل الدال على وجوب النبوة يدل على وجوب الإمامة » [(١)] .

ويقول السيد زين « أما الإمامة فهى واجبة لأن الإمام نائب عن النبى ﷺ فى حفظ الشرع الإسلامى وتسيير المسلمين على الطريق القويم ، وفى حفظ وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان » [(٢)] .

وقال الحلى « إن الإمام يجب أن يكون حافظا للشرع لانقطاع الوحى بموت النبى ﷺ وآله ، وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل أحكام الجزئيات الواقعة يوم القيامة ، فلا بد من إمام منصوب من الله تعالى ، وحاجة العالم داعية إليه ولا مفسدة فيه فيجب نصبه ، أما الحاجة فظاهرة أيضا لما بيناه من وقوع التنازع بين العالم ، وأما انتفاء المفسد فظاهر أيضا لأن المفسدة لازمة بعدمه ، أما وجوب نصبه فلأن عند ثبوت القدرة والداعى وانتفاء الصارف يجب الفعل [(٣)] .

إن الأقوال المشار إليها توضح الأسباب والعلل التى دعت الشيعة إلى القول بوجوب الإمامة ، وأما الأوصاف التى وردت بخصوص الأئمة فى المراجع للمذهب الشيعى فنذكرها حرفيا ، والتى توضح أن الشيعة جعلوا أئمتهم فوق البشر والرسل ومنزلتهم لا تقل عن منزلة الإله حيث يعلمون أعمار الناس وآجالهم ولا يخفى عليهم خافية ، ويملكون الدنيا ، ويغلبون على جميع الخلق ، ويرتعد الكون من هيبتهم وشدة

---

(١) أعيان الشيعة لمحسن الأمين ج ١ ص ٦ .

(٢) الشيعة فى التاريخ للسيد زين ص ٤٤ .

(٣) منهاج الكرامة للحلى ص ٧٢ .

بأسهم ، يدين لهم الملائكة ، كما دان لهم الأنبياء والرسل ، ولايضاهيهم أحد ، وغيرها من الأوصاف التى يصفون بها أئمتهم كما تحكى لنا كتبهم .

الأئمة معصومون مثل عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى نظر الشيعة

ورد فى « أصول الكافى » باباً مستقلا بخصوص فضائل الإمام وصفاته التى تحتوى على بعض العبارات التى توحى بأن الأئمة معصومون عن الكبائر والصغائر مثل ماجاء : « الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب » (١) ، وورد فى مكان آخر فى نفس الكتاب « فهو معصوم مؤيد موفق مسدد قد أمن من الخطأ والزلل ، يخصه الله بذلك ليكون حجة على عباده وشاهداً على خلقه . (٢) وبالإضافة إلى ذلك فإن علماء الشيعة يرون أن الآية ﴿ إنما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهْلَ الْبَيْت وَيُطهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ٣٣] تؤيد ماذهبوا إليه بشأن عصمة الأئمة .

وعقد السيد محمد حسن الموسوى القزوينى الحائرى فى كتابه بعنوان « فدك » فصلا تحت عنوان « النص الجلى عن عصمة على وفاطمة » فيقول فيه : « وذلك قوله تعالى » : ﴿ إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكم الرِّجْسَ أَهْلَ البيت ويُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا ﴾ ففى جميع الصحاح والسنن وكتب المناقب للعامة والخاصة ، أن النبى ﷺ جلل الحسن والحسين وعلى وفاطمة كساءً ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا » فنزلت الآية إجابة لدعاء النبى ﷺ (٣) .

الأئمة يعلمون الغيب

يروى الكلينى كبير الشيعة ومحدثهم فى صحيحه « أصول الكافى » تحت باب « إن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا » جاء فيه رواية عن طريق جعفر الصادق أنه

---

(١) أصول الكافى للكلينى ص ١٢١ .

(٢) نفس المصدر ص ١٢٢ .

(٣) فدك للسيد محمد حسين الموسوى القزوينى الحائرى تحقيق باقر المقدسى ص ٧٠ ، ٧١ .

قال : إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم [١] ، وجاء فى رواية أخرى فى نفس الباب « إن الأئمة يعلمون متى يموتون وإنهم لا يموتون إلا باختيار منهم » [٢] .

ميزان الحياة لايتم بدون الإمام يروى أصول الكافى أن الدنيا فى حاجة إلى الأئمة لبقائها ، ونذكر هنا بعض الروايات التى وردت بخصوص هذا الموضوع منها : رواية عن طريق أبى حمزة قال : قلت لأبى عبد الله : تبقى الأرض بغير إمام ؟ قال : لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت [٣] ، ورواية أخرى عن طريق أبى جعفر أنه قال : « لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله » [٤] .

معرفة الأئمة جزء من الإيمان عقد الكلينى فى كتابه « أصول الكافى » فصلا خاصاً تحت عنوان : « باب معرفة الإمام والرد إليه » أورد فيه بعض الروايات التى تشير إلى أن معرفة الأئمة جزء من الإيمان مثل ماجاء فيه : « لا يكون العبد مؤمنًا حتى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وإمام زمانه » [٥] .

وجاءت رواية أخرى عن زريح قال : « سألت أبا عبد الله عن الأئمة بعد النبى ﷺ فقال : كان أمير المؤمنين عليه السلام إمامًا ، ثم كان الحسن إماماً ، ثم كان الحسين إماماً ، ثم كان على بن الحسين إماماً ، ثم كان محمد بن على إماماً ، من أنكر ذلك كان كمن أنكر معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفة رسول الله [٦] .

---

(١) الكافى فى الأصول للكلينى ص ٢٥٨ .

(٢) نفس المصدر ص ١٥٨ .

(٣) نفس المصدر ص ١٠٤ .

(٤) نفس المصدر ص ١٠٤] .

(٥) أصول الكافى للكلينى ص ١٠٥ .

(٦) نفس المصدر ص ١٠٦ .

منزلة الإمامة فوق منزلة النبوة

إن بعض كتب الشيعة تروى أن الأئمة يتفوقون على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، مثل مايقول العلامة باقر المجلسى فى كتابه بعنوان « حياة القلوب » باللغة الفارسية : « إن منزلة الأئمة فوق منزلة النبوة والرسالة » [(١)] .

ويروى الكلينى فى كتابه « أصول الكافى » رواية نقلا عن الإمام جعفر الصادق أن الأئمة نالوا مرتبة فوق مرتبتى موسى والخضر هذا مانصه « لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنى أعلم منهما ولأنبأتهما ماليس فى أيديهما ، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ماكان ولم يعطيا علم مايكون وماهو كائن حتى تقوم الساعة » [(٢)] .

الأئمة يزورون العرش الإلهى

ورد فى أصول الكافى أن الأئمة يزورون العرش الإلهى ويتلقون العلوم والمعارف من الذات الإلهية نفسها كما يحكى لنا الكلينى « إن لنا فى ليالى الجمعة لشأن من الشأن يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى عليهم السلام وأرواح الأوصياء الموتى وروح الوصى الذى بين أظهركم يعرج بها إلى السماء حتى توافى عرش ربها فتطوف به أسبوعا فتصلى عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين ، ثم يرد إلى الأبدان التى كانت فيها فتصبح الأنبياء والأوصياء وقد ملئوا سروراً ويصبح الوصى الذى بين ظهرانيكم وقد زيد فى علمه مثل الجم الغفير » [(٣)] .

الأئمة يعتمدون على مصادر المعرفة غير القرآن والسنة

تروى لنا المصادر للمذهب الشيعى أن الأئمة توجد لديهم مصادر المعرفة غير القرآن والسنة وهى الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام كما جاء فى أصول الكافى على لسان الإمام جعفر الصادق ردًّا على سؤال حول مصادر معرفة الأئمة فقال : « وإن عندنا الجفر مايدريهم ما الجفر قال : قلت وما الجفر ؟ قال وعاء من أدم

---

(١) حياة القلوب ج ٣ ص ١٠ .

(٢) أصول الكافى للكلينى ص ١٦٠ .

(٣) أصول الكافى للكلينى ص ١٥٥ .

فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء والذين مضوا من بنى إسرائيل » ، ثم قال : « وإن عندنا مصحف فاطمة عليها السلام ، ومايدريهم مامصحف فاطمة ؟ قال : « فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله مافيه من قرآنكم حرف واحد » (١) .

وإن كتب الشيعة تذكر كثيرا مصحف فاطمة حيث إن له أهمية كبيرة لدى المذهب الشيعى ولكن عندما ندرس حقيقة هذا المصحف نجد أنه لا يتجاوز أكثر من الخرافة كما يتضح من الرواية التى ذكرها الكلينى عن طريق الإمام جعفر الصادق إذ يقول : « إن الله لما قبض نبيه عليه السلام دخل فاطمة من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فأرسل إليها ملكا يسلى غمها ويحدثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها : إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولى لى ، فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً » (٢) .

الشيعة يزعمون أن الإمامة وردت فى جميع الكتب السماوية

يزعم الشيعة أن جميع الكتب السماوية تذكر الإمامة نظراً لأهميتها ، وكذلك أن جميع الأنبياء والمرسلين قاموا بذكرها فى تعليماتهم ، ويتضح من الرواية التى أوردها الكلينى فى كتابه عن طريق أبى عبد الله عليه السلام حيث قال : « ولايتنا ولاية الله التى لم يبعث نبى قط إلا بها » (٣) ، وجاء فى رواية أخرى بخصوص ذكر الإمامة فى صحف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن طريق أبى الحسن عليه السلام أنه قال : « ولاية على عليه السلام مكتوبة فى جميع صحف الأنبياء ، ولم يبعث الله رسولا إلا بنبوة محمد ﷺ وآله ووصية على عليه السلام » (٤) .

موت الأئمة باختيارهم

عقد الكلينى بكتابه « أصول الكافى » فصلاً تحت عنوان « إن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون ، وإنهم لا يموتون إلا باختيار منهم » وأورد فيه الرواية التى تذكر

---

(١) نفس المصدر ص ١٤٦ .

(٢) أصول الكافى للكلينى ص ١٤٧ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٧٦ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٧٦ .

أن الله سبحانه وتعالىٰ قد أعطى لحسين بن على عليه السلام الخيار بين الموت والنصر كما يتضح من هذه الرواية التى وردت عن طريق أبى جعفر عليه السلام أنه قال : « أنزل الله عز وجل النصر على الحسين عليه السلام حتى كان بين السماء والأرض ، ثم خير بين النصر ولقاء الله فاختار لقاء الله عز وجل » (١) .

الكون فى قبضة الأئمة

عقد الكلينى فى كتابه باباً بعنوان : « باب أن الأرض كلها للإمام عليه السلام » وأورد فيه رواية عن طريق أبى البصير أن الإمام جعفر الصادق يؤكد أن الدنيا والآخرة تحت تصرفات الإمام وهذا مانصه « أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعهما حيث شاء ويدفعها إلى من يشاء » (٢) .

معرفة الأئمة أهم من معرفة الأنبياء والمرسلين والملائكة

يروى الكلينى فى كتابه رواية تدور حول معرفة الأئمة أن الله سبحانه وتعالىٰ قد خصص للأئمة من العلوم والمعرفة التى ما أعطاها الأنبياء والمرسلين والملائكة عليهم الصلاة والسلام كما يتبين من هذه الرواية التى رواها أبو عبد الله عليه السلام حيث قال : « إن لله تبارك وتعالىٰ علمين : علم أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله ، فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه ، وعلم استأثر الله به فإذا بدأ الله بشىء منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا » (٣) .

ظهور المعجزات على أيدى الأئمة مثل معجزات الأنبياء والرسل

أورد « الكلينى » فى كتابه رواية توحى بأن الأئمة يحملون المعجزات الخاصة التى أظهرها الله سبحانه وتعالىٰ على أيدى أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام مثل ماجاء عن طريق الإمام الباقر بعد أداء فريضة العشاء : « خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم وفى يده خاتم سليمان وعصا موسى » (٤) .

---

(١) أصول الكافى للكلينى ص ١٤٧ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٥٩ .

(٣) نفس المصدر ص ١٥٦ .

(٤) أصول الكافى للكلينى ص ١٤٢ .

مناقشة عقيدة الشيعة فى الإمامة

إن مزاعم الشيعة حول الإمامة تؤكد أن منزلة الإمامة تفوق درجة النبوة والرسالة ربما تصل إلى درجة الألوهية ، وإن الشيعة قد قاموا بمنح أئمتهم سلطات واسعة تتجاوز سلطات بطرس الرسول عندما استودعه المسيح شئون الكنيسة العالمية وحكم العالم كله على حسب الروايات المسيحية ، ولكن البطرس غير حامل تلك الصفات التى نجدها عند أئمة الشيعة ، ولقد أحسن الدكتور « أحمد أمين » فى كلامه بشأن هذا الموضوع إذ يقول : « إن عقيدة الشيعة على هذا المنوال تشل العقل وتميت الفكر وتعطى للخليفة أو الإمام سلطة لاحد لها فيعمل مايشاء وليس لأحد أن يعترض عليه ، ولا لثائر أن يثور فى وجهه » [(١)] .

والواقع أن فكرة الإمامة مستمدة من الحكم الفارسى الذى كان عبارة عن نظرية الحق الإلهى لملوك الفرس والتى كانت مقتصرة على ملوك أكاسرة فقط ، وإن الفرس كانوا يرون لملوكهم أنهم صور مجسمة للآلهة كما يقول الأستاذ « دوزى » : « إن الشيعة فرقة فارسية فى حقيقتها وجوهرها » ويقول : « إن الفارسى لم يستطع أن يتصور أن يوجد خليفة بالانتخاب ، فهذه الفكرة غير معهودة له وغير معقولة ، وإنما المبدأ الوحيد الذى يمكنه هو مبدأ الوراثة [(٢)] .

إن الأستاذ دوزى صادق فى كلامه لأن بيت « آل على » قد حل فى قلوب هؤلاء الفرس باعتبارهم محل بيت « آل ساسان » إنهم قد منحوا لبيت آل على نفس الامتيازات والسلطات التى منحوها لآل ساسان

وإذا درسنا موضوع الإمامة فى ميزان القرآن والسنة فلا نجد شيئاً ما يؤيد مذهبهم ، وإن الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ التى ترى نحلة الشيعة بأنها تؤيد عقيدتهم فى عصمة الأئمة [(٣)] ، وكذلك إن الآية مخصصة للنبى ﷺ

---

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٢١ دكتور أحمد أمين .

(٢) [HISTORY OF ISLAM DOZY P.214] .

(٣) [التبيان فى تفسير القرآن لأبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى ج ٨ ص ٣٣٩] .

والسيدة فاطمة الزهراء وعلى بن أبى طالب وابنيهما الحسن والحسين رضى الله عنهم فإن استدلالهم على ثلاث نقاط هى : تحديد المراد بأهل البيت فى الآية الكريمة ثم دلالة الآية على عصمتهم ، وأخيرا التلازم بين العصمة والإمامة وذهبوا ، إلى أن المراد بأهل البيت هم هؤلاء الخمسة فقط مستدلين بشيئين :-

الأول : الخطاب فى قوله تعالى : « عنكم » و « يطهركم » بالجمع المذكر يدل كما يقولون على أن الآية الشريفة فى حق غير زوجات رسول الله ﷺ وإلا فسياق الآية يقتضى التعبير بخطاب الجمع المؤنث أى « عنكن » و « يطهركن » ، فالعدول عنها إلى الخطاب بالجمع المذكر يشهد بأن المراد من أهل البيت غير الزوجات .

الثانى : أخبار تدل على أنها فى الخمسة الأطهار ، وبالرجوع إلى كتاب الله نجد قوله : ﴿ قَالوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُم أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ [سورة هود : الآية ٧٣] ، هذا خطاب لامرأة إبراهيم عليه السلام .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قضَى مُوسَى الأَجَلَ وسَارَ بأَهْلِهِ ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ ناراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنسْتُ ناراً لَعلِّى آتِيكُمْ مِنْها بِخَبرٍ أو جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لعلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [سورة القصص : الآية ٢٩] ، ومعلوم أن موسى سار بزوجته ابنة شعيب عليه السلام .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قبلُ فَقالَتْ هل أَدُلُّكُمْ على أهل بيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لكُمْ وهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فرددْنَاهُ إِلَى أُمِّه ﴾ [سورة القصص الآية : ١٢ ، ١٣] .

وقوله عز وجل : ﴿ إنَّا مُنجُّوكَ وَأَهلَكَ إلَّا امرأَتَكَ كانتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [سورة العنكبوت الآية : ٣٣] وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِى لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخَاطِئِينَ ﴾ . [سورة يوسف الآية : ٢٩] .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى تبين أن الاستعمال القرآنى لا يمنع أن يكون المراد بأهل البيت فى الآية الكريمة نساء النبى مع الخطاب بالجمع المذكر ، بل إن المذكر هو الذى يمشى مع هذا الاستعمال فلم أجد التعبير المؤنث مع كلمة « الأهل » سواء أريد بها الزوجات أم غيرهن فى القرآن الكريم كله [١] .

---

(١) انظر مادة « أهل » فى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن وارجع إلى الآيات الكريمة التى اشتملت على هذه الكلمة .

واحتج طائفة من العلماء على أن الآل هم الأزواج والذرية بما روى عن الرسول ﷺ عندما سئل كيف نصلى عليك ؟ فقال : قولوا : « اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد » (١) كما أن المعنى اللغوى : الأهل لايخرج الزوجات (٢) .

فالاستعمال القرآنى والنبوى واللغوى لا يخرج الزوجات عن آية التطهير .

ويقول ابن كثير (٣) تحت تفسير هذه الآية : « الذى لا يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبى ﷺ داخلاتٍ فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكم الرِّجْسَ أَهلَ البَيْتِ ويُطهِّرَكُم تَطْهيرًا ﴾فإن سياق الآية معهن ، ولهذا قال تعالى بعد هذا كله : ﴿ واذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فى بُيوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب : ٣٤]

ويقول القرطبى : « فكيف صار فى الوسط كلاماً منفصلا لغيرهن وإنما هذا شيء جرى فى الأخبار أن النبى ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية دعا عليا وفاطمة والحسن والحسين فعهد النبى ﷺ إلى كساء فلفها عليهم ، ثم ألوى بيده إلى السماء فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى ، اللهم هؤلاء أهل بيتى ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » . فهذه دعوة من النبى ﷺ لهم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم فى الآية التى خوطب بها الأزواج (٤) .

والواقع أن نص القرآن الكريم يخاطب زوجات النبى ﷺ ولم ينقطع توجيه الخطاب إليهن حتى نهاية آية التطهير .

ويرى الشيعة أنه لا يجوز الخطأ على أهل البيت مستدلين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهبَ عَنكُم الرِّجسَ أهلَ البيْتِ ويُطَهِّركُم تطْهيراً ﴾ وقد عارض الأستاذ الشيخ محمد الخضرى هذا التفسير وبين خطأه من وجهين :

الأول : أن مفهوم الآية : أهل البيت ليس كما يتصوره الشيعة وسياق الآيات

---

(١) نيل الأوطار ج ٢ ص ٣٢٤ لمحمد بن على بن محمد الشوكانى .

(٢) انظر المادة فى معاجم اللغة .

(٣) ابن كثير ج ٣ ص ٤٨٣ .

(٤) تفسير القرطبى ج ١ ص ٣٣٢ .

القرآنية يوضح ذلك ، فالآيات نزلت فى خطاب أزواج النبى صلوات الله وسلامه عليه ، قال تعالىٰ : ﴿ يَانِسَاءَ النبيِّ لستُنَّ كأَحدٍ مِنَ النِّساءِ ﴾، هذه الآية سبقت الآية التى يستدل بها الشيعة على امتناع الخطأ ، ثم الآية التى لحقتْها تقول : ﴿ واذْكُرْنَ مايُتْلَى فى بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللهِ والحِكمَةِ إنَّ اللهَ كانَ لَطِيفاً خبيراً ﴾ فما سبق الآية المستدل بها وماحلقها يدل على أن المقصود بأهل البيت هن أزواجه المطهرات .

الثانى : أن تفسير الرجس بمعنى الخطأ لا يتفق مع المقصود بالآية إذ الرجس فى هذه الآية يعنى ماينقص قدر بيت النبوة من الريبة والمعاصى ، فقد شاء الله أن يطهرهن من ذلك تطهيرا [١] .

والواقع أن فكرة عصمة الأئمة لا تفيد المسلمين حيث إنها تسلب من الأمة الإسلامية العقل والإيمان وتنقلهما وتحصرهما فى عدد محدود من الأئمة بينما التصور الحقيقى أن يكون للأمة ، بواسطة أعلامها والمجتهدين فيها العقول التى تعصمها والإيمان الذى يهديها إلى الصراط المستقيم ، وليت الأئمة الذين يصفهم الشيعة بالعصمة كلهم على قيد الحياة ظاهرين وإنما الإمام مختف فى سرداب واختفاؤه هذا لا يغنى الأمة فى شىء [٢] .

كما أفحم الرازى الشيعة عند رده عليهم بادعاء العصمة للأئمة فيذهب إلى القول بأنه إذا كان المعصوم فى غير حاجة إلى إمام فإن عليا بن أبى طالب كان فى حاجة إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فإن زعم الشيعة أن أمير المؤمنين لم يكن فى حاجة إلى النبى ﷺ لأصبح هذا انحرافا عن الدين ، أما إذا زعموا بأنه لم يكن معصوماً بطلت قاعدة العصمة للإمام من أول حياته حتى آخرها [٣] .

وهناك سؤال عند افتراض رأى الشيعة بخصوص الآية الموضحة وهو : لماذا يخرج الشيعة رقية وأم كلثوم رضى الله عنهما من ميزة العصمة التى يخصونها لخمسة أشخاص فقط ، وإذا كانوا مؤمنين بذلك فلماذا يمنحون فاطمة مايمنعون عن إخوتها ؟

---

(١) أصول الفقه ص ٣٤٦ الأستاذ الشيخ محمد الخضرى بك .

(٢) الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة ص « خ » موسى جار الله .

(٣) نهاية العقول فى دراية الأصول ص ٤٣٥ الرازى .

وأما الأحاديث التى يتمسك بها الشيعة لتأييد مذهبهم فإنها ليست خالية من الضعف والوضع ، ولا يوجد هناك حديث صحيح يؤيد مايرون .

وننتقل بعد هذا إلى دلالة الآية الكريمة على العصمة كما يرون (الشيعة) بلسان الطوسى الملقب بشيخ الطائفة الذى يقول : « استدل أصحابنا بهذه الآية على أن فى جملة أهل البيت معصوماً لا يجوز عليه الغلط » (١) .

والواقع أن هذا الرأى لا يقوم إلا على الخرافة ، وذلك لوجود التناقض الصريح فى هذا الموضوع ، إذ أن الشيعة يرون بأن الرسول ﷺ جمع أهل الكساء ودعا لهم بأن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا ، فإذا كان إذهاب الرجس قد حصل والتطهر قد تم فما الحاجة إلى الدعاء ؟

إن آية التطهير واقعة بين آيات فيها الأمر والنهى مما يؤيد إرادة فعل الطاعات واجتناب المعاصى ليؤدى ذلك إلى إذهاب الرجس وحدوث التطهير ، ويؤيده أيضًا ما روى أن النبى ﷺ كان يمر ببيت فاطمة رضى الله عنها ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة فيقول : الصلاة أهل البيت ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهل البيْتِ ويُطهِّرَكُمْ تطهيرا ﴾ فهنا يبدو الربط بين الأمر بالصلاة والآية الكريمة .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه معلقا على الآية المشار إليها ﴿ ويُطَهِّرَكُم تَطهِيرًا ﴾ فليس إخبارا بذهاب الرجس وبالطهارة بل فيها الأمر لهم بما يوجبها ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ ما يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [المائدة : ٦] و ﴿ وَيُرِيدُ اللهُ لِيُبيِّنَ لكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾ [النساء : ٢٦] و ﴿ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخفِّفَ عَنكُمْ ﴾ [النساء : ٢٨] فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا ليست هى الملتزمة لوقوع المراد ولو كان كذلك لطهر كل من أراد الله طهارته (٢) ، وبالإضافة إلى ذلك لو أننا سلمنا بوجوب العصمة لغير الأنبياء لوجب أن لانجعلها وقفاً على عدد معين من الناس دون غيرهم لأنه إذا صح وجودها فيهم بغير نص صح وجودها فى غيرهم بغير دليل ، وكذلك لو لزمت العصمة للإمام للزمت لجميع

---

(١) التبيان ج ٨ ص ٣٤٠ للطوسى .

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٦٨ لابن تيمية .

ولاته وقضاته وعماله فى جميع الأمصار لأن كل شخص من هؤلاء ، إنما هو إمام صغير منبثق عن الإمام الكبير ، ولأن الجميع مطالبون بحفظ الشريعة وتطبيقها .

والواقع أن الإمام أو الخليفة ليس إلا منفذاً للشرع وليس مشرعاً ، والذى يعصم الأمة الإسلامية عن الضلال هو القرآن الكريم الذى تعهد الله سبحانه وتعالىٰ بحفظه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر : ٩] ، ثم بعد ذلك السنة النبوية الشريفة ، وما تحتاج إليه الأمة ولا تجده إلا فى هذين المصدرين ، ونحن إذا تمسكنا بالقرآن والسنة فلن نضل أبدا كما قال نبينا صلوات الله وسلامه عليه : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة رسوله » .

* * *

مناقشة رأى الشيعة بشأن وجوب الإمامة

إن الشيعة يرون أن الله سبحانه وتعالىٰ يقوم بتعيين الإمام عن طريق رسوله ولا يمكن تفويضه إلى الأمة ، ويحصرون الإمامة فى على بن أبى طالب رضى الله عنه وأولاده فقط ، والواقع أن هذه العقيدة ليس لها أى أساس فى الكتاب والسنة ؛ بل إنها نتاج الفكر الشيعى المتأثر من الفرس الذين قاموا بحصر الحكومة فى أسرة معينة وأسبغوا عليها نوعا من التقديس أو كما ذهب إليه بعض الباحثين إلى أنها ليست إلا تفريعاً على نظرية المعتزلة المشهورة التى تناقش فى كتب علم الكلام والتى يحتدم الخلاف بينهم وبين أهل السنة بسببها وتلك هى ذهابهم إلى أن فعل الصلاح واجب على الله ، وأن العدل ومراعاة الحكمة واجب عليه أيضاً ، وأن الدكتور ضياء الدين الريس قد ألقى ضوءًا بخصوص تأثر الشيعة بأفكار المعتزلة فيقول : « ولما كان كثير من الشيعة قد اعتنق فى الوقت نفسه مذهب المعتزلة وكثير من المعتزلة صاروا شيعيين ، وكان هذا التطور قد حدث منذ حوالى منتصف القرن الثالث بسبب اضطهاد الخلافة العباسية لهم أو بسبب ثورتهم على الخلافة فقد حدث تزاوج بين المذهبين واقتبس الشيعة حجج المعتزلة وأخذوا يدافعون بمنطقهم » (١) .

وجدير بالذكر أن الشيعة قد أخذوا كثيراً من تعاليم المعتزلة ، مثل : قال الشيعة كما قال المعتزلة بأن صفات الله عين ذاته وبأن القرآن مخلوق وبإنكار الكلام النفسى وإنكار رؤية الله بالبصر فى الدنيا والآخره كما وافق الشيعة المعتزلة فى القول بالحسن والقبح العقليين وبقدرة العبد واختياره ، وأنه تعالى لا يصدر عنه قبيح وأن أفعاله معللة بالعلل والأغراض ... الخ .

ومن ثم فليس هناك غرابة بأن عقيدة وجوب الإمامة لدى الشيعة مستمدة من تعاليم المعتزلة طالما أن كثيرا من المعتزلة كانوا يتشيعون ، فالظاهر أنه عن طريق هؤلاء تسربت أصول المعتزلة إلى الشيعة .

ومن ناحية أخرى ، فإن عقيدة الشيعة المبينة تخالف الخطاب الذى قام بكتابته على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى معاوية رضى الله عنه الذى أوضح فيه أسباب استحقاقه للإمامة وهذا مانصه :

---

(١) النظريات السياسية الإسلامية ص ١٥٩ دكتور ضياء الدين الريس .

« إن الله قلدنى أمر الناس عن مشاورة من المهاجرين والأنصار ، ألا وإن الناس تبع لهم فيما رأوا » [١] وهو قول يؤكد نظرة على إلى الشورى باعتبارها من أركان الإمامة كما يعطى للمهاجرين والأنصار قيمتهم ويضعهم فى مكانتهم الصحيحة بين صفوف المسلمين لأنهم السابقون فى الجهاد والفضائل الذين خصتهم الآيات المحكمات بالاسم يقول الله تعالى : ﴿ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْواناً ويَنْصُرُونَ الله وَرَسُولَه أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [سورة الحشر الآية : ٨] كما وصفهم عز وجل بأنهم « والَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ والإِيمَانَ مَنْ قَبْلِهِمْ يُحبُّونَ منَ هاجَر إلَيْهِمْ ولَايَجِدُون فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتوا وَيُؤْثِرونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ولَوْ كَانَ بِهِمِ خَصَاصَةٌ ﴾ [سورة الحشر الآية : ٩] والمقصود بهم الأنصار .

فها هو علىّ يعلن فخره واعتزازه بأن بيعته تمت بمشاورة المهاجرين والأنصار فلم يتناول أحدًا منهم كلمة ولم يحد عن النص القرآنى الذى أعلن فضائلهم ، وقد سار أهل البيت الكريم فى نفس الخط ، وإن قول على بن أبى طالب رضى الله عنه يوضح أن تعيين الإمام أو الخليفة ليس من وظيفة الرسول بل إنه يتم عن طريق الحل والعقد وإن عليًّا لم يشر فى الخطاب بأنه معين من قبل الرسول ﷺ ، بل إنه قدم مبررات لاستحقاق ولايته وهى مبايعته من قبل المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم ، إن هذه الأمور كلها تشير إلى أن عقيدة الشيعة فى وجوب الإمامة لا تقوم إلا على خرافات ابتدعوها حسب أهوائهم وليس لها من كتاب أو سنة دليل يقويها .

* * *

(١) الفصول المهمة فى معرفة أحوال الأئمة ص ٤٦ على بن محمد بن أحمد الشهير بابن الصباغ .

مناقشة رأى الشيعة بشأن ولاية على بن أبى طالب رضى الله عنه

زعم الشيعة أن الإمامة من أصول الدين مثل التوحيد والنبوة ، وأن عليًا كان خليفة بلا فصل .

والواقع أن هذه المزاعم ليس لها أى أساس فى القرآن ولا فى السنة حيث إن عقيدة الوحدانية ثابتة من القرآن الكريم بنصوص صريحة قطعية ، قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [سور البقرة : ٢٥٥] وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص : ١] وغيرها من الآيات وكذلك الرسالة ثابتة بنصوص قطعية من الكتاب ، قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] ، وغيرها من الآيات ، ولكن شأن إمامة على وخلافته بلا فصل لا يوجد ذكرها فى القرآن ولا فى الخبر المتواتر ، فكيف تكون خلافته بلا فصل وأصلا من أصول الدين ؟

وإن الروايات التى يستند إليها الشيعة بخصوص تولية على بن أبى طالب رضى الله عنه وهى إما موضوعة أو ضعيفة غاية الضعف لاعبرة لها ، ومنها حديث : « من كنت مولاه فعلى مولاه » وإن للشيعة شروحاً غريبة لهذا الحديث التى لا تتجاوز أكثر من خرافة حيث يقول الطبرسى فى « الاحتجاج » مانصه : « إن جبريل جاء عند النبى ﷺ يوم عرفة حاملا الأمر من عند الله أن يعلن الرسول ولاية الإمام على عليه السلام ، ولكنه لم ينفذ الحكم الإلٰهى خوفا من أصحابه ، وعندما رجع محمد ﷺ إلى مسجد خيف جاء جبريل عنده مرة أخرى مؤكدًا لنفس الموضوع ، ولكن الرسول لم يستجب إلى أمر الله خوفا من أصحابه ثم رجع النبى ﷺ إلى موقع « كراع غميم » الذى يقع بين مكة والمدينة فجاءه جبريل مرة ثالثة لنفس الموضوع مطالبا بإعلان ولاية الإمام على عليه السلام ولكن الرسول طلب الضمان من عند الله للحفاظ على حياته خوفا من أصحابه وإن جبريل قد حكى القصة الكاملة أمام الله وعندما وصل النبى ﷺ إلى غدير خم جاءه جبريل مؤكداً للنبى ﷺ أن يعلن إمامة على وأن الله يحفظه من الناس وإن لم يفعل فما بلغ رسالته ، ومن ثم فإنه لفظ هذا الحديث « من كنت مولاه فعلى مولاه » بدلًا من الإعلان بالخلافة بلا فصل [١] .

---

(١) الاحتجاج ص ٧٠ للطبرسى .

إن هذه الرواية ليست إلا مجرد « أكذوبة » وضعها صاحبها بناء على الحقد والضغينة التى يكنها للإسلام والمسلمين هل يجهل صاحب هذه الرواية شجاعة النبى ﷺ وبسالته حيث إنه أدى رسالته وقد كان وحيداً فى مكة والطائف فى أيام نبوته الأولىٰ وإنه قاتل جمًّا غفيراً من المشركين والمنافقين فى مواقع بدر وأُحد والأحزاب وحنين رغم قلة العدد والعدة ، وهل صاحب هذه الرواية لا يدرى قول الله عز وجل فى حق أنبيائه : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَايَخْشَوْنَ أَحدًا إلا اللهَ وَكَفَى باللهِ حَسِيبًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٩] ، كيف سمح صاحب هذه الرواية أن يلصق تهمة الخوف للنبى ﷺ رغم أن حياته كانت بالعكس فكان شجاعاً مقداماً فى كل مواقفه ، شهد بذلك أعداؤه قبل أصحابه ، وهل مادار بخلد صاحب هذه الرواية أن عليًّا بايع أبابكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم كما يروى لنا ابن جرير الطبرى : « إن على بن أبى طالب كان فى بيته إذ جاءه من أنبأه أن أبابكر قد جلس للبيعة فخرج فى قميص له ماعليه إزار ولا رداء عجلاً كراهية أن يبطىء عنها حتى بايعه ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتحلله أى فلبسه ولزم مجلسه »(١) .

ونفس هذه الرواية قد ذكرها البيهقى مع بعض التغيير إذ يقول نقلا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « فصعد أبو بكر فنظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير ، قال : فدعا بالزبير فجاء ، فقال : قلت ابن عمة رسول الله وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ فقال لا تثريب ياخليفة رسول الله فقام فبايعه ، ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليا ، فدعا على بن أبى طالب فجاء فقال : قلت ابن عم رسول الله وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ قال لا تثريب ياخليفة رسول الله فبايعه »(٢) .

إن الروايتين المشار إليهما توضحان بكل جلاء بيعة على لأبى بكر رضى الله عنه .

وأما سبب تأخر على بن أبى طالب والزبير رضى الله عنهما عن مبايعة أبى بكر رضى الله عنه بعض الوقت كما يوحى من رواية البيهقى فمن الأفضل أن نرجع إلى « مغازى » لموسى بن عقبة الذى يحكى لنا رواية عن طريق عبد الرحمنٰ بن عوف

---

(١) تاريخ الطبرى .

(٢) تاريخ البيهقى .

موضحاً فيها سبب تأخيرهما عن المبايعة إذ يقول : « ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال : ماكنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة ، ولا سألتها فى سر ولا علانية ، فقبل المهاجرون مقالته وقال على والزبير ما غضبنا إلا لأننا أخرنا عن المشورة وإنا نرى أبابكر أحق الناس بها ، إنه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف شرفه وخيره ولهذا أمره رسول الله أن يصلى بالناس وهو حى » (١) .

أعتقد أن هذه الرواية تكفى للقضاء على المزاعم التى يرددها الحاقدون حول تأخير على بن أبى طالب رضى الله عنه عن مبايعة أبى بكر رضى الله عنه .

وهناك سؤال : إذا كان الرسول ﷺ قد عين عليًّا لتولية الإمامة فلماذا بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين ؟ وإذا كانت خلافته بلا فصل كما يعتقد الشيعة وأنها ركن من أركان الإسلام مثل التوحيد والرسالة فلماذا اعتذر عن توليتها بعد اغتيال عثمان رضى الله عنه عندما ألح الناس عليه أن يتولاها ؟ كما يتضح من الرواية التى وردت فى « نهج البلاغة » : دعونى والتمسوا غيرى ، وقال أخيرا إن تركتمونى فأنا كأحدكم ولَعَلِّى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنالكم وزيراً خير لكم منِّى أميرا » (٢) .

وقد سبق أن نقلت خطاب على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى معاوية رضى الله عنه بخصوص استحقاقه لتولية الإمامة فإن الإمام يرى فى ذلك الخطاب المشار إليه أن تعيين الإمام يتم عن طريق الشورى ، وأما قول النبى ﷺ : « من كنت مولاه فعلى مولاه » فإنه لا يدل على خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه مطلقًا فضلاً عن الخلافة بلا فصل ، وأما سبب هذا الحديث كما نقله الحافظ شمس الدين الجزرى عن ابن إسحاق : أن عليًّا كلم بعض من كان معه باليمن فلما قضى النبى ﷺ حجه خطب بها تنبيهًا على قدره وردا على من تكلم فيه كبُرَيْدَة كما فى البخارى .

وسبب ذلك كما رواه الذهبى وصححه : أنه خرج معه إلى اليمن فرأى منه جفوة

---

(١) مغازى لموسى بن عقبة .

(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٢ .

فقصه للنبى ﷺ فجعل يتغير وجهه عليه السلام ويقول : « يابريدة ، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ » . قلت : بلى يارسول الله قال : « من كنت مولاه فعلى مولاه » [١] .

وإذا رجعنا إلى معنى كلمة « مولى » فى اللغة فلا نجد ما يدل على الخلافة أو الإمامة . والواقع أن حالة تقديم على بن أبى طالب رضى الله عنه لتوليه الإمامة أو الخلافة فإنه يتضمن الطعن فى تقديم رسول الله ﷺ له للصلاة وتكريره ذلك وبالأمر بسد الخوخات غير خوخة أبى بكر رضى الله عنه وغير ذلك يقتضى رضاء رسول الله ﷺ بخلافة أبى بكر رضى الله عنه ورجحانه على غيره .

إن سفيان الثورى رغم ولائه الشديد لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه كان منصفا برأيه حول تولية أبى بكر رضى الله عنه الخلافة إذ يقول : « من زعم أن عليا رضى الله عنه كان أحق بالولاية منه فقد خطّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار قال : ولا أراه يرتفع له عمل مع هذا إلى السماء » [٢] .

وبالإضافة إلى ذلك إذا درسنا الموضوع جديا من جميع جوانبه فنجد أن الله سبحانه وتعالى حكمة كبرى لعدم وضع الخلافة فى أهل البيت ، وهى فصل منهاج النبوة عن الأحكام الدنيوية ولقد أحسن شيخ الإسلام ابن القيم إذ يقول بخصوص هذا الموضوع : « السر والله أعلم فى خروج الخلافة عن أهل بيت النبى ﷺ إلى أبى بكر وعمر وعثمان : أن عليا لو تولى الخلافة بعد موته لأوشك أن يقول المبطلون : إنه ملك ورّث ملكه أهل بيته فصان الله منصب رسالته ونبوته عن هذه الشبهة ، وتأمل قول هرقل لأبى سفيان عن النبى : هل كان فى آبائه من ملك ؟ قال : لا . فقال : لو كان فى آبائه ملك لقلتُ رجل يطلب ملك آبائه .

فصان الله منصبه العلى من شبهة الملك فى آبائه وأهل البيت ، وهذا-والله أعلم- هو السر فى كونه لم يورث هو والأنبياء قطعاً لهذه الشبهة لئلا يظن المبطل أن الأنبياء طلبوا جمع الدنيا لأولادهم وورثتهم ، كما يفعله الإنسان عن زهده فى نفسه وتوريثه ماله

---

(١) نقلا من كتاب زجاجة المصابيح ج ٥ ص ٢٩١ لأبى الحسنات السيد عبد الله .

(٢) نقلاً عن فتاوى الإمام بالمسائل المنثورة ص ٢٨٦ وقام بترتيبه الشيخ علاء الدين بن العطار .

لولده وذريته فصانهم الله عن ذلك ومنعهم من توريث ورثتهم شيئا من المال لئلا تتطرف التهمة إلى حجج الله ورسوله فلا تبقى فى بيوتهم ورسالتهم شبهة أصلا ، ولا يقال : فقد وليها على وأهل بيته لأن الأمر لما سبق أنها ليست بملك مورث (أى بتول أبى بكر وعمر وعثمان لها أولا) ، وإنما هى خلافة نبوة تستحق بالسبق والتقدم ، كان على فى وقته هو سابق الأمة وأفضلها ، ولم يكن فيهم حين وليها أولى بها منه ولا خيرا منه ، فلم يحصل لمبطل بذلك شبهة والحمد لله » (١) .

أعتقد أن هذه العبارة تكفى لتوضيح الحكمة الإلٰهية بشأن عدم وضع الخلافة أو الإمامة فى أهل البيت بعد وفاة النبى ﷺ مباشرة كما أسلفنا .

* * *

(١) بدائع الفوائد ج ٣ للإمام ابن القيم .

عقيدة الشيعة فى الإمام الغائب

إن عقيدة الإمام الغائب عند الشيعة لا تنفصل عن فكرة الإمامة ؛ بل إنها جزء منها حيث إن إمامهم الثانى عشر محمد المهدى سيرجع بعد غيبته الكبرى فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورًا وإنهم ينتظرون خروجه رغم مضى أكثر من ألف عام .

ولقد ذكرنا رأى الشيعة فى الإمامة بأنها تكون بالنص الإلٰهى وإن الأمة ليست لها حق إبداء الرأى فيها ، ويعتقدون أن النبى ﷺ قد نص بأن الإمامة تبدأ من ولاية على ابن أبى طالب رضى الله عنه وتنتهى بإمامة محمد بن الحسن المهدى وهو الإمام الثانى عشر الذى ولد من جارية ثم غاب عن أنظار الناس قبل وفاة والده بحوالى عشرة أيام ، إن هذه الخرافة قد نتجها الشيعة لخروجهم من المأزق الذى وقعوا فيه حيث يروى « أصول الكافى » أن الإمام الحسن العسكرى ولد فى رمضان فى عام ٢٣٢ هـ وتوفى بعد أن عاش ثمانية وعشرين عاما بدون أن ينجب ولداً حسب رواية أخيه جعفر بن على [(١)] .

وجدير بالذكر أن معتقدات الشيعة تنص بأن الإمام لايموت حتى يوصى من يكون له خلف [(٢)] .

ويذكر الكلينى عن الإمام جعفر أنه يقول « لا يموت الإمام حتى يعلم من يكون بعده فيوصى إليه » [(٣)] .

بالإضافة إلى ذلك أن الإمامة محصورة فى سلالة معينة غير منقولة حيث لا يمكن نقلها إلى أخ الإمام أو أقربائه ، بل إنها تكون فى ذرية معينة ، كما يتضح من رواية الكلينى نقلا عن على بن موسى الرضا أنه سُئل : أتكون الإمامة فى عم أو خال ؟ فقال : لا، قيل : ففى أخ قال : لا ، قيل : ففيمن ؟ قال : ولدى [(٤)] .

---

(١) أصول الكافى ص ٢٠٦ للكلينى .

(٢) فرق الشيعة ص ١٢٣ للنوبختى .

(٣) أصول الكافى ص ٢٧٧ .

(٤) نفس المصدر ص ٢٧٧ .

إن هذه الأقوال توضح أن منصب الإمام غير قابل للنقل إلا فى سُلالة معينة ، وهى تنحصر فقط فى أولاد حسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

إن وفاة الإمام الحسن العسكرى بدون أن يترك له وريثا لتولية الإمامة هذا ليس خاليا من الغرابة لأن معتقدات الشيعة تُلزم الإمام بأن يترك له وريثا وكذلك تنص بأن الإمامة غير قابلة للنقل وتنحصر فى سلالة معينة وبالإضافة إلى ذلك لابد أن نضع فى بالنا قول الإمام جعفر الصادق إذ يقول « لوبقيت الأرض بغير إمام لساخت »[١] .

والواقع أن هذه مشكلة عويصة ومأزق خطير وقع فيه الشيعة إذ كيف توفى الإمام الحسن العسكرى بدون أن ينجب بحيث إن سلامة الأرض والدنيا تقتضى أن يكون هناك إمام ، ومن ثم فإن الباحث للمذهب الشيعى يلاحظ خرافة جديدة وضعتها الشيعة وهى الخروج من الورطة المشار إليها إذ يرون بأن الإمام محمد بن الحسن المهدى مولود من جارية غاب عن أنظار الناس قبل وفاة والده بحوالى عشرة أيام حاملاً معه المصحف الذى جمعه على بن أبى طالب رضى الله عنه وغيره من الكتب السماوية مثل التوراة والإنجيل والزبور وكذلك مصحف فاطمة والجفر والجامعة .

وأما زواج الإمام الحسن العسكرى من تلك الجارية فإنها قصة غير خالية من الغرابة كما يرويها العلامة الباقر المجلسى فى كتابيه « جلاء العيون » و « حق اليقين » عن طريق ابن بابويه والشيخ الطوسى اللذان يعتبران من كبار علماء الشيعة وإن لهذه القصة صدى واضحاً فى الكتاب بعنوان « تاريخ الغيبة الصغرى » من تأليف الأستاذ « محمد الصدر » من كبار علماء الشيعة فى العصر المعاصر .

وأعرض هنا ماذكره الأستاذ « محمد الصدر » فى كتابه بشأن زواج الإمام الحسن العسكرى من الجارية التى أنجبت الإمام الثانى عشر إذ يقول متحدثا عن خلفية تلك الجارية « كانت رضى الله عنها قبيل حملها بولدها المهدى عليه السلام أمة مملوكة جلبت بواسطة الفتح الإسلامى الذى كان جاريا على قدم وساق فى تلك العصور من بعض مدن الكفر إلى سامراء ، وكانت تسمى فى ذلك المجتمع بأسماء مختلفة فهى : ريحانة ، ونرجس ، وصقيل ، وإن كان الغالب عليها بين أفراد العائلة نرجس » .

---

(١) أصول الكافى ص ١٧٩ للكلينى .

وأضاف الكاتب قائلا : « إنها دخلت أولا فى ملكية الإمام على الهادى عليه السلام وهو الذى قام بتزويجها لابنه العسكرى عليه السلام وذلك إن الإمام عليه السلام حين يريد أن يحصل على زوجة ابنه : أم المهدى عليه السلام يدعو نخاساً من بائعى العبيد مواليا له قد علمه أحكام الرقيق وفقهه فى تجارته يدعى بشر بن سليمان النخاس يدعوه فيأمره بالسفر من سامراء إلى بغداد ويحدد له الزمان والمكان ويصف له الجارية وبعض سلوكها ، فمن ذلك أنها تمتنع من السفور ولمس من يحاول لمسها وإذ يضربها النخاس تصرخ بالرومية صرخة ، قال الإمام فاعلم أنها تقول : واهتك ستراه ، ومن ذلك أنها تنطق العربية بطلاقة ويعطيه الإمام عليه السلام صرة من النقود وكتابا ملصقا بخط رومى ولغة رومية ومختوم بخاتمه الخاص ويذهب بشر النخاس إلى بغداد ويشاهد كل ماحدده الإمام ورآها تدفع عن نفسها المشترين بضراوة قائلة لأحدهم : لو برزت فى زى سليمان وعلى مثل سرير ملكه مابدت لى فيك رغبة » .

وأضاف الكاتب قائلا : « وهنا يقوم بشر إلى بائعها ويقدم له الكتاب ويأمره بدفعه إلى الجارية — وإذا تقرأ الكتاب ينقلب منها الحال انقلابا عجيبا فتبكى بكاء شديداً وتقول لبائعها بعنى من صاحب هذا الكتاب فإن امتنعت قتلتُ نفسى وتحلف بالأيمان المحرجة المغلظة على ذلك ، وإذ يرى بائعها يطلب من بشر النخاس ثمناً كبيرا فتطول المعاملة بينهما حتى يستقر الثمن على مقدار مافى الصرة التى حملها من الإمام فيعطيه للبائع ويستلم الجارية ويذهب بها إلى الحجرة التى كان يأوى إليها فى بغداد » .

ويقول الكاتب « إنها رغبت رغبة شديدة بالإمام عليه السلام وبكت وهددت بالانتحار إذا لم يبعها منه فماذا قرأت فى الكتاب ؟ وكيف حصل لها معه هذه الرابطة القوية والرغبة الأكيدة ؟ كل ذلك يراقبه بشر النخاس ويعجب منه وتتولد فى ذهنه علامات استفهام كبيرة وتتأكد هذه العلامات وضوحاً حين رآها أنها بمجرد أن استقر بها المقام فى غرفته فى بغداد أخرجت كتاب الإمام (ع) من جيبها وصارت تلثمه وتضعه على خدها وتطبعه على جفونها وتمسحه على بدنها فيقول لها متعجباً منها : أتلثمين كتابا لا تعرفين صاحبه ؟ » .

ثم إن الكاتب نقل جوابها الذى يحتوى على عدة صفحات من الكتاب ونظرا للإطناب والتطويل نعرض ملخصا حسب ماجاء فى الكتاب « إنها مليكة بنت يشوعاء

ابن قيصر ملك الروم وأمها من ولد أحد الحواريين المنتسب إلى وصى المسيح شمعون ، ويحدث فى يوم من الأيام أن يحاول جدها القيصر تزويجها من ابن أخيه فيعقد لذلك أعظم مجالسه أبهة وجلالة وأكثرها من حيث عدد الحاضرين وأسخاها من حيث الذهب والجواهر الموزعة على أطراف المكان فبينما يصعد ابن أخيه على العرش تتساقط الصلبان وتنهار الأعمدة ويتشاءُم القيصر والأساقفة ويبادره كبيرهم قائلا : أيها الملك أعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالة على زوال هذا الدين المسيحى والمذهب الملكانى ، وعلى أى حال فهى ترى فى ذلك فيما يرى النائم أنه انعقد فى قصر جدها القيصر مجلس متكون من المسيح وشمعون وعدة من الحواريين ويدخل محمد ﷺ وآله وجماعته معه وعدد من بنيه واستقبله المسيح معانقا له فيقول له نبى الإسلام ﷺ : ياروح الله إنى جئتك خاطباً من وصيك شمعون فتاته مليكة لابنى هذا وأومى بيده إلى أبى محمد صاحب هذا الكتاب فنظر المسيح إلى شمعون فقال قد أتاك الشرف تصل رحمك برحم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، قال : قد فعلت ، فصعدوا المنبر وخطب محمد ﷺ وزوجنى من ابنه ، وشهد المسيح عليه السلام وشهد بنو محمد ﷺ والحواريون » .

وتضيف المليكة قائلة : « ثم إنه يزورها فى المنام بعد أربع ليال وحدث مرة أنها رأت فى المنام مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد عليهما السلام فتقوم العذراء بتعريف الزهراء لمليكة قائلة : هذه سيدة النساء أم زوجك أبى محمد عليه السلام وإذ تعرفها مليكة تتعلق بها وتبكى وتشكو إليها امتناع أبى محمد عليه السلام من زيارتها فتجيبها الزهراء عليها السلام إن ابنى أبى محمد لا يزورك وأنت مشركة بالله على دين مذهب النصارى ثم تأمرها بأن تشهد الشهادتين فيدفعها الحب والشوق إلى امتثال هذا الأمر وتدخل فى الإسلام فى عالم الرؤيا ، وإذ تسمع منها الزهراء عليها السلام ذلك تضمها إلى صدرها وتعدها بزيارة أبى محمد لها .

وبعد ذلك يبدأ أبو محمد بزيارتها كل ليلة بدون استثناء قائلا لها : ماكان تأخيرى عنك إلا لشركك وإذ قد أسلمت فإنى زائرك كل ليلة ... الخ [١] .

---

(١) تاريخ الغيبة الصغرى للأستاذ محمد الصدر ص ٢٤٤ إلى ٢٤٨ .

مهمة الإمام الغائب بعد ظهوره

إن المصادر للمذهب الشيعى تذكر الأعمال التى سيقوم بها إمامهم الغائب بعد رجعته والتى لاتدل إلا على الحقد والضغينة نحو غيرهم . ومن ناحية أخرى توضح طبيعة مذهبهم الذى نشأ على الثأر والمؤامرات والحقد الدفين كما يحكى لنا تاريخهم السياسى .

ونذكر هنا نقلا من مصادرهم بعض الأعمال التى يقوم بها إمامهم الغائب بعد رجعته وفى نفس الوقت إنها تلقى ضوءًا على التفكير الشيعى .

الإمام الغائب يقتل القرشيين بعد رجعته

تذكر المراجع للمذهب الشيعى أن الإمام الغائب يقتل القرشيين بعد رجعته .

كما يذكر النعمانى نقلا عن الإمام جعفر الصادق أنه قال : « لو يعلم الناس مايصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل الناس أما أنه لايبدأ إلا بقرشيين فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم » (١) .

ويروى المفيد والطبرسى عن الإمام جعفر الصادق إذ يقول « إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات ، قلت : ويبلغ عدد هؤلاء هذا ؟ قال نعم منهم ومن مواليهم » (٢) .

ويذكر الطوسى قول الإمام جعفر الصادق مانصه « إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين قريش إلا السيف مايأخذ منها إلا السيف ، وهل يستعجلون بخروج القائم ؟ ، وماهو إلا السيف والموت تحت ظل السيف » (٣) .

---

(١) كتاب الغيبة ص ٢٣٣ للنعمانى .

(٢) الإرشاد ص ٣٦٤ للمفيد وإعلام الورى ص ٤٦١ للطبرسى .

(٣) كتاب الغيبة ص ٢٣٣ للطوسى .

قتل الإمام الغائب لأصحاب الرسول وإحياء الموتى

إن إحياء الموتى وقتل أصحاب النبى ﷺ سيكون عملاً رئيسيًّا للإمام الغائب الذى يقوم به بعد رجعته ، إذ جاء فى تفسير الصافى « أما لو قام قائمنا ردت الحميراء « أى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها » حتى يجلدها الحد وحتى ينتقم لابنة محمد ﷺ وآله فاطمة عليها السلام » (١) .

وجاءت نفس هذه الرواية فى كتاب بعنوان « حق اليقين للعلامة الباقر المجلسى الذى نقل قول الإمام الباقر « عندما يرجع قائمنا فإنه يقوم بإحياء عائشة ويعذبها انتقاما لفاطمة » (٢) .

وورد فى نفس الكتاب « عند مايظهر الإمام المهدى فإنه يقوم بالقضاء على أهل السنة قبل الكفار ، ويبدأ عمله بقتل علماء أهل السنة » (٣) .

ويروى نعمت الله الجزائرى بأن القائم يقوم بإحياء أبى بكر وعمر ويحكم عليهما بالإعدام وينفذ عدة مرات بمعنى أنه يقتلهما ويحييهما عدة مرات حتى يشفى غله » (٤) .

رجعة أئمة الشيعة مع إمامهم الغائب

إن الشيعة لا يعتقدون برجعة القائم فحسب ؛ بل يعتقدون أن أئمتهم يرجعون إلى الدنيا بعد موتهم مثل قائمهم ويبقون ويملكون وينتقمون من الأعداء ويقتلونهم كما يروى العلامة المجلسى عن الإمام جعفر الصادق حيث يقول : « أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن على ، وإن رجعته ليست بعامة وهى خاصة لا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضا » (٥) .

---

(١) تفسير الصافى ج ٢ ص ١٠٨ .

(٢) حق اليقين ص ١٣٩ باللغة الفارسية باقر المجلسى .

(٣) نفس المصدر ص ١٣٩ .

(٤) أنوار النعمانية ج ١ ص ١٥٢ نعمت الله الجزائرى .

(٥) بحار الأنوار ج ١٢ ص ٢١٠ للمجلسى .

وجاء فى نفس الكتاب نقلا عن الإمام الباقر أنه قال : « إن أول من يرجع إلى الدنيا لجاركم الحسين بن على عليه السلام فيملك حتى يقع حاجباه على عينيه من الكبر » (١) وفى رواية أخرى يرجع مع الإمام الحسين بن على عليه السلام سبعون رجلا من أصحابه الذين قتلوا معه » (٢) .

وجاء فى الأنوار النعمانية للجزائرى أن الحسين يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفا من الرجال ويملك الدنيا كلها بعد وفاة المهدى عليه السلام ثلاث مائة سنة وتسع سنين » (٣) .

ويروى العلامة المجلسى نقلا عن الإمام جعفر الصادق أن رسول الله ﷺ وعليا سيرجعان » (٤) .

ويقول العلامة المجلسى فى كتابه « حق اليقين » « تقوم القيامة الأولى فى أيام الإمام المهدى بحيث إن جميع الموتى سوف يخرجون من قبورهم وأن الإمام سيحكم فيهم وأن فترة الحكم الشيعى تستمر ثمانين ألف سنة » (٥) .

ويروى نعمت الله الجزائرى حكاية غريبة عند ظهور الإمام المهدى أن ملكاً من الملائكة سوف يخرج إلى قبور الشيعة قائلا « يأيها الشيعى إن كنت ترغب الحياة فتعال معى وإلا فتمتع بالجنة إلى يوم القيامة » (٦) .

وجاء فى نفس الكتاب أن الشيعى يتمتع بصحة جيدة عند ظهور الإمام وأنه لايتعرض للشيخوخة ولا الوهن وكذلك يتمتعون بزيادة القوة السامعة والبصر حيث إنهم يقومون باتصالاتهم مع الإمام من مسافات بعيدة بكل سهولة (٧) . ويقول الأستاذ نعمت

---

(١) نفس المصدر ج ١٣ ص ٢١١

(٢) تفسير العياشى ج ٢ ص ١٨١ .

(٣) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٨٢ للجزائرى .

(٤) بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٠ للمجلسى .

(٥) حق اليقين ص ١١٠ للعلامة الباقر المجلسى .

(٦) أنوار النعمانية ج ١ ص ١٦٣ نعمت الله الجزائرى .

(٧) نفس المصدر ص ١٦٠ .

الله الجزائرى بأن الحرمين المكى والمدنى سيقضى عليهما عند بدء ظهور الإمام ويتم إنشاء المسجد فى الكوفة على أنقاضهما [١] .

وأضاف الكاتب قائلا بأن السنيين يتناولون براز الشيعة عند الوجبات [٢] والواقع أن الروايات التى وردت بخصوص الإمام الغائب لاتتجاوز أكثر من الخرافة والأباطيل التى لا يقبلها العقل ولا المنطق السليم ، بل إنها توضح التفكير الشيعى الذى يقوم على الحقد والحسد والانتقام وكذلك التطلع إلى السلطة التى كانوا يرغبون فيها منذ نشأتهم .

ظهور المهدى كما يراه الإسلام

إن الروايات التى وردت بخصوص ظهور المهدى المنتظر تفيد بأنه فى آخر الزمان يظهر رجل من أهل البيت يستولى على الدولة الإسلامية كلها ويتبعه المسلمون ويعدل بينهم وإن حكومته لا تختلف عن طريق منهاج النبوة .

وقد وردت فى شأن المهدى أحاديث كثيرة رواها أبو داود والترمذى وابن ماجه والطبرانى وأحمد والحاكم وأبو يعلى والبزار وإن الصحيحين قد توقفا عن ذكر الروايات الواردة حول ظهور المهدى المنتظر لعدم وجود الروايات التى تنطبق على شرطيهما .

والواقع أن الفكر الإسلامى الصحيح حول المهدى المنتظر يختلف تماما عن فكر الإمام الغائب الموجود عند الشيعة بحيث إن المهدى المنتظر على حسب الروايات التى وردت فى كتب السنة تفيد أنه يتميز بإقامة العدل والقضاء على الجور والظلم وأنه يقيم حكومته على منهاج النبوة ، وأما الشيعة فإنهم يصفون إمامهم الغائب بأوصاف رهيبة حيث إنه يسفك الدماء ويأخذ الثأر من أهل السنة والجماعة وغيرهم ممن خالفوا المذهب الشيعى كما أسلفنا .

* * *

---

(١) نفس المصدر ص ١٥٧ .

(٢) نفس المصدر ص ١٦٥ .

التقية جزء من الإيمان عند الشيعة

إن التقية ركن أساسى من معتقدات الشيعة حيث إن أئمة الشيعة قد اعتبروها مهمًّا فى الدين كما جاء فى « أصول الكافى » نقلا عن الإمام جعفر الصادق حيث قال « التقية من دينى ودين آبائى ولا إيمان لمن لا تقية له » [١] ، ويقول أبو عبد الله مفسراً قول الله عز وجل : ﴿ لَاتَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ قال الحسنة التقية والسيئة الإذاعة [٢] .

وقال الرضاء عليه السلام : « لادين لمن لا ورع له ، ولا إيمان لمن لا تقية له ، فقيل : ياابن رسول الله إلى متى ؟ قال : وهى إلى يوم خروج قائمنا فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا » [٣] .

ونقل الكلينى قول الإمام جعفر الصادق فقال : « إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله » [٤] .

إن هذه الأقوال توضح أهمية التقية فى المذهب الشيعى بحيث إن صحة الإيمان تتوقف على التقية وحتى أئمتهم كانوا يقومون بالتقية فى أمور دينهم مثل ماورد فى « أصول الكافى » عن زرارة بن أعين عن أبى جعفر قال سألته عن مسألة فأجابنى ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى ثم جاءه آخر فأجابه بخلاف ما أجابنى فلما خرج الرجلان قلت ياابن رسول الله رجلان من أهل العراق من سبقكم قدما يسألان فأجبت كل واحد غير ما أجبت صاحبه فقال يازرارة هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم » [٥] وكذلك إن عليا بن أبى طالب رضى الله عنه قد أحجم عن بعض الإصلاحات التى كان يريد أن يفعلها عملا بالتقية كما يروى الكلينى « ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وشيعته

---

(١) أصول الكافى ص ٤٨٣ للكلينى .

(٢) نفس المصدر ص ٤٨٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٤٨٢ .

(٤) نفس المصدر ص ٤٨٥ .

(٥) نفس المصدر ص ٣٧ .

فقال عملت الولاة قبلى أعمالاً خالفوا فيها رسول الله ناقضين لعهده مغيرين لسنته ، ولو حملتُ الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ماكانت فى عهد رسول الله لتفرق عنى جندى » [١] .

والواقع أن التقية عبارة عن عمل شنيع أدخله الشيعة فى معتقداتهم حيث إن جميع مذاهب العالم تدعو إلى الصدق والتمسك بالفضيلة ماعدا المذهب الشيعى فقد بنى على التقية ومعناها إظهار خلاف ما يبطن وهذا ماعبر عنه قديما بالنفاق ، والسؤال كيف أن الشيعيين سمحوا لأنفسهم أن يلصقوا تهمة التقية إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه بينما كان من أشجع الناس وقد ضحى بنفسه من أجل مبادئه السامية ؟ وكيف نسبوا التقية لأئمتهم بينما أن الحياة والموت فى قبضتهم كما يروى الكلينى « إن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون وإنهم لا يموتون إلا باختيار منهم » [٢] ، والمعروف أن التقية عبارة عن كتمان الحقيقة خوفا من الموت وإذاً ماهو التفسير لهذا التناقض ؟ إذ كيف أن الأئمة يملكون الحياة والموت وفى نفس الوقت يعملون بالتقية خوفا على حياتهم ؟

وزيادة للإيضاح نورد موقف على وشجاعته أمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث جاء فى « بحر المناقب » خطبهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لو صرفناكم عما تعرفون إلى ماتنكرون ماكنتم تصنعون قال : فسكتوا ، قال ذلك ثلاثا ، فقام على فقال : إذا كنا نستتيبك فإن تبت قبلناك قال وإن لم أتب قال إذاً نضرب الذى فى عينيك » [٣] ، هل هذا الموقف الصريح الذى اتخذه على بن أبى طالب رضى الله عنه أمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه يدل على التقية ؟ . وبالإضافة إلى ذلك إن مبدأ التقية يعارض الآيات القرآنية التى وردت فى حق النبى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ﴿ وَيَخْشَوْنَهُ ولا يَخْشَوْنَ أحدًا إلا الله ﴾ [سورة الأحزاب الآية ٣٩] و ﴿ يُجَاهِدُونَ فى سَبِيلِ الله وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [سورة المائدة الآية ٥٤] .

---

(١) نفس المصدر ص ٢٩ .

(٢) أصول الكافى ص ١٥٨ للكلينى .

(٣) بحر المناقب نقلا من هداية الشيعة للشيخ رشيد أحمد الكنكوهى باللغة الأردية ص ١٨ .

هل هذه الآيات القرآنية تؤيد مبدأ التقية ؟ والوصايا للإمام جعفر الصادق التى سجلها الكلينى تخالف أيضا مبدأ التقية حيث قال فى إحدى وصاياه « حدث الناس أفتهم ولا تخافن أحداً إلا الله وانشر علوم أهل بيتك وصدّق آباءك الصالحين فإنك فى حرز وأمان ، قل الحق فى الأمن والخوف ولا تخش إلا الله » [١] .

وهل يدرى الشيعة أن النبى ﷺ لم يكف عن دعوته وقد كان محاطا بالكفار والمشركين والمنافقين فى أيام حياته الأولى ولكنه قام ببيان حقيقة الإسلام وصدقه على رءوس الخلائق بدون أى تردد ولم يلجأ إلى اتخاذ مبدأ التقية فى حياته أبدا .

* * *

(١) نقلاً من هداية الشيعة للشيخ رشيد أحمد الكنكوهى باللغة الأردية ص ١٦ .

حقيقة فقه الجعفرى

فقه الجعفرى له أتباعه الكثيرون الذين ينتشرون فى البلاد العربية والإسلامية كإيران والهند وباكستان والعراق ولبنان والكويت وغيرها ، ويعتبرون أكبر الفرق الإسلامية عدداً بعد أهل السنة ووجدنا فى الآونة الأخيرة اهتماما بالغا بالشيعة الإمامية انبثق فى جمهورية مصر العربية فأنشأت دار التقريب بين المذاهب الإسلامية وطبعت وزارة الأوقاف أكثر من مرة كتاب « المختصر النافع فى فقه الإمامية » ، وقال الأستاذ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف الأسبق فى كلمة افتتح بها الكتاب « قضية السنة والشيعة هى فى نظرى قضية إيمان وعلم معا فإذا رأينا أن نحل مشكلاتها على ضوء من صدق الإيمان وسعة العلم تستعصى علينا عقدة ولن يقف أمامنا عائق » وأضاف قائلاً : « عندما ندخل مجال الفقه المقارن ونقيس الشقة التى يحدثها الخلاف العلمى بين رأى ورأى أو بين تصحيح حديث وتضعيفه نجد أن المدى بين الشيعة والسنة كالمدى بين المذهب الفقهى لأبى حنيفة والمذهب الفقهى لمالك أو الشافعى أو المدى بين من يعملون بظاهر النص ومن يأخذون بموضوعه وفحواه ونحن نرى الجميع فى نشدان الحقيقة وإن اختلفت الأساليب ونرى الحصيلة العلمية لهذا الجهد الفقهى جديرة بالحفاوة وإدمان النظر وإحسان الدراسة فهى تراث علمى مقدور ومشكور » ثم قال بعد ذلك : « لقد رأينا مع بعض رجال التقريب أن نقوم بعمل إيجابى لعله أن يكون حاسماً سداً لهذه الفجوة التى صنعتها الأوهام بل إنهاء لهذه الفجوة التى خلقتها الأهواء فرأيت أن تتولى وزارة الأوقاف ضم المذهب الفقهى للشيعة الإمامية إلى فقه المذاهب الأربعة المدروسة فى مصر » ، ومن هنا يتضح اهتمام الشيخ أحمد حسن الباقورى وعنايته نحو فقه الإمامية حيث يرى بأن فقه الإمامية لا يختلف عن المذاهب الأربعة إلا فى الأسلوب ، ومن ثم فإنه طالب بضم المذهب الفقهى للشيعة الإمامية إلى فقه المذاهب الأربعة ، ونلاحظ نفس الاهتمام حاليا فى باكستان حيث إن الشيعة يطالبون بتنفيذ الفقه الجعفرى هناك . ومن الغريب أن الشيعة لم يقوموا بتقديم هذا الطلب إبان حكم الإنجليز فى شبه القارة الهندية حتى لا نرى هذه الظاهرة فى الحكومات التى سبقت على نظام الرئيس ضياء الحق .

وجدير بالذكر أن الرئيس يحيى خان كان شيعيا وقد كان الرئيس على بوتو متأثرا بالتشيع وكذلك تعتنق زوجته نصرت بوتو المذهب الشيعى ولكن جميع الحكومات المشار إليها ماطلبت بتطبيق الفقه الجعفرى .

والسؤال الذى يطرح نفسه إزاء هذه الأحداث : ماذا يهدف الشيعة من وراء مطالبتهم بتنفيذ الفقه الجعفرى ؟ ولماذا تهتم بعض الجهات الخاصة لدى بعض الدول الإسلامية بالفقه الجعفرى ؟ .

والواقع عندما ندرس تاريخ الشيعة يتضح أن هذا السؤال الذى يدور حول تنفيذ فقه الجعفرى لا يتفق مع مبادىء الشيعة على الإطلاق بل يخالف جوهر المذهب الشيعى بدليل أن الشيعة يرون بأن أصحاب النبى ﷺ قد قاموا بتغيير الدين الذى جاء به محمد ﷺ وحرفوا القرآن . وعندما تولى على بن أبى طالب رضى الله عنه الحكم عرض عليه بعض أعوانه أن يصلح الانحرافات ويقيم الحكم على الأسس التى جاء بها محمد ﷺ ، ولكنه رفض هذا المطلب بحجة أن الوقت ليس صالحاً خشية أن يفارقه أصحابه كما جاء فى كتاب الروضة مانصه « ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصة شيعته فقال قد عملت الولاة قبلى أعمالا خالفوا فيها رسول الله ناقضين لعهده مغيرين لسنته ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ماكانت فى عهد رسول الله ﷺ ولو حملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق وعلى السنة وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها وردت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائها ومواضعها وردت سبايا فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام لتفرق عنى جندى » [١] .

وكذلك أن بعض أعوان الإمام جعفر الصادق طالبوه بإعادة القرآن على قراءة الأئمة فرد عليهم بالتزام السكوت وتلاوة القرآن كما يتلوه عامة الناس ، وموضوع إعادة المصحف إلى أصله ليس من اختصاصه ؛ بل إن هذا العمل يقوم به الإمام الغائب فقط [٢] .

---

(١) كتاب الروضة ص ٢٩ .

(٢) أصول الكافى للكلينى ص ٦٧١ .

والواقع أن جميع أئمة الشيعة قد أكدوا بإخفاء دينهم كما يتضح من كتبهم مثل مانقل « الكافى » قول أبى عبد الله مانصه « ابقوا على دينكم واحجبوه بالتقية فإنه لا إيمان لمن لا تقية له » (١) وجاء فى رواية أخرى عنه فى تفسير قول الله عز وجل : ﴿ لَاتَسْتَوِى الْحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ﴾ فقال : الحسنة التقية والسيئة الإذاعة » (٢) وورد نقلا عن أبى جعفر عليه السلام « التقية من دينى ودين آبائى ولا إيمان لمن لا تقية له (٣) وجاء فى كشف الغمة « قال الرضاء عليه السلام لا دين لمن لا ورع له ولا إيمان لمن لا تقية له فقيل ياابن رسول الله إلى متى قال : إلى يوم خروج قائمنا فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا » (٤) .

وجاء فى الكافى نقلاً عن الإمام جعفر الصادق « إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله » (٥) .

إن هذه العبارات السابقة تظهر لنا بعض الحقائق التالية :

(١) إن أئمة الشيعة ماقاموا بتطبيق مذهبهم وعقائدهم ؛ بل أكدوا على أعوانهم باتباع مايقوم به عامة الناس .

(٢) لا يجوز لشيعى أن يتظاهر بمذهبه وعقيدته قبل ظهور الإمام الغائب ، ومن خالف هذا فإنه يخرج عن دائرة المذهب الشيعى ويكون ملعونا ومخذولًا لديهم .

(٣) إن أئمة الشيعة لم يقوموا بتصحيح الانحرافات التى قام بها أصحاب النبى ﷺ بعد وفاته مباشرة ، بل إنهم تركوا ذلك لإمامهم الغائب مؤكدين على أعوانهم بتلاوة القرآن كما يقوم به عامة الناس .

هناك سؤال يظهر أمامنا تلقائيا : هل عقيدة الشيعة تسمح لهم بتطبيق مذهبهم وعقائدهم علناً ؟ وهل توافق مطالبة بتطبيق الفقه الجعفرى مع عقائدهم ومبادئهم ؟ بينما

---

(١) أصول الكافى للكلينى ص ٤٨٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٤١٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٤٨٢ .

(٤) كشف الغمة ص ٣٤١ .

(٥) أصول الكافى للكلينى ص ٤٨٥ .

أن جميع أئمة الشيعة قد أكدوا على أعوانهم بإخفاء مذهبهم وعقيدتهم كما يتضح من الاقتباسات التى ذكرتها من مصادرهم .

وبعد هذا العرض نرجع إلى توضيح حقيقة فقه الجعفرى الذى تدور حوله الضجة ، وقبل أن نبدأ الكلام حول هذا الموضوع فمن الأفضل أن نتأكد صحة نسبة هذا الفقه إلى الإمام جعفر الصادق .

إن دراسة هذا الفقه المشار إليه تؤكد بكل وضوح أن هذا الفقه ليس مستمدا من تعليمات على بن أبى طالب أو من ولديه الحسن والحسين رضى الله عنهم ، وكذلك إنه ليس منسوبا إلى الإمام محمد الباقر ؛ بل إن الشيعة ينسبونه إلى الإمام جعفر الصادق الذى ولد فى المدينة المنورة وقضى فيها من أيام شبابه إلى شيخوخته ثم توفى ودفن فى البقيع وقد تتلمذ عليه كبار الشخصيات فى تاريخ الفقه الإسلامى كالإمام أبى حنيفة والإمام مالك وسفيان الثورى رحمة الله عليهم وكان يوجد التقدير والإعجاب المتبادل بين الشيخ وتلامذته حيث وصف الصادق الإمام الأعظم بأنه « أفقه أهل بلده » (١) .

وجاء فى (المناقب) للموفق المكى أن أبا جعفر المنصور طلب من أبى حنيفة أن يعد أربعين مسألة من المسائل الشداد فى الفقه ليلقيها على الصادق فلما اجتمعا كان الصادق سريعا فى إجابته على كل مسألة من هذه المسائل حتى انتهى من الأربعين مسألة ، فأشاد به أبو حنيفة قائلا « أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس » (٢) .

وقد جاء على لسان مالك فى وصف أستاذه الصادق « ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال : إما مصليا وإما صائما وإما يقرأ القرآن وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على الطهارة ولا يتكلم فيما لا يعنيه » (٣) .

ويذكر الزواوى أن قوما من الكوفة سألوا الصادق أن ينصب لهم إماما يرجعون إليه

---

(١) مناقب الإمام أبى حنيفة ج ١ ص ٧٠ البزازى .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٣ .

(٣) الإمام مالك ص ١٠٢ أمين الخولى .

فى أمر دينهم فوقع اختياره على مالك ، ووجههم إليه بقوله « عليكم بقول مالك امتحنته فوجدته فقيها فاضلا متبعا مريدا لا يميل به الهوى » [١] وكذلك إن مالكاً لم يقطع هذه الصلة بالصادق بل هى باقية تمثلها أحاديثه عنه فى الموطأ [٢] .

إن هذه الأقوال تؤكد لنا بوجود اتصال قوى بين الشيخ وتلامذته ولكن فى نفس الوقت نرى ظاهرة غريبة ، وهى اختلاف الشيخ عن تلامذته فى مذهبه الفقهى كل الاختلاف .

والواقع أن هذه الظاهرة جديرة بالدراسة والبحث ، ومن ثم فإذا رجعنا إلى دراسة تاريخ فقه الجعفرى يتضح لنا أن الشيعة قد نسبوا الفقه المذكور إلى الإمام جعفر الصادق زوراً وبهتانا لأن الإمام ماقام بوضع هذا الفقه أو أقره ، وكذلك إنه ليس منقولا عن أحد من تلامذته بل إنه يعتمد كليا على أربعه كتب التى قام بتأليفها بعض كبار الشيعة .

أولها « الكافى » لأبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى الملقب بحجة الإسلام المتوفى ٣٢٩ هـ .

والثانى « من لا يحضره الفقيه » لمحمد بن بابويه القمى الملقب بالصدوق والمتوفى سنة ٣٨١ هـ .

ثم « التهذيب » و « الاستبصار » كلاهما لمحمد بن الحسن الطوسى شيخ الطائفة والمتوفى سنة ٤٦٠ هـ .

إن هذه الكتب الموضحة قد ألفت بعد مئات السنين من وفاة الإمام جعفر الصادق لأن الإمام توفى فى سنة١٤٨ هـ كما تذكر لنا كتب التاريخ وأما بالنسبة لرواة هذا الفقه فإنهم كانوا ينسبون إلى الإمام جعفر الصادق كلاما متناقضا ومختلقاً حيث قد عابهم الإمام وأنكر عليهم ذلك كما يتضح من « رجال الكشى » نقلا عن فيض بن المختار الذى عرض على الإمام جعفر الصادق موضوع الخلاف بين الشيعة فى ذلك

---

(١) مناقب مالك ص ١٠ الزواوى .

(٢) الإمام مالك أمين الخولى .

الوقت ، وهذا مانصه : « جعلنى الله فداك ماهذا الخلاف الذى بين شيعتكم ؟ إنى أجلس فى حلقهم بالكوفة فأشك فى اختلافهم فى حديثهم فقال أبو عبد الله عليه السلام : أجل هو كما ذكرت يافيض : الناس أولعوا بالكذب علينا ، وإنى أحدثهم بالحديث فلا يخرج من عندى حتى يتأولونه على غير تأويله » (١) .

وإن زرارة بن الأعين كان من كبار الرواة فى فقه الجعفرى ومعظم المسائل الفقهية قد وردت عن طريقه ، وهو كان سندا كبيرا للإمام ، ولذلك مدحه الإمام وأثنى عليه كما جاء فى « رجال الكشى » : « رحم الله الزرارة بن الاعين لولا زرارة ونظراؤه لاندرست أحاديث أبى » (٢) .

إن هذه الرواية توحى بأهمية زرارة عند الإمام ، ولكن هذا المدح والثناء من قبل الإمام لزرارة لم يدم طويلا حيث إن الإمام انقلب عليه وأبدى استياءه منه وسخطه عليه كما يذكر « رجال الكشى » : « لا تبال وإن مرض فلا تعده وإن مات فلا تشهد جنازته ، إن الزرارة أشر من اليهود والنصارى » (٣) .

وجاء فى نفس الكتاب كلام الإمام عن الزرارة أنه قال : « لعن الله الزرارة لعن الله الزرارة لعن الله الزرارة ثلاث مرات » (٤) .

وقد وردت رواية فى « الكافى » توحى بأن الزرارة قد نسب إلى الإمام كلاما متناقضا مانصه « عن زرارة بن الأعين عن أبى جعفر قال سألته عن مسألة فأجابنى ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ماأجابنى ثم جاءه آخر فأجابه بخلاف ماأجابنى فلما خرج الرجلان قلت ياابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد غير ما أجبت صاحبه فقال : يازرارة هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم » (٥) .

---

(١) رجال الكشى ص ٩٠ .

(٢) رجال الكشى ص ٩٠ .

(٣) نفس المصدر ص ١٠٧ .

(٤) نفس المصدر ص ١٠٠ .

(٥) أصول الكافى ص ٣٧ .

ويتضح من هذه الرواية أن الإمام كان يتحدث كلامًا متناقضاً بحجة أن هذا فى مصلحته ولجماعته .

وهكذا كان شأن زرارة الذى لعب دوراً هاما فى فقه الجعفرى فقد كان ينسب إلى إمامه غير مايليق بشأنه .

ويضاف إلى زرارة شخصية أخرى وهى معروفة « بأبى البصير » يتحدث عنه « رجال الكشى » جلس أبو بصير على باب أبى عبد الله عليه السلام يطلب الإذن فلم يؤذن له فقال : « لو كان لنا طبق لأذن فجاء كلب فشغر فى وجه أبى بصير قال أف أف ماهذا ؟ قال جليسه : هذا كلب شغر فى وجهك » [١] .

يتبين من هذه الرواية منزلة الإمام وأهميته عند أبى البصير . حيث يصفه بأنه كان طماعاً ، ورد فى تفسير القمى بكل جلاء أن الأئمة كانوا ساخطين على شيعتهم لأعمالهم الكريهة حيث جاء « إذا كان يوم القيامة يتبرأ كل إمام من شيعته ويتبرأ كل شيعى من إمامه » [٢] .

وبعد هذا العرض نترك الموضوع للعقل السليم ليقرر : هل الإمام جعفر الصادق له علاقة بهذا الفقه المنسوب إليه بينما أن رواة لهذا الفقه يصفون إمامه طماعا وضالا وينسبون إليه كلاماً مختلقًا ومتناقضا ، وإن الإمام نفسه قد أبدى سخطه عليهم واستياءه منهم ووصفهم بأنهم أشر من اليهود والنصارى .

والواقع أن جميع الروايات والأدلة تؤكد بأن هذا الفقه ليس له أى علاقة بالإمام جعفر الصادق ، بل إن الشيعة قد نسبوه إليه زوراً وبهتانا لوضع تشريع جديد فى الإسلام مثل ماقام به « بولس » فى المسيحية .

* * *

---

(١) رجال الكشى ص ١١٦ .

(٢) تفسير القمى ص ٣٤ .

مصادر الشيعة

إن الشيعة يعتقدون أن مذهبهم مأخوذ من القرآن أو من زبدة تعاليم الإسلام الصحيحة ، وأنهم يمثلون الإسلام الواقعى ، ولكن الحقيقة تخالف هذا الزعم بدليل أن مذهبهم بعيد كل البعد عن الدين الذى أنزله الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد ﷺ بحيث إن الباحث يجد فيه الأفكار الفلسفية وتأثير المذاهب الأخرى التى كانت موجودة قبل ظهور الإسلام ، بالإضافة إلى ذلك أن معتقدات لهذا المذهب متأثرة إلى حد كبير بالحضارة الفارسية فيقول الأستاذ « دوزى » Dozy « إن أساسها فارسى فالعرب تدين بالحرية والفرس يدينون بالملك وبالوراثة فى البيت المالك ولا يعرفون معنى الانتخاب الخليفة وقد مات محمد ولم يترك ولدا فأولى الناس بعده ابن عمه على بن أبى طالب فمن أخذ الخلافة منه كأبى بكر وعمر وعثمان والأمويين فقد اغتصبها من مستحقها وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى إلٰهى فنظروا هذا النظر نفسه إلى على وذريته وقالوا : إن إطاعة الإمام أول واجب ، وإن إطاعته إطاعة الله » (١) .

وقد ذهب الأستاذ « ولهوسن » «WELLHAUSINI» إلى أن العقيدة الشيعية نبعت من اليهودية أكثر من الفارسية مستدلا بأن مؤسسها عبد الله بن سبأ وهو يهودى » (٢) .

ويبدو أن هذا الرأى يعتمد على رأى كل من الإمام الشعبى والمحدث ابن حزم اللذان قالا : إن المذهب الشيعى مأخوذ من اليهودية فالإمام الشعبى كان يقول : إن الشيعة يهود هذه الأمة وقد أبدى الإمام ابن حزم نفس الاتجاه فى كتابه « الفصل » .

ونقل ابن عبد ربه رأى الإمام الشعبى حول مصادر الشيعة بقدر من التفصيل إذ يقول : « الرافضة يهود هذه الأمة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية ولم يدخلوا الإسلام رغبة ولا رهبة من الله ولكن مقتا لأهل الإسلام وبغيا عليهم ، وقد أحرقهم على ابن أبى طالب رضى الله عنه بالنار ونفاهم إلى البلدان ، ومحنة الرافضة محنة اليهود ،

---

(١) نقلا عن فجر الإسلام ص ٢٧٧ للدكتور أحمد أمين .

(٢) نقلاً عن فجر الإسلام ص ٢٧٧ .

قالت اليهود : ولا يكون الملك إلا فى آل داود وقالت الرافضة : لا يكون الملك إلا فى آل على بن أبى طالب وقالت اليهود : لا يكون جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المسيح المنتظر ، وقالت الرافضة : لايكون جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المهدى ، واليهود تستحل دم كل مسلم وكذلك الرافضة ، واليهود حرفوا التوراة وعجز الرافضة عن تحريف القرآن فقالوا بالمعنى الباطن وحرفوا معانيه » (١) .

والواقع أن المذهب الشيعى نتاج الأفكار الفلسفية القديمة والمذاهب الأخرى التى كانت موجودة قبل ظهور الإسلام كما يرى الدكتور أحمد أمين ، « فاليهودية ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعة وقال الشيعة : إن النار محرمة على الشيعى إلا قليلا كما قال اليهود ﴿ لَنْ تَمسَّنَا النارُ إلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ﴾ والنصرانية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم : إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه وقالوا : إن اللاهوت اتحد بالناسوت فى الإمام ، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبدًا فمن اتحد به اللاهوت فهو نبى ، وتحت التشيع ظهرت الأقوال بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ونحو ذلك من الأقوال التى كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس قبل الإسلام (٢) .

والواقع أننا إذا وضعنا معتقدات الشيعة فى ميزان البحث على المصادر الإسلامية التى اتفق عليها جهابذة الأمة الإسلامية فلا نجد الشيعة محقين فيما زعموا من معتقداتهم .

* * *

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٩ ابن عبد ربه .

(٢) فجر الإسلام ص ٢٧٦ دكتور أحمد أمين .

الباب الثالث

مصادر التشريع في الإسلام

وموقف الشيعة منها

موقف الشيعة من القرآن الكريم

القرآن الكريم هو السند الأول الذى تستند إليه الأمة الإسلامية ، وهو الحصن المنيع الذى تحتمى به عن عواصف الضلال ، ومن فضل الله سبحانه علينا أنه تعهد بحفظه حيث يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلنَا الذِّكْرَ وِإنَّا لهُ لحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر الآية ٩] وفى الآية الأخرى ﴿ لَاتَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ﴾ [سورة يونس : ٦٤] . وبذلك حفظ القرآن من الضياع ومن عبث اللاعبين الذين قاموا بالتخطيط للقضاء على الإسلام من إبان ظهوره ولا يزالون يعملون جاهدين حتى اليوم .

إن الأمة الإسلامية قاطبة تنظر إلى القرآن المرجع الأول والمصدر الأساسى للدين الإسلامى الحنيف ، ولكن أعداء هذا الدين الذين دخلوا فى الإسلام اسماً قد أبدوا شكوكهم حول صحته ، ويرون بوقوع التغيير فى كتاب الله والسقوط منه فى مواضع عديدة تمهيداً للقضاء على أهم مصدر من مصادر التشريع الإسلامى ، والجدير بالذكر أن جميع علماء الشيعة اتفقوا على التحريف فى القرآن الكريم .

والواقع أن هذا الاتفاق لا يخلو من الغرابة حيث أن هذا المذهب عبارة عن التناقض كما يعترف شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسى فى كتابيه « التهذيب » ، و « الاستبصار » « نجد عن أئمتنا رواية ونرى فى نفس الوقت رواية أخرى تناقض الأولى ومن ثم فإن كثيرا من الناس قد تركوا مذهبنا نظرا لهذا التناقض » (١) ونفس ماذهب إليه الشيخ دلدار على فى كتابه « أساس الأصول » بقدر من التحفظ حيث يقول : « إن التناقض الموجود فى الشيعة مثل مايرى عند السنة كاختلاف الأحناف مع الشوافع والحنابلة » (٢) .

ولا يخفى لدراس المذهب الشيعى بوجود خلاف بين علماء الشيعة حول عصمة الأئمة ، ولكنهم اتفقوا على تحريف القرآن الكريم ماعدا أربعة من علمائهم وهم : شريف المرتضى ، والشيخ صدوق ، وأبو جعفر الطوسى والشيخ أبو على صاحب تفسير

---

(١) التهذيب والاستبصار أبو جعفر الطوسى .

(٢) أساس الأصول دلدار على .

مجمع البيان ، ولكن هذا الموقف من قبلهم كان من باب التقية لأن الاعتقاد بعدم وجود التحريف فى القرآن يطردهم عن دائرة المذهب الشيعى ، بدليل أن أئمتهم يعتقدون بوجود التحريف فى القرآن ، والمذهب الشيعى يعتمد كلياً على أساس تعليمات الأئمة ومن ناحية أخرى أن كلامهم يتناقض مع الواقع حيث وردت روايات كثيرة فى كتبهم التى تدل على تغيير القرآن وتحريفه ونقصانه وتوحى بأن عقيدتهم الأصلية كانت طبقا لما اعتقدها جماعتهم مثل مايقول ابن بابويه القمى الملقب بالصدوق فى كتابه بعنوان « من لا يحضره الفقيه » متحدثا تحت باب المتعة حيث يقول : « أحل رسول الله ﷺ المتعة ولم يحرمها حتى قبض واستدل على ذلك بقوله « وقرأ ابن عباس ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ إلى أجلٍ مُسَمًّى فآتُوهُن أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً منَ اللهِ ﴾ »[١] .

وإن الآية الصَحيحة التى وردت فى القرآن كما هى ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم به مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فريضةً ﴾ [سورة النساء الآية ٢٤] يتضح من هذا أن الشيخ الصدوق أضاف فى الآية [إلَى أجلٍ مُسمًّى] وكذلك « من الله » بعد فريضة .

وجاء فى كتابه الآخر بعنوان « الخصال » رواية عن أبى الزبير عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل : المصحف ، والمسجد ، والعترة ، يقول المصحف يارب حرفونى ومزقونى ، ويقول المسجد : يارب عطلونى وضيعونى ، وتقول العترة : يارب قتلونا وطردونا وشردونا »[٢] .

وفى رواية أخرى نقلا عن « الأمالى » لابن بابويه القمى « عن ابن عمير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : لما أمر الله نبيه أن ينصب أمير المؤمنين عليه السلام للناس فى قوله تعالى : ﴿ ياأيُّها الرَّسُول بلِّغ ما أُنزِلَ إِلْيكَ منْ ربِّك ﴾ فى على »[٣] .

وأما الطوسى فلا يختلف عن ابن بابويه القمى فإنه قد شحن كتابه بمثل هذه الروايات التى أسلفت ذكرها وكذلك الحال عند المرتضى والطبرسى .

إن هذه الروايات كلها تؤكد حقيقة اعتقادهم فى القرآن الكريم بحيث إنهم

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٤٥٩ لابن بابويه القمى الملقب بالصدوق .

(٢) كتاب الخصال ص ١٧٥ لابن بابويه القمى .

(٣) الأمالى لابن بابويه القمى .

لا يختلفون عن أئمتهم بوجود التحريف فى القرآن الكريم ، ومن ثم فقد كشف أحد كبار علماء الشيعة فى الهند « أحمد سلطان » حقيقة بعض علماء الشيعة الذين أنكروا التحريف ، إذ يرى أن إنكارهم لا يحمل إلا على التقية [١] التى هى دعامة من دعائم عقائد الشيعة .

ويتضح من هذا أن جميع أئمة الشيعة وعلمائهم قد اتفقوا بوجود التحريف فى القرآن الكريم وإن إنكار أربعة من علمائهم بوجود التحريف فى القرآن هو من باب التقية بدليل أن أقوالهم المبعثرة فى كتبهم تؤكد حقيقة ماذهبوا إليه .

ويتبين من دراسة كتب الشيعة أن التحريف الذى وقع فى القرآن الكريم حسب معتقداتهم فى مواضع كثيرة منه كما يلى :

(١) حذف بعض السور والآيات من القرآن الكريم .
(٢) إضافة بعض العبارات فى القرآن الكريم على أساس أنها جزء من القرآن .
(٣) تغيير فى ألفاظ القرآن .
(٤) تغيير الترتيب الذى نزل به القرآن وكما أمر به النبى ﷺ .

وأذكر هنا كل ناحية من هذه النواحى الموضحة على حدة لأجل كشف موقفهم الحقيقى من القرآن الكريم فى ضوء مصادر الشيعة ومراجعهم .

حذف بعض السور والآيات من القرآن الكريم

وردت روايات كثيرة من قبل أئمة الشيعة وعلمائهم توحى بحذف بعض السور والآيات من القرآن الكريم ، ومن ثم يزعمون أن هنا سورة اسمها سورة الولاية حذفها الصحابة من المصحف وهاك نص السورة المزعومة « يا أيها الرسول بلغ إنذارى فسوف يعلمون ، قد خسر الذين كانوا عن آياتى وحكمى معرضون ، مثل الذين يوفون بعهدك إنى جزيتهم جنات النعيم ، إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم ، وإن عليًّا من المتقين ، وإنا لنوفيه حقه يوم الدين ، مانحن عن ظلمه بغافلين وكرمناه على أهلك أجمعين فإنه

---

(١) تصحيف كاتبين ص ١٨ أحمد سلطان .

وذريته الصابرون وإن عدوهم إمام المجرمين ، قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ماوعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون ، ياأيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه الله مؤمنا ومن يتوله من بعدك يظهرون فأعرض عنهم إنهم معرضون ، إنا لهم محضرون فى يوم لايغنى عنهم شىء ولاهم يرحمون . إن لهم فى جهنم مقاماً عنه لا يعدلون ... الخ » (١) .

وبالإضافة إلى ذلك يزعمون بحذف الآية من سورة « ألم نشرح » وهى « وجعلنا عليًّا صهرك » (٢) ويروى « الطبرسى » بأن سورة « ألم نشرح » الموجودة فى المصحف المتداول غيرما أنزلها الله على رسوله حيث وردت رواية عن عبد الرحمٰن بن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال الله سبحانه وتعالىٰ : ﴿ ألم نشرح لك صدرك بعلى ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك فإذا فرغت من نبوتك فانصب عليا وصيا وإلى ربك فارغب فى ذلك ﴾ (٣) ويزعمون بأن كبار الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم قد أسقطوا كثيرا من الآيات والسور التى نزلت فى فضائل أهل البيت وخاصة ماتشير إلى ولاية على رضى الله عنه مثل ماجاء فى « أصول الكافى » نقلاً عن الإمام جعفر الصادق بأن جبريل أنزل على محمد ﷺ وآله هذه الآية هكذا : « ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فى على نوراً مبيناً » (٤) وكذلك الآية ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فوزاً عظِيماً ﴾ يرى الكافى بخصوص هذه الآية نقلا عن الإمام جعفر الصادق بأنه قد وقع التحريف حيث إن الآية نزلت هكذا : « ومن يطع الله ورسوله فى ولاية على والأئمة من بعده فقد فاز فوزا عظيما » (٥) إذ يرى « الكافى » بمعنى آخر بأن الآيات التى وردت بخصوص ولاية على رضى الله عنه والأئمة من بعده قد تم سقوطها ، وجاء فى نفس الكتاب نقلا عن الإمام جعفر الصادق قال : نزل جبريل بهذه الآية على محمد ﷺ وآله « بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله فى على بغياً » (٦) ، وفى رواية

---

(١) فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ص ١١٠ الميرزا النورى الطبرسى .

(٢) مختصر التحفة الأثنى عشرية ص ٣٣ شاه عبد العزيز الدهلوى اختصره وهذبه السيد محمود شكرى الألوسى .

(٣) فصل الخطاب ص ٢٩١ الطبرسى .

(٤) أصول الكافى للكلينى ص ٦٢٤ .

(٥) نفس المصدر ص ٢٦٢ .

(٦) نفس المصدر ص ٢٦٣ .

أخرى رواها أبو البصير نقلا عن الإمام جعفر الصادق بحذف كلمة « بولاية على » من سورة المعارج إذ يرى أن الآية نزلت هكذا « سأل سائل بعذاب واقع للكافرين بولاية على ليس له دافع » ثم قال : هكذا والله نزل بها جبريل على محمد صلى الله عليه وآله » [١] وورد نقلا عن الإمام الباقر فإنه قال : نزل جبريل بهذه الآية هكذا : « يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فى ولاية على فآمنوا خيراً لكم وإن تكفروا بولاية على فإن لله مافى السموات ومافى الأرض » [٢] .

وجاء فى نفس الصفحة رواية أخرى عن أبى جعفر قال : هكذا نزلت هذه الآية « ولو أنهم فعلوا مايوعظون به فى على لكان خيراً لهم » [٣] .

ويتضح من هذا أن كثيرا من الآيات التى كانت تتضمن ولاية على رضى الله عنه حذفت من القرآن الكريم « معاذ الله » .

وأورد الكافى فى نفس الباب بعض الروايات الأخرى التى توحى بكل جلاء حذف بعض الآيات التى وردت بخصوص ولاية على رضى الله عنه ، ونذكر بعضا منها فيما يلى كما يروى الكافى :

(١) عن أبى جعفر عليه السلام قال : نزل جبريل بهذه الآية هكذا « فأبى أكثر الناس بولاية على إلا كفورا » .

(٢) قال : ونزل جبريل بهذه الآية هكذا « وقل الحق من ربكم فى ولاية على فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

(٣) عن أبى حمزة عن أبى عبد الله عليه السلام « هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا بولاية علىّ قطعت لهم ثياب من نار » .

إن هذه الروايات المذكورة كلها وردت فى « أصول الكافى » تحت باب بعنوان « باب فيه نكت ونتف من التنزيل فى الولاية » .

---

(١) نفس المصدر ص ٢٦٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٦٧ .

(٣) أصول الكافى للكلينى ص ٢٧٦ .

إن الشيعة يرون أن الأمر لا يقتصر على حذف الآيات التى نزلت بخصوص ولاية على رضى الله عنه ، بل إن هناك عشرة آلاف وثلاثمائة وأربعة وثمانين آية تم حذفها من القرآن الكريم لأنه كان يحتوى على سبعة عشر ألف آية كما يتضح من رواية الكافى التى وردت تحت باب بعنوان : « باب فضل القرآن » عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله عليه السلام قال : « إن القرآن الذى جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ وآله سبعة عشر ألف آية » [١] .

ويحكى « احتجاج الطبرسى » رواية عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهى لا تخلو من الغرابة من حيث إن زنديقاً عرض على الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه بعض ملاحظاته حول القرآن الكريم ومن ضمنها عدم وجود العلاقة بين الشرط والجزاء فى الآية التى وردت فى سورة النساء : ﴿ وَإِنْ خِفْتُم أَلَّا تُقْسِطُوا فى الْيَتَامَى فانْكِحُوا ما طَابَ لكُم مِنَ النِّساءِ ﴾ ورد عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه قائلاً « هو مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين القرآن وبين القول فى اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن » [٢] ، وجاء فى نفس الكتاب أن علىّ بنَ أبى طالب رضى الله عنه رد عليه قائلاً على بعض ملاحظاته الأخرى « حسبك من الجواب عن هذا الموضع ماسمعت فإن شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه » [٣] .

إن هذه الروايات الموضحة كلها تشير إلى عقلية الشيعة وموقفهم من القرآن الكريم الذى ينبى على هدم أهم مصدر من مصادر الإسلام وذلك بإيراد الشكوك والشبهات حوله .

الروايات التى وردت بشأن الزيادة والإضافة فى القرآن الكريم عند الشيعة توجد لدينا مجموعة من الروايات التى وردت فى كتب الشيعة تشير إلى أن المصحف الموجود حاليا يحتوى على بعض الإضافات التى قام بها كبار الصحابة مثل

---

(١) أصول الكافى ص ٦٧١ .

(٢) الاحتجاج ص ١١٩ أبو منصور أحمد بن على الطبرسى .

(٣) نفس المصدر ص ١٢٥ .

ماجاء فى « الاحتجاج » للطبرسى نقلا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه حيث يقول : « إنهم أثبتوا فى الكتاب مالم يقله الله ليلبسوا على الخليقة » [١] وجاء فى نفس الصفحة نقلا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه « وليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين ولا الزيادة فى آياته على ما أثبتوه من تلقائهم فى الكتاب ، لما فى ذلك تقوية حجج أهل التعطيل والكفر والملل المنحرفة عن قبلتنا وإبطال هذا العلم الظاهر الذى قد استكان له الموافق والمخالف » [٢] ويذكر نفس المصدر بأنه وقع بعض الإضافات عند وقت جمع القرآن حيث يقول : « ثم دفعهم الاضطرار بورود المسائل عما لايعلمون تأويله إلى جمعه وتأويله وتضمينه من تلقائهم مايقيمون به دعائم كفرهم فصرخ مناديهم من كان عنده شيء من القرآن فليأتنا به ووكلوا تأليفه ونظمه إلى بعض من وافقهم إلى معاداة أولياء الله فألفه على اختيارهم » [٣] ، وأضاف قائلا : إنه أضيف فى القرآن مايخالف عن فصاحته ويبدى فيه التنافر الواضح كما يتضح من هذه العبارة « وزادوا فيه ماظهر تناكره وتنافره » [٤] .

ويتبين من الروايات المشار إليها أن المصحف الموجود بأيدينا فإنه يقوم على أعمدة الكفر والضلال ويؤيد المذاهب الهدامة وفيه العبارات التى تخالف فصاحته وبلاغته « معاذ الله » .

زعمهم بتغيير بعض الألفاظ فى القرآن الكريم

يرى المذهب الشيعى بوجود تغيير الألفاظ فى القرآن الكريم ، ونعرض هنا ما ورد بخصوص هذا الموضوع من كتبهم المعتمدة وقد ، ورد فى « أصول الكافى » أن شخصاً قرأ عند أبى عبد الله عليه السلام « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » فقال ليس هكذا إنما هى « والمأمونون » ونحن المأمونون [٥] .

---

(١) نفس المصدر ص ٣٧١ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٧١ .

(٣) نفس المصدر ص ٣٧٧ .

(٤) نفس المصدر ص ٣٧٧ .

(٥) أصول الكافى ص ٣٩٦ للكلينى وفصل الخطاب ص ٢٤٠ للطبرسى .

وجاء فى تفسير القمى عن طريق ابن سنان قال : قرأت على أبى عبد الله عليه السلام « كنتم خير أمة أخرجت للناس » فقال أبو عبد الله عليه السلام : خير أمة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام ؟ ! فقال القارئ : جعلت فداك كيف نزلت ؟ قال « خير أئمة أخرجت للناس » ألا ترى مدح الله لهم « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » (١) .

وورد فى نفس الكتابين المشار إليهما « وجعلناكم أئمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » (٢) .

وجاءت رواية عن طريق أبى بصير أنه قال : قرأت عند أبى عبد الله عليه السلام « ولقد نصركم الله بِبَدْرٍ وَأَنْتُم أَذِلَّةٌ » فقال : مه والله ليس هكذا أنزلها الله إنما أنزلت « وأنتم قليل » (٣) ويروى نفس الراوى رواية أخرى نقلا عن أبى عبد الله عليه السلام فى هذه الآية « ثم لا يجدون فى أنفسهم حرجا مما قضيت فى أمر الولاية ويسلموا الله الطاعة » (٤) ، ويحكى « الكافى » رواية عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله فى قوله عز وجل « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات فى محمد وعلى والحسن والحسين والأئمة من ذريته » هكذا والله نزل بها جبريل على محمد ﷺ » (٥) .

إن الروايات المشار إليها تؤكد بكل جلاء أن الشيعة يعتقدون بتغير الألفاظ فى القرآن الكريم .

نحلة الشيعة تقول بتغير بعض أحرف القرآن

هناك روايات عديدة مدونة فى أمهات الكتب عند الشيعة تؤكد تغير الحروف فى المصحف الموجود بين أيدينا .

---

(١) تفسير القمى ج١ ص ١١٠ على بن إبراهيم القمى تحقيق السيد طيب الموسوى وفصل الخطاب ٢١٧ للطبرسى .

(٢) فصل الخطاب ٢١٣ وتفسير القمى ج ١ ص ٦٣ .

(٣) فصل الخطاب ص ٢١٨ .

(٤) تفسير القمى ج ١ ص ١٤٢ .

(٥) أصول الكافى ٣٧٩ وفصل الخطاب ٢٥٨ .

فقد ورد فى « مجمع البيان » نقلا عن الإمام جعفر الصادق أنه قرأ « جاهد الكفار بالمنافقين » بدلا من ﴿ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ وهذا ما ورد بخصوص هذا الموضوع « فى المجمع فى قراءة أهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين وفيه عن الصادق أنه قرأ جاهد الكفار بالمنافقين قال إن رسول الله ﷺ وآله لم يقاتل منافقا قط إنما كان يتألفهم ، ويؤيد القمى أيضاً القراءة المشار إليها بزيادة (ب) بالمنافقين [١] .

عن يونس بن ظبيان عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله عز وجل ﴿ لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حتى تنفقوا مَا تُحِبُّون ﴾ هكذا أقرؤها [٢] .

عن الهيثم بن عروة التميمى قال سألت أبا عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى : ﴿ فاغسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُم إِلَى الْمرَافِق ﴾ فقلت هكذا ومسحت من ظهر كفى إلى المرافق فقال : « ليس هكذا تنزيلها إنما هى « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم من المرافق » ثم أمرَّ يده من مرفقه إلى أصابعه » [٣] .

عن الثمالى عن أبى جعفر عليه السلام قال سألته عن قول الله تعالىٰ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ ﴾فقال « يسألونك الأنفال » [٤] .

عن أبى الحسين الرضا عليه السلام أنه قال لرجل : كيف تقرأ ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ والْمهَاجِرينَ والأَنْصارِ ﴾فقال : نقرؤها هكذا ، قال : ليس هكذا قال الله ، إنما قال « لقد تاب الله بالنبى على المهاجرين والأنصار » [٥] .

عن أبى بصير قال : قلت لأبى عبد الله عليه السلام : ﴿ واجْعَلْنَا لِلْمتَّقِينَ إِمَاماً ﴾قال : لقد سألت ربك عظيما إنما هى : « واجعل لنا من المتقين إماما » [٦] .

والواقع أن الآية « واجعلنا للمتقين إماما » لا تؤيد مذهبهم حيث إنها تفتح مجالا لكل شخص أن يصبح إماماً ولذلك قاموا بالتحريف الشنيع لإثبات فكرهم وعقيدتهم الخاصة نحو الأئمة .

---

(١) الاحتجاج للطبرسى وتفسير القمى .

(٢) فصل الخطاب ص ٢١٦ الميرزا النورى الطبرسى .

(٣) نفس المصدر ص ٢٢٩ .

(٤) نفس المصدر ص ٣٣٨ .

(٥) نفس المصدر ص ٢٤٠ .

(٦) فصل الخطاب ص ٢٦٥ وتفسير القمى ج ٢ ١١٧ .

الفكر الشيعى يرى بوقوع تغير فى ترتيب القرآن

إن أئمة الشيعة وكبار علمائهم يرون بوقوع تغير فى ترتيب القرآن الكريم ، وإن كتبهم تنطق بكل وضوح فى هذا الشأن ، وسأعرض هنا بعض المقتبسات من كتبهم التى تؤكد ما ذهبنا إليه .

(١) هناك رواية وردت فى « فصل الخطاب » بشأن وقوع تغير فى ترتيب القرآن الكريم هذا نصها « كان لأمير المؤمنين عليه السلام قرآنا مخصوصاً جمعه بنفسه بعد وفاة رسول الله ﷺ وآله وعرضه على القوم فأعرضوا عنه فحجبه عن أعينهم وكان عند أولاده عليهم السلام يتوارثونه إمام عن إمام كسائر خصائص الإمامة وخزائن النبوة وهو عند الحجة عجل الله فرجه يظهره للناس بعد ظهوره ويأمرهم بقراءته وهو مخالف لهذا القرآن الموجود من حيث التأليف وترتيب السور بل الكلمات أيضا ، ومن جهة الزيادة والنقصان وحيث إن الحق مع على عليه السلام وعلى مع الحق ففى القرآن الموجود تغير من جهتين » [(١)] .

(٢) ونورد هنا كلاماً لعالم كبير من علماء الشيعة وهو الشيخ دالدار على يذكر فى كتابه بعنوان « عماد الإسلام » عن تغير الترتيب فى القرآن الكريم هذا نصه : « إن التحريف فى الجملة فى هذا القرآن الذى بين أيدينا بحسب زيادة بعض الحروف ونقصانه بل بحسب بعض الألفاظ وبحسب الترتيب فى بعض المواضع قد وقع بحيث لا يشك فيه » [(٢)] .

(٣) وهناك رواية أخرى ذكرها نورى الطبرسى فى كتابه بعنوان « فصل الخطاب » التى تؤكد مزاعم الشيعة بوجود تغير الترتيب فى القرآن الكريم هذا نصها « الأخبار الكثيرة المعتبرة الصريحة فى وقوع السقط ودخول النقصان فى الموجود من القرآن زيادة على مامر فى ضمن الأدلة السابقة ، وإنه أقل من تمام مانزل إعجازاً على سيد الإنس والجان من غير اختصاصها بآية أو سورة وهى متفرقة فى الكتب المبعثرة التى عليها المعول عند الأصحاب » [(٣)] .

---

(١) فصل الخطاب الميرزا النورى الطبرسى .

(٢) عماد الإسلام دلدار على .

(٣) فصل الخطاب الميرزا النورى الطبرسى .

إن هذه الروايات المشار إليها توضح موقف الشيعة من القرآن الكريم الذى يقوم على التحريف والتبديل للقضاء على أهم مصدر من المصادر الإسلامية وهو القرآن ، ونعرض هنا مزيدا من الروايات الأخرى المقتبسة من كتب الشيعة التى تلقى ضوءاً على مؤامرة وليدة اليهود التى قاموا بها ضد القرآن الكريم وهى تؤكد كذلك نواياهم الهدامة وبالتالى تكشف صرح عقائدهم نحو القرآن .

قال السيد المحدث الجزائرى فى « الأنوار » : إن الأصحاب قد أطبقوا على صحة الأخبار المستفيضة بل المتواتره الدالة بصريحها على وقوع التحريف فى القرآن كلاماً ومادة وإعرابا » [١] .

وورد فى مقدمة تفسير الصافى بخصوص التحريف الذى وقع فى القرآن حسب معتقدات الشيعة مانصه « وأما اعتقاد مشائخنا رحمهم الله فى ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام « محمد بن يعقوب الكلينى » طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان فى القرآن لأنه روى روايات فى هذا المعنى فى كتابه « الكافى » ولم يتعرض لقدح فيها مع أنه ذكر فى أول الكتاب أنه كان يثق بما رواه ، وكذلك أستاذه على بن إبراهيم القمى فإن تفسيره مملوء منه وكذلك الشيخ « أحمد بن أبى طالب الطبرسى » [٢] .

جدير بالذكر أن العلامة « نورى الطبرسى » قام بكتابة القائمة المطولة تحتوى على ذكر أسماء من كبار علماء الشيعة الذين ألفوا الكتب بخصوص تحريف القرآن وذكر « أبو منصور أحمد بن على الطبرسى » فى كتابه « الاحتجاج » رواية التى تؤكد مزاعم الشيعة بأن المصحف المتداول غير المصحف الذى أنزل الله به على محمد ﷺ حيث يقول : « لما توفى رسول الله ﷺ جمع علىّ عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله ﷺ فلما فتحه أبو بكر خرج أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر فقال : ياعلى أردده فلا حاجة لنا فيه : فأخذه على وانصرف .

ثم أحضر زيد بن ثابت وكان قارئا للقرآن فقال له عمر : إن عليّا عليه السلام

---

(١) الأنوار ص ٢٠ الجزائرى .

(٢) مقدمة تفسير الصافى ص ٧ .

جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار ، وقد أردنا أن تؤلف لنا القرآن وتسقط منه ماكان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار فأجابه زيد إلى ذلك .

ثم قال : إذا فرغت من القرآن على ماسألتم وأظهر عليّ القرآن الذى ألفه أليس قد بطل كل ماعلمتم ؟

فقال عمر : فما الحيلة ؟

قال زيد : أنتم أعلم بالحيلة .

فقال عمر : فما الحيلة دون أن نقتله ونستريح منه .

دبر لقتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك ، ولما استخلف عمر سأل عليا أن يدفع لهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم .

فقال يا أبا الحسن ، إن كنت جئت به إلى أبى بكر فأت به إلينا حتى نجتمع عليه فقال على عليه السلام : هيهات ليس إلى ذلك سبيل « إنما جئت به إلى أبى بكر لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا : ما جئتنا به إن القرآن الذى عندى لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدى فقال عمر : فهل وقت لإظهاره معلوم ؟

قال عليه السلام : « نعم إذا قام القائم من ولدى يظهره ويحمل الناس عليه فتجرى السنة به » (١) .

ويقول الشيخ دلدار على فى كتابه بعنوان « عماد الإسلام » متحدثا عن تحريف القرآن « إنه معلوم من حال النبى كما لا يخفى على المتفحص الذكى أنه مع كمال رغبة على تخليقه عليا كان فى غاية التقية من قومه ولهذا عندى دلائل وأمارات لايسع المقام ذكرها فيحتمل عند العقل أن النبى أودع القرآن النازل المشتمل على نصوص أسماء الأئمة وأسماء المنافقين مثلا عند محارم أسراره كعلى بأمر الله لئلا يرتد القوم بأسره لما علم من حالهم عدم احتمال ذلك وأظهرهم بقدر ما علم المصلحة فى إظهاره » (٢) .

---

(١) الاحتجاج ص ٣٧٠ للطبرسى .

(٢) عماد الإسلام ص ٩٥ دلدار على .

إن هذه الأقوال التى صدرت من كبار علماء الشيعة توضح حقيقة موقفهم من القرآن الكريم وهو إبداء الشكوك والشبهات حول صحته متجاهلين الحقائق والروايات المروية بصورة قطعية التى تؤكد صحته وسلامته من التحريف .

ولا يخفى لدارس علوم القرآن أن جمع القرآن وترتيب سوره وآياته وكون هذه السورة بعد الأخرى كما نشاهده فى المصاحف التى بين أيدينا والتى أجمعت عليه الأمة على هذا النسق منذ جمعه : الأولىٰ فى عهد أبى بكر رضى الله عنه والثانية فى عهد عثمان رضى الله عنه إلى يومنا هذا ، هذا هو المتفق عليه كما جاء فى « الإتقان » .

والواقع أن الأمة الإسلامية قاطبة قد أجمعت أن ترتيب سور القرآن وآياته قد تم بأمر النبى ﷺ فى عهده ، وأن أصحابه قاموا بعناية بالغة فى جمعه وترتيبه ، من ثم فإن المستشرقين المعروفين بعداوتهم وحقدهم للإسلام قد اعترفوا بصحة القرآن وأثنوا على الجهود الفائقة التى بذلت فى جمعه وترتيبه مثل « سروليم ميور » المعروف بعداوته للنبى ﷺ حيث طعن فى شخصية النبى ﷺ فى كتابه بعنوان LIFE OF MOHAMED أى « حياة محمد » ولكنه لم ينكر صحة القرآن على ماهو موجود حيث يقول « ظهر الخلاف بين المسلمين من بعد ربع قرن من وفاة محمد ﷺ وإن استشهاد عثمان رضى الله عنه كان محور الخلاف فى ذلك الحين حيث نرى آثاره إلى يومنا هذا ، ولكن القرآن كان بعيداً كل البعد عن تلك النزاعات بدليل أن جميع الفرق المتحاربة قد قامت بإقرار صحته وبتلاوته على النحو الذى أنزله الله تعالى وهناك كلام يدعو إلى الغرابة والاستعجاب بأن المصحف الذى جمعه الخليفة سىء الحظ قد مر عليه اثنا عشر قرنا ولكنه محفوظ عن التغير والتحريف رغم أنه قد مضى عليه فترة طويلة من الزمن [(١)] .

ويقول « وهرى » «WHERRY» فى مقدمة تفسير القرآن بعنوان «COMMENTRY OF THE QURAN» إن القرآن يتميز عن جميع الصحف من حيث الحقيقة والأصالة » [(٢)] .

ويقول لين بول « LANE POLE » « إن أهم ميزة يتجلى بها القرآن تدور حول

---

(1) LIFE OF MOHAMAD [سروليم ميور

(2) COMMENTRY OF THE QURAN [وهرى

أصالته ، وأنه بعيد عن الشكوك والأوهام ، ويمكن لنا أن نقول مطمئنين بأن الحرف الذى نقرأه اليوم وهو حرف غير محرف وغير مبدل من حوالى ١٣ قرنا » [١] .

ويرى الأستاذ « بارسوت اسمث » عن صحة القرآن « يوجد بين أيدينا قرآنا ينفرد بأصالته وحفظه عن تغير ترتيب الموضوعات ومن الصعب على الشخص العاقل أن يشك فى صدقه » .

ويقول الأستاذ « أرنلد » فى كتابه بعنوان ISLAMIC FAITH أى « الدين الإسلامى » : « إن متن القرآن هو مانطق به النبى ﷺ » [٢] .

ويقول البروفيسور « فليب حتى » إن القرآن هو عبارة عن الألفاظ التى نطق بها النبى ﷺ خالية من الزيادة والنقص » [٣] .

إن هذه الاعترافات صدرت من أفواه المستشرقين المعروفين بعداوتهم وحقدهم للإسلام ، وهى توضح عظمة القرآن وجلاله عندهم ، ولكن الشيعة الذين يعدون أنفسهم ضمن المسلمين يرون بتحريف القرآن للقضاء على هذا الدين الإسلامى الحنيف الذى يستمد شريعته وأحكامه من القرآن وهل يستقيم الادعاء بالإسلام مع العمل على هدم دستور الإسلام وهو القرآن الذى شهد له أعداء الإسلام كما أسلفنا قبل معتنقيه ؟

* * *

---

(1) SELECTION FROM THE QURAN لين بول]

(2) ISLAMC FATH p.9 أرنلد]

(3) HISTORY OF THE ARABS p.123 فليب حتى]

موقف الشيعة من السنة النبوية

وقبل أن نبدأ مزاعم الشيعة حول السنة النبوية من الأفضل أن نقدم عرضاً موجزاً عن السنة ومكانتها فى الإسلام .

ومن المعروف أن التشريع الإسلامى له عدة مصادر : أولها وأساسها هو القرآن الكريم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والمصدر الثانى « السنة النبوية » ويراد بها ما ورد عن رسول الله ﷺ من أقوال وأعمال أو إقرار لأعمال أو تصرفات وقعت أمامه وأقرها ووافق عليها أو علم بها وأقرها ووافق عليها لأن إقراره لها كالحكم بشرعيتها .

وحين نرجع إلى القرآن الكريم نعرف منه أن الله تبارك وتعالى وكل إلى رسوله أن يقوم بالتبليغ عنه وبيان دينه ، ويخبرنا القرآن أيضا أن الرسول معصوم من الخطأ فى الدين وأنه لا يقول إلا الحق وأن المسلمين يجب عليهم أن يقبلوا منه كل مايأمرهم به أو يثبت أنه نطق به أو فعله أو وافق عليه ، وكما ينبغى أن نعرف أن القرآن أمر بأشياء على وجه الإجمال ولكنه لم يفصل جزئياتها وتكفلت السنة النبوية بيان ذلك ، فالقرآن أمر بالصلاة ولكن السنة هى التى ذكرت عددها وعدد ركعاتها وسجداتها ووقت كل فريضة إلى آخره ، وكذلك أمر القرآن بالزكاة ولكن النبى ﷺ هو الذى حدد مقاديرها ومواعيدها ولذلك اتفق الأئمة على أنه إذا صح ثبوت الحديث النبوى ونسبته إلى الرسول عليه الصلاة والسلام أصبح حجة شرعية وتجب طاعة النبى فيه ، والأحكام التى يأتى بها النبى وليس لها نص صريح فى القرآن يجب علينا أن نقبلها لأنها لاتخرج عن القواعد الأساسية فى القرآن ، وقد تكون مستمدة من أصل فيه ، فالقرآن مثلا نص على تحريم الجمع بين الأختين فى الزواج فجاءت السنة وقاست على ذلك وأخبرت بأنه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها فى الزواج وكذلك الجمع بين المرأة وخالتها .

وحاصل الكلام أن السنة كلها ماثبت منها وماصح وحى من عند الله تبارك وتعالى نزل به جبريل وعلمه للرسول ووكل إليه أن يعبر عنه بعبارة من عنده حتى يكون هناك فرق بين النص الإلهى المتواتر الباقى على مر الزمن المتعبد بتلاوته وبين التفسير النبوى الذى يحيل هذا النص الإلهى إلى أحكام يطبقها البشر وينفذونها .

جمع الحديث بعد وفاة النبى ﷺ

وما أن توفى الرسول ﷺ حتى كثر عدد من كان يكتب الحديث من الصحابة ثم تلاهم التابعون على نفس النسق حتى يكون فى متناول من يأتى بعدهم ، روى عن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه ، وعن عبد الرحمٰن بن أبى الزناد عن أبيه قال « كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ماسمع فلما احتجتُ إليه علمت أنه أعلم الناس » وذكر البيهقى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد أراد أن يجمع الأحاديث ويقيدها بالكتابة واستشار أصحاب رسول الله ﷺ فأشاروا عليه بكتابتها وطفق يستخير الله فى ذلك مدة ، ولكن الله لم يرد له واستمر الأمر على ذلك البعض يكتب والبعض لا يكتب حتى جاء عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فرأى جمع السنة وتدوينها خشية أن يضيع منها شىء ، أو يلتبس الحق بالباطل فكتب إلى بعض المبرزين من العلماء فى الأمصار الإسلامية وأمرهم بجمع الأحاديث ، ويقول الإمام البخارى فى صحيحه : « وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن حزم : انظر ماكان عندك أى فى بلدك من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإنى خفت أن يندرس العلم بذهاب العلماء » .

وأخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أهل الآفاق : انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه .

وقد قام العلماء فى كل مصر بما ندبوا إليه خير قيام وأقبلوا على جمع الأحاديث والسنن وتمحيصها وتمييز صحيحها من سقيمها ومقبولها من مردودها .

عناية العلماء بأسانيد الحديث ومتنه

قد ركز علماء الحديث على جمعه وتمحيص أسانيده ومتنه حيث خلفوا لنا فى نقد الرجال ثروة هائلة وإنهم لم يكتفوا فى نقدهم للرجال بل عنوا أيضا بالنقد النفسى ، بالإضافة إلى ذلك ظهر فى نفس الوقت جماعة من العلماء مثل مالك وأحمد وسفيان الثورى وابن عيينة والبخارى ومسلم وباقى أصحاب الكتب الستة وغيرهم الذين اهتموا بفقه الأحاديث ، والواقع أن العلماء قد قاموا بعناية كبيرة نحو الحديث من جمعه وتدوينه وكذلك من حيث درايته وفقهه حتى صار نقيا من الشوائب والغرائب وأصبحت السنة بلا جدال المصدر الثانى بعد القرآن .

موقف الشيعة من السنة

إن موقف الشيعة من السنة قد يختلف عن موقف أهل السنة والجماعة كليا ، الذى يقوم على قضاء تلك الجهود الجبارة التى بذلها علماؤنا فى خدمة السنة المطهرة التى تعتبر المصدر الثانى من مصادر الشريعة الإسلامية حيث إن الشيعة يردون جميع الأحاديث التى وردت عن طريق جمهور أصحاب النبى ﷺ متمسكين بزعمهم بأنهم ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبى ﷺ مباشرة إلا نفراً ممن عرفوا بولائهم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ومفهوم الحديث عند الشيعة عبارة عن أقوال الأئمة الاثنى عشر لأن الأئمة عندهم معصومون كالرسول فأقوالهم أقوال الرسول ومن هذا المنطلق حكم الشيعة على الأحاديث بالوضع وهى عند الجمهور أرقى طبقات الصحيح مثل الحديث الذى أخرجه البخارى من أن النبى ﷺ أمر بسد كل خوخة تطل على المسجد من بيوت الأصحاب إلا خوخة أبى بكر فهذا الحديث الذى استكمل شرائطه عند الجمهور وارتفع عن مستوى الضعف أو الشك فى نظر النقد العلمى الصحيح وهو عند الشيعة مكذوب موضوع لمقابلة حديث زعموا صحته وهو أن النبى ﷺ أمر أن تسد الأبواب كلها إلا باب على ، طبعاً إن هذا الحديث من وضع الشيعة وكذلك وضعوا الأحاديث فى ذم معاوية رضى الله عنه منها « إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه » وفى ذم معاوية وعمرو بن العاص رضى الله عنهما « اللهم اركسهما فى الفتنة ودعّهما فى النار دعًّا » [١] ، بالإضافة إلى وضعهم الأحاديث فى فضائل على وآل البيت قال الخليلى فى الإرشاد « وضعت الرافضة فى فضائل على وأهل بيته نحو ثلاثمائة ألف حديث » [٢] ، وكذلك إنهم وضعوا الأحاديث فى ذم الصحابة وخاصة الشيخين وكبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حتى اضطر ابن الحديد أن يعترف مع تمسكه بالمذهب الشيعى فإنه يقول معلقا على الأحاديث التى وضعها الشيعة « فأما الأمور المستبشعة التى تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة وأنه ضربها بالسوط فصار فى عضدها كالدملج وإن عمر ضغطها بين الباب والجدار فصاحت ياأبتاه وجعل فى عنقها حبلاً تقاد به وفاطمة خلفه تصرخ وابناها الحسن والحسين يبكيان ثم أخذ ابن الحديد فى ذكر

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٨٠ دكتور مصطفى السباعى .

(٢) نقلاً من نفس المصدر ص ٨١ .

الكثير من المثالب ثم قال : فكل ذلك لا أصل له ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله » [١] .

ويتضح من هذا أن الشيعة لم يقتصروا على رفض الحديث فقط بل إنهم وضعوا الأحاديث لإيراد الشك والشبهات حول صحة السنة ، ومن هنا يقول شريك بن عبد الله القاضى وقد كان معروفا بالتشيع مع الاعتدال فيه « أحمل عن كل من لقيت إلا الرافضة فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا » [٢] وكذلك سئل مالك عن الرافضة [٣] فقال « لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون » [٤] .

وقال حماد بن سلمة : حدثنى شيخ لهم – يعنى الرافضة – قال « كنا إذا اجتمعنا فاستحسنا شيئاً جعلناه حديثا » [٥] ، وقال الشافعى « مارأيت فى أهل الأهواء قوماً أشهد بالزور من الرافضة » [٦] .

والواقع أن المذهب الشيعى مبنى على الكذب على رسول الله ﷺ وتكذيب الأحاديث الصحيحة ولهذا لا يوجد فى فرق الأمة من الكذب أكثر مما يوجد فيهم بخلاف الخوارج فإنه لا يعرف فيهم من يكذب كما يرى شيخ الإسلام ابن تيمية [٧] .

فالحديث عند الشيعة كما ذكرت عبارة عن قول المعصوم حيث جعلوا له وظيفة المشرع ومادام الإمام معصوما فهو لا ينطق عن الهوى وأنه يتلقى العلم من الرسول ﷺ الذى تلقاه بدوره من الله عز وجل . يروى الكلينى فى كافيه عن الإمام أبى

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١ ص ١٣٥ لابن الحديد .

(٢) منهاج السنة ج ١ ص ١٣ لابن تيمية .

(٣) الرافضة سماهم بهذا الاسم زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب فقد أخرج ابن عساكر فى تاريخه أن عيسى بن يونس سئل عن الرافضة والزيدية فقال : أما الرافضة فأول ماترفضت جاءت إلى زيد بن على ابن الحسين فقالوا له تبرأ من أبى بكر وعمر حتى تكون معك فقال : بل أتولاهما أبرأ ممن تبرأ منهما قالوا : فإذاً نرفضك فسميت الرافضة .

(٤) منهاج السنة ج ١ ص ٣ لابن تيمية .

(٥) منهاج السنة ج ١ ص ١٣ لابن تيمية .

(٦) اختصار علوم الحديث لابن كثير ص ١٠٩ .

(٧) أحكام عصاة المؤمنين ص ١٠٨ ، ١٠٩ لابن تيمية جمع وتقديم مروان كجك .

عبد الله جعفر الصادق أنه قال : إن لله علمين : علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه » [(١)] .

يتضح من هنا أن قول الإمام يترادف الحديث عندهم فكل ماورد عن الأئمة فهو صحيح ، ونظراً لهذا الخلاف الذى وقع بين أهل السنة والشيعة حول مفهوم السنة فإن الشيعة قد قاموا بوضع مصطلحات خاصة للحديث حسب صحة درجته وهى : الصحيح والحسن والموثوق والضعيف .

النوع الأول الصحيح : وهو « ما اتصل سنده إلى المعصوم بنقل العدل الإمامى عن مثله في جميع الطبقات حيث تكون متعددة » [(٢)] .

النوع الثانى الحسن : وهو « مااتصل سنده إلى المعصوم عليه السلام بإمامى ممدوح مدحا معتداً به ، غير معارض بذم من غير نص على عدالته ، مع تحقق ذلك فى جميع مراتب رواة طريقه أو فى بعضها » [(٣)] .

النوع الثالث : الموثوق : وهو مااتصل سنده إلى المعصوم بمن نص الأصحاب على توثيقه مع فساد عقيدته بأن كان من أحد الفرق المخالفة للإمامية وإن كان من الشيعة مع تحقق ذلك فى جميع رواة طريقه ، أو بعضهم مع كون الباقين من رجال الصحيح » [(٤)] .

النوع الرابع : الضعيف : وهو « مالم يجتمع فيه شرط أحد الأقسام السابقة بأن اشتمل طريقة على مجروح بالفسق ونحوه ، أو على مجهول الحال أو مادون ذلك كالوضاع » [(٥)] .

وهذه هى الأقسام الأربعة التى تعد أصول الحديث عندهم والتى توضح أن كل ماورد عن الإمام فهو مقبول عندهم وإن جاء غير طريق الإمام فهو مردود ، ومن هذا

---

(١) نقلاً عن فرق الشيعة لأبى محمد الحسن بن موسى النوبختى صححه وعلق عليه السيد محمد صادق ج ١ ص ١٤٧ .

(٢) مقياس الهداية فى علم الدراية ص ٣٣ للشيخ عبد الله المامقانى .

(٣) نفس المصدر ص ٣٤ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ٣٥ .

(٥) نفس المصدر ص ٣٥ .

المنطلق يردون جميع الأحاديث التى وردت عن طريق غير الإمام وهذا يوضح عقلية الشيعة المتعصبة وكتب الأحاديث المعتمدة عند الشيعة التى استندوا إليها فى كثير من أحكامهم الفقهية وهى أربعة : أولها « الكافى » لأبى جعفر محمد بن يعقوب الكلينى ، والثانى : « من لا يحضره الفقيه » لمحمد بن بابويه القمى الملقب بالصدوق ثم « التهذيب والاستبصار كلاهما لمحمد بن الحسن الطوسى ، وهذه الكتب الأربعة بمثابة كتب الصحاح الستة عند أهل السنة ويعتمدون على كتاب « الكافى » مثل اعتماد أهل السنة على البخارى ، ويقول عبد الحسين المظفر فى مقدمته لأصول الكافى : « ولما كان البحث يدور حول كتابنا هذا فقد عرفت ماسجله على صفحاته مؤلفه من الأحاديث التى يبلغ عددها زهاء سبعة عشرة ألف حديث وهى أول موسوعة إسلامية استطاع مؤلفها أن يرسم بين دفتيها مثل هذا العدد من الأحاديث وقد كلفته هذه المجموعة أن يضحى من عمره بعشرين سنة قضاها فى رحلاته متنقلاً من بلدة إلى أخرى » [١] وأضاف قائلاً « ويعتقد بعض العلماء أنه عرضه على القائم عليه السلام (يعنى الإمام الثانى عشر) فاستحسنه وقال كاف لشيعتنا » [٢] إن « الكافى » من أفضل الكتب التى ألفها فرقه الشيعة مجمعاً كما يرى صاحب مقدمة أصول الكافى حيث يقول « وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب والأخذ به والثقة بخبره والاكتفاء بأحكامه وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره على أنه القطب الذى عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والاتفاق إلى اليوم وعندهم أجل وأفضل من جميع أصول الحديث » [٣] ، ومن هنا يعتقد الشيعة أن كل أحاديث الكافى صحيحة يستوى فى ذلك مانسب إلى النبى ﷺ وما نسب إلى الأئمة فالكل معصوم فى نظرهم .

وإذا ألقينا نظرة عابرة حول المحتويات التى وردت فى « الكافى » نجد أنها تخالف العقيدة الإسلامية مثل ماورد فيه أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة [٤] ، يروى بسنده

---

(١) مقدمة أصول الكافى ص ٨ .

(٢) نفس المصدر ص ١٩ .

(٣) مقدمة أصول الكافى ص ٢٠ .

(٤) الكافى ص ٢٨٨ .

عن زرارة قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ ما الرسول وما النبى ؟ قال : النبى الذى يرى فى منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك والرسول الذى يسمع الصوت ويرى فى المنام ويعاين الملك قلت : الإمام مامنزلته ؟ قال يسمع الصوت ، ولا يرى ولا يعاين الملك ثم تلا هذه الآية « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث » (١) .

يفهم من هذا أن القرآن الكريم حرف وبدل ونقص منه مانقص كما يروى ثقة الإسلام عندهم الكلينى فى حديثه عن الأئمة وبيان صفاتهم مايرفعهم عن مستوى البشرية جمعاً » (٢) .

والواقع أن الروايات التى ذكرها « الكلينى » فى كتابه تتنافى مع مبادىء الإسلام ويرفضها العقل وكذلك الحال نراه فى الكتب الثلاثة الأخيرة المعتمدة عندهم ، وجدير بالذكر أن الشيعة قد أقاموا مذهبهم على الروايات التى ملئت بالتناقض وأنها ليست خالية من الشك .

وبالإضافة إلى ذلك أن العقل غير راض أن يقبلها ولكن يا للأسف ! إن الشيعة رفضوا الأحاديث التى قام علماؤنا بتنقيتها من الشوائب والدس ثم جمعوها بشكل يقطع الشك حول صحتها تماماً .

* * *

---

(١) نفس المصدر ص ١٧٦ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٠ .

موقف الشيعة من أصحاب النبى ﷺ

إن موقف الشيعة من أصحاب النبى ﷺ يختلف تماما عن موقف أهل السنة والجماعة الذى يعدّ من ضمن انحرافاتهم عن العقيدة الإسلامية الصحيحة ، ومن أهم نقاط الخلاف بينهم وبين الفكر الإسلامى الصحيح الذى يكن نحو تلك الجماعة كل الاحترام والتقدير ، التى قامت بأعمال جليلة وتضحيات عظيمة فى خدمة الإسلام وشرفها الله تعالى أن تكون واسطة لنقل رسالة محمد ﷺ وشرحها إلى أمته .

وللجلاء موقف الشيعة السلبى نحو تلك الجماعة الطاهرة من الأولى أن نعرض عرضا سريعا مكانة أصحاب النبى ﷺ فى الإسلام ، وكذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى وردت بشأن فضائلهم ومناقبهم ، ثم نقدم أخيرا موقف الشيعة نحوهم القائم على الحقد والضغينة .

منزلة أصحاب النبى ﷺ

إن أصحاب النبى ﷺ يختلفون عن عامة الرجال فى أوصافهم وأعمالهم الخالدة ، وكذلك تضحياتهم العظيمة التى قاموا بتقديمها لخدمة الإسلام ، إنهم صحبوا النبى ﷺ فى حياته وقاموا بنقل رسالة الإسلام وبشرحها إلى العالم . وترجمة حياتهم جزء من سيرة نبينا العظيم محمد ﷺ ، مصادر ترجمة حياتهم لا تقتصر على الكتب التاريخية فقط بل إن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تلقى ضوء كبيرا على منزلتهم ومكانتهم لأنها كانت جماعة مقدسة تمتاز عن بقية الأمة ذلك لنقل رسالة محمد ﷺ وعرضها على الأمة ، إن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية قد قامت برفع منزلة هذه الجماعة المقدسة ومن ثم فليس لنا حق أن نضع أصحاب النبى ﷺ وقضاياهم فى ميزان التاريخ .

القرآن يشير فى بعض آياته إلى منزلة أصحاب النبى ﷺ

توجد لدينا مجموعة من الآيات القرآنية التى تدل على منزلة أصحاب النبى ﷺ وعلى رفع درجاتهم فى الدنيا والآخرة التى توضح بكل جلاء أن هذه الجماعة تمتاز عن بقية رجال هذه الأمة ، ومن هنا يرى جمهور أهل السنة والجماعة أن أصحاب النبى ﷺ كانوا أفضل الخلائق بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يستحق لأى فرد من

أفراد هذه الأمة أن يصل إلى المرتبة التى كانوا عليها ، يقول إبراهيم بن السعيد : بأنه استفسر عن أبى أمامة حول أفضلية بين معاوية وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما فرد عليه قائلاً « لا نعدل بأصحاب محمد ﷺ أحدًا » [(١)] .

وجدير بالذكر أن عمر بن عبد العزيز له أهمية كبيرة فى التاريخ الإسلامى بسبب زهده وتدينه وأعماله الجليلة التى خلدت اسمه فى التاريخ حتى إن المؤرخين يذكرون أن حكمه كان على نمط الخلفاء الراشدين ولكنه لم يصل إلى المرتبة التى وصل إليها أصحاب النبى ﷺ ، وذلك يرجع إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى توضح منزلتهم ومكانتهم الجليلة ، ونذكر هنا بعض الآيات التى نزلت فى شأن أصحاب النبى ﷺ كما يلى :

(١) ﴿ كُنْتُم خيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران الآية ١١٠] .

(٢) ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهداء عَلَى النَّاسِ ﴾

[سورة البقرة الآية ١٤٣] .

إن جميع المفسرين والمحدثين قد أجمعوا أن أصحاب النبى ﷺ كانوا أول مخاطبين بهاتين الآيتين المشار إليهما حيث إنهم كانوا أفضل الخلائق بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما ذكر ابن عبد البر فى مقدمة « الاستيعاب » ، وكما يرى العلامة سفارينى فى شرح عقيدة الدرة المضيئة ويقول بأن هذا المذهب قد اختاره جمهور علماء المسلمين .

(٣) ﴿ مُحَمَّد رسُول اللهِ والَّذِينَ مَعَهُ أشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّار رحَماءُ بيْنَهُم تَرَاهُمْ ركَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُون فضْلًا من اللهِ وَرِضْوَانا سِيمَاهُم فى وُجُوهِهِم منْ أثر السُّجُودِ ﴾ .

[سورة الفتح الآية ٢٩] .

يقول الإمام القرطبى فى تفسير « والذين معه » بأن جميع أصحاب النبى ﷺ قد دخلوا تحت هذه الآية وأنها تدل على تزكيتهم والثناء عليهم من الله سبحانه وتعالى .

(٤) ﴿ يومَ لايُخزِى اللهُ النبىَّ والذينَ آمنُوا مَعهُ ﴾ [سورة التحريم الآية ٨] .

(٥) ﴿ وَ السَّابِقُون الأَوَّلُونَ مِن المُهَاجِرينَ والأَنْصارِ والَّذينَ اتَّبَعُوهُمْ بإحسْانٍ رَضِىَ اللهُ عنهُم وَرضُوا عنْه وأعدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تحتَها الأَنْهار ﴾ [سورة التوبة الآية ١٠٠] .

---

(١) الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ص ٤٠٤ لابن تيمية .

إن الآية الموضحة قد أشارت إلى طبقتين من أصحاب النبى ﷺ أولهما : الذين آمنوا برسالة محمد ﷺ عند ظهور الإسلام فوراً وثانيهما : الذين قاموا بتلبية دعوة محمد ﷺ بعد إيمان الطبقة الأولى كما تشير الآية وإن الله سبحانه وتعالىٰ قد أخبر عن طريق هذه الآية بأنه راضٍ عنهم وبشرهم بمنزلتهم فى الجنة ، وكما أن الله سبحانه وتعالىٰ أخبر برضائه عن جماعة بيعة الرضوان كما جاء فى هذه الآية : ﴿ لَقَدْ رَضِىَ اللهُ عنِ المؤمنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تحتَ الشَّجَرةِ ﴾ [سورة الفتح الآية ١٨] ووردت رواية عن النبى ﷺ بعدم دخول تلك الجماعة فى النار أبدا « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة » [١] .

يقول ابن كثير تحت تفسير الآية الموضحة « ياويل من أبغضهم أو سبهم أو سب بعضهم » ، ثم أضاف قائلاً : « فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضى الله عنهم » [٢] .

فكذلك ذكر ابن عبد البر فى مقدمة « الاستيعاب » : تحت تفسير الآية المشار إليها « ومن رضى الله عنه لم يسخط عليه أبدًا إن شاء الله تعالى » [٣] وورد فى الآية الأخرى التى تقر بأن جماعة أصحاب النبى ﷺ طبقة منتخبة كما يتضح من هذه الآية : ﴿ ثمَّ أوْرَثْنا الكِتابَ الَّذينَ اصْطَفَيْنَا منْ عِبادِنا فمِنْهُم ظالمٌ لنَفْسِهِ ومِنْهُم مقتصدٌ ومنْهُم سَابقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذْنِ اللهِ ذلِكَ هو الْفَضْلُ الكبيرُ ﴾

[سورة فاطر ، الآية ٣٢]

إن الآيات المشار إليها توضح أن أصحاب النبى ﷺ كانوا حاملين لصفات خاصة تميزهم عن غيرِهم .

الأحاديث النبوية التى وردت فى شأن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

إن كتب السنة مليئة بالأحاديث التى وردت فى شأن فضائل أصحاب النبى ﷺ ولا نستطيع حصرها لكثرتها ، ولكن نشير هنا إلى بعض منها كما يلى :-

---

(١) مقدمة الاستيعاب لابن عبد البر .

(٢) ابن كثير .

(٣) مقدمة الاستيعاب لابن عبد البر .

أفرد الإمام أبو عبد الله البخارى باباً فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ذكر فيه أحاديث عن رسول الله ﷺ تؤكد فضل صحابته رضوان الله عليهم منها رواية عن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « خير أمتى قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران : فلا أدرى أذكر بعد قرنيه قرنين أو ثلاثة « ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السمن »[1] وجاء فى نفس الباب قول النبى ﷺ « لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[2] ، وورد فى مسند البزار « إن الله اختار أصحابى على العالمين سوى النبيين والمرسلين ، واختار لى من أصحابى أربعة يعنى أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا فجعلهم أصحابى وقال : فى أصحابى كلهم خير »[3] وكذلك جاء فى الترمذى قول النبى ﷺ بشأن أصحابه « إنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم محدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة »[4] .

إن الأحاديث الموضحة كلها تدور حول فضائل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حيث إن النبى ﷺ قد أمر باتباعهم واحترامهم تقديرا لإخلاصهم وحبهم لله ورسوله وكما ورد وعيد شديد لمن يطعن فيهم .

وبناء على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى وردت فى شأن أصحاب النبى ﷺ فإن جمهور المسلمين أظهروا ولاءهم وحبهم للصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وإن هذا الحب والولاء يتجلى فى الرسالة التى كتبها عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الذى عده العلماء خامس الخلفاء الراشدين فإنه ركز فى رسالته على أهمية الصحابة ومنزلتهم مثل ماجاء « فارض لنفسك مارضى به القوم لأنفسهم فإنهم على علم »[5] .

---

(١) صحيح البخارى ج ٥ ص ٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٩ .
(٣) مسند البزار .
(٤) رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد .
(٥) أبو داود .

إن هذا خطاب مطول الذى ورد فى أبى داود يشير إلى مكانة الصحابة ومنزلتهم وحبهم دون التفريق بينهم ولا تنقيص من منزلتهم ماقاله الحاقدون عليهم وماألصقوا بهم من تهم وهم منها براء .

موقف كبار علماء المسلمين من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

إن علماء المسلمين قاطبة اتخذوا موقف الاحترام والحب والجلال نحو أصحاب النبى ﷺ نظراً لتضحياتهم العظيمة وأعمالهم الجليلة التى قاموا بها لخدمة الإسلام وإن كتب الحديث والعقائد تذكر بأن أصحاب النبى ﷺ كلهم عدول . عقد الإمام الحافظ المحدث أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى (٣٩٢ – ٤٦٣ هـ) فصلاً نفيساً فى كتابه (الكفاية) الذى طبع بالهند سنة ١٣٥٧ هـ (ص ٤٦ – ٤٩) بعنوان « ماجاء فى تعديل الله ورسوله للصحابة » واعتمد شيخ الإسلام الإمام الحافظ قاضى قضاة مصر شهاب الدين بن حجر العسقلانى (٧٧٣ – ٨٥٢) فى مقدمة كتاب « الإصابة » الذى طبع فى مصر سنة ١٣٢٨ هـ ج ١ ص ١٧ – ١٩ – حيث يقول : « عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم فى نص القرآن » .

يقول الإمام ابن الصلاح رحمه الله فى شأن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين « للصحابة بأسرهم خصيصة وهى أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم ؛ بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به فى الإجماع من الأمة ، قال تعالى : ﴿ كُنتُم خيرَ أمةٍ أُخرِجَتْ لِلناسِ ﴾ قيل اتفق المفسرون على أنه وارد فى أصحاب رسول الله ﷺ [(١)] .

ويقول الحافظ ابن عبد البر بخصوص هذا الصدد : « فهم خير القرون وخير أمة أخرجت للناس ، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم وثناء رسول الله ﷺ ، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ﷺ ونصرته ولا تزكية أفضل من ذلك ولا تعديل أكمل منها – قال تعالىٰ :﴿ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ والَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [(٢)] ويقول شيخ الإسلام ابن

---

(١) علوم الحديث لابن الصلاح .

(٢) مقدمة الاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص ٢ .

تيمية رحمه الله معلقا على أصحاب النبى ﷺ (١) « ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله تعالى فى قوله : ﴿ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِم ﴾ [الحشر : ١٠] ويقول العلامة السفارينى فى كتابه : « الدرة المضيئة » متحدثا عن موقف أهل السنة والجماعة من أصحاب النبى ﷺ « والذى أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل أحد تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم والكف عن الطعن فيهم ، والثناء عليهم فقد أثنى الله سبحانه عليهم فى عدة آيات من كتابه العزيز ، على أنه لو لم يرد عن الله ولا عن رسوله فيهم شىء لأوجبت الحالة التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الدين وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة فى الدين وقوة الإيمان واليقين القطع بتعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم وأنهم أفضل جميع الأمة بعد نبيهم ، هذا مذهب كافة الأمة ومن عليه من الأئمة » (٢) .

ورد فى نفس الكتاب قول ابن حزم بخصوص الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين « الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أعظَمُ درجةً مِنَ الَّذِينَ أنفقوا مِنْ بَعدُ وقاتَلوا وَكُلًّا وعدَ اللهُ الْحُسْنَى ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ (٣) وجاء فى « العقائد النسفية » « ويكف عن ذكر الصحابة إلا بخير » .

إن هذه الأقوال تكفى لإجلاء موقف جمهور علماء المسلمين نحو الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الذى يقوم على الاحترام والحب والإجلال نظرا لأنهم قاموا بنقل الإسلام إلينا بعد وفاة محمد ﷺ ، وإن صحبتهم مع النبى ﷺ قد جعلت حياتهم جزءا من الشريعة ، وأعمالهم كانت خالصة لوجه الله وتضحياتهم التى قدموها لخدمة الإسلام لا نظير لها فى تاريخ الأمم ولولا وجودهم لكان من الصعب أن يصل إلينا الإسلام وإن الله سبحانه وتعالى قد جعل أخلاقهم وعاداتهم وأعمالهم كلها تحت تابع الدين الإسلامى ، ومن ثم فإن النبى ﷺ قد جعل حبهم علامة الإيمان والطعن فيهم ينافى كمال الإيمان ، وإن الروايات التى روّجها الشيعة والخوارج حول أصحاب النبى ﷺ خالية من الصحة وطالما أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تتحدث عن فضائلهم فليس لنا حق أن نتكلم فى قضاياهم بناءاً على الروايات التاريخية التى ليست خالية من الشك والدس .

---

(١) شرح عقيدة الواسطية لابن تيمية ص ٤٠٣ .

(٢) [لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضيئة جـ ٢ ص ٣٣٨ سفارينى .

(٣) نفس المصدر ص ٣٨٩ .

الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى نظر المستشرقين

إن المستشرقين رغم عداوتهم وحقدهم للإسلام والمسلمين أقروا فضائل أصحاب النبى ﷺ وإخلاصهم وحبهم للإسلام ، وكذلك أعمالهم الجليلة التى قاموا بها لخدمة الإسلام . ونعرض هنا آراء المستشرقين فى هذا الشأن التى تدل على اهتمامهم البالغ نحو تلك الجماعة المقدسة فيقول الأستاذ « كائتانى » : « إنهم كانوا الممثلين الحقيقيين لوراثة الأخلاق النبوية وكانوا أمناء لتوصيل رسالة النبى محمد ﷺ إلى أمته ، إن روح التضحية وحبهم للرسول قد وصّلهم إلى عالم غريب من الفكر والخيال الذى ماشاهدته الحضارة من قبل ، والواقع أن التغير الكامل قد وقع فى جميع جوانب حياتهم الذى نلاحظه فى مواقع كثيرة مثل اليسر والعسر » [١] ويقول الدكتور « ليبان » : « إن الصحابة قد رشحوا للخلافة الأشخاص الذين كان هدفهم الحقيقى يدور حول نشر الدين المحمدى » [٢] .

ويرى الأستاذ « جبن » EDWARD GIBBON فى كتابه :

DECLINE AND FALL oF THE ROMAN EMPIRE معلقاً على الخلفاء الراشدين « إن أعمال الخلفاء الأربعة ونشاطهم كانت تقوم على الإخلاص حيث إنهم بذلوا آخر لحظة من حياتهم فى سبيل قيام أداء المسئولية الدينية والأخلاقية الملقاة عليهم رغم أن المال والجاه كان لا يوجد لديهم [٣] .

ويقول الدكتور « فليب حتى » فى كتابه «A SHART HISTORY OF ARABS» أى « تاريخ مختصر العرب » « إن أبا بكر قام بجمع المسلمين فى الجزيرة العربية تحت راية الإسلام بعد أن تغلب على المرتدين ، وكانت معيشته متواضعة جداً مليئة بالإخلاص وعاش فى أوائل خلافته لمدة ستة أشهر مع أسرته فى منطقه « سيح » فى بيت متواضع ويحضر صباحا إلى دار الخلافة « مسجد الرسول » للقيام بأعمال الدولة . وأما حياة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فإنها كانت مثل زعماء البدو التى كانت بعيدة كل البعد عن مظاهر الجاه والجلال » [٤] .

---

(١) [نقلا عن كتاب أرنلد PREACHING OF ISLAM ص ٤١ .

(٢) الحضارة العربية ص ١٣٤ دكتور لبيان .

(٣) DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE

(٤) A SHORT HISTORY OF THE ARABS .

إن هذه الأقوال توضح منزلة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عند المستشرقين .

موقف الشيعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

إن موقف الشيعة نحو أصحاب النبى ﷺ يختلف تماما عن موقف جمهور المسلمين لأنه يقوم على حذف العصر الذهبى المعروف بالخير والبركة فى التاريخ فكتبهم تدور حول السب والشتم والطعن فى أصحاب النبى ﷺ بينما يرى جمهور المسلمين رأياً آخر نحو عصر الصحابة المشتمل على الخير والبركة كما أسلفنا وكما أن الإسلام قد بلغ ذروته فى ذلك العصر ونورد هنا بعض المقتطفات من الكتب المعتمدة لدى الشيعة التى توضح موقفهم نحو الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بكل جلاء .

والعجيب فى الأمر أن « النوبختى » وهو شيعى يذكر أن عبد الله بن سبأ كان أول من أظهر الطعن فى أبى بكر وعمر وعثمان صهر رسول الله وأن الشيعة قد تناولوا هذه العقيدة من ذلك الوقت وتمسكوا بها والتفوا حولها ولا نجد أى شيعى إلا وهو يحمل العداوة والضغينة نحو الخلفاء الثلاثة بصفة خاصة وبقية الصحابة بصفة عامة وإن « الكشى » المعروف عند الشيعة فى الجرح والتعديل فيذكر عقيدة الشيعة فى أبى بكر رضى الله عنه الذى سماه الرسول « الصديق » فيروى عن حمزة بن محمد الطيار أنه قال ذكرنا محمد بن أبى بكر عند أبى عبد الله عليه السلام فقال أبو عبد الله عليه السلام رحمه الله وصلى عليه : قال (محمد بن أبى بكر) لأمير المؤمنين (على) عليه السلام يوما من الأيام ابسط يدك أبايعك فقال : أو مافعلت ؟ قال : بلى فبسط يده فقال أشهد أنك إمام مفترض طاعتك وإن أبى فى النار (معاذ الله) فقال أبو عبد الله عليه السلام : كانت النجابة فيه من قبل أمه أسماء بنت عميس رحمة الله عليها لا من قبل أبيه » (١) .

ويروى الكشى أيضا عن زرارة بن أعين عن أبى جعفر (ع) أن محمد بن أبى بكر بايع عليا عليه السلام على البراءة من أبيه (٢) .

وورد فى نفس الكتاب رواية تحت ترجمة محمد بن أبى بكر عن طريق شعيب عن

---

(١) رجال الكشى ص ٦٠ ، ٦١ .

(٢) المصدر السابق ص ٦١ .

أبى عبد الله (ع) قال : سمعت مامن أهل بيت إلا وفيهم نجيب من أنفسهم ، وأنجب النجباء من أهل بيت سوء محمد بن أبى بكر [١] .

هناك روايات كثيرة تتحدث بالطعن الصريح فى شخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه مثل ماجاء فى رجال الكشى تحت ترجمة سلمان الفارسى بأن سلمان الفارسى خطب إلى عمر فرده ثم ندم فعاد إليه سلمان فقال سلمان : إنما أردت أن أعلم ؛ أذهبت حمية الجاهلية عن قلبك أم هى كما هى [٢] ، ويروى الكشى أيضا عن هشام بن أبى عبد الله عليه السلام : كان صهيب عبد سوء يبكى على عمر [٣] .

وورد فى نفس الكتاب رواية عن طريق الباقر بأن بايع محمد بن أبى بكر على البراءة من الثانى [٤] فيكذب ابن بابويه القمى الشيعى على الفاروق ويقول : قال عمر حين حضره الموت أنوب إلى الله من ثلاث ، اغتصابى هذا الأمر أنا وأبو بكر من دون الناس ، واستخلافه عليهم ، وتفضيل المسلمين بعضهم على بعض [٥] .

وورد فى تفسير القمى تحت شرح هذه الآية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بعضُهم إلى بَعْضٍ زُخْرفَ الْقَوْلِ غُروراً﴾ فيقول « مابُعث نبىٌّ إلا وفى أمته شيطانان يؤذيانه ويضلان الناس بعده فأما صاحبا نوح – وأما صاحبا محمد فبجبنز وزريق [٦] .

ويقول الملا مقبول الشيعى شرحاً لكلمتى زريق وجبنز « إن الزريق مصغر لأزرق والجبنز معناه الثعلب والمراد من الأول « أبو بكر » لأنه كان أزرق العينين والمراد من الثانى « عمر » كناية عن دهائه ومكره [٧] .

ويروى الكشى عن الورد بن زيد قال : قلت لأبى جعفر (ع) : جعلنى الله فداك

---

(١) المصدر السابق ص ٦١ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٠ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٠ .
(٤) رجال الكشى ص ٦١ .
(٥) كتاب الخصال لابن بابويه القمى ص ٨١ .
(٦) تفسير القمى ص ٢١٤ .
(٧) مقبول قرآن شريف الشيعى بالأردية ص ٢٨١ .

قدم الكميت فقال : أدخله فسأله الكميت عن الشيخين فقال له أبو جعفر (ع) ما أهريق دم ولا حكم بحكم غير موافق لحكم الله وحكم رسوله ﷺ وآله وحكم عليّ إلا وهو فى أعناقهما فقال الكميت الله أكبر الله أكبر حسبى حسبى » [١] .

وفى رواية أخرى عن داود بن النعمان قال الباقر ياكميت بن زيد ما أهريق فى الإسلام محجة من دم ولا اكتسب مال من غير حله ولا نكح فرج حرام إلا وذلك فى أعناقهما إلى يوم يقوم قائمنا ، ونحن معاشر بنى هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما » [٢] .

وورد فى كتاب « الروضة » للكلينى أن أحداً من تلامذة الإمام الباقر استفسره حول الشيخين فرد قائلا « ماتسألنى عنهما مامات منا ميت إلا ساخطاً عليهما يوصى بذلك الكبير منا الصغير أنهما ظلمانا حقنا فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين [٣] وجاء فى نفس الكتاب بأن النبى ﷺ قد تنبأ بأن أول من يبايع على يد أبى بكر سيكون إبليس فى صورة الشيخ وهذا مانصه « ثم يأتون المسجد فيكون أول من يبايعه على منبرى إبليس لعنهُ الله فى صورة الشيخ يقول كذا وكذا » [٤] .

إن الملا باقر المجلسى يعد من كبار علماء الشيعة فى القرن الثانى عشر الهجرى ومؤلفاته قد نالت اهتماما كبيراً عند الشيعة حيث إنهم يرجعون إليها فى قضاياهم ، ولكن مع الأسف الشديد هى عارية من الأخلاق والأدب ؛ بل إنها مشحونة بالطعن والسب والشتائم فى أصحاب النبى ﷺ بصفة عامة وفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بصفة خاصة بدليل أن المؤلف المشار إليه عند مايذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكتب أمامه « عليه لعنة الله » وكما أن الكاتب ذكر فى كتابه بعنوان « زاد المعاد » « بأن النبى ﷺ قد تنبأ عن طريق الوحى بأن عمر يحمل شعور العداوة والضغينة نحو أهل البيت ويتم اغتياله فى ٩ ربيع الأول ومن ثم فإن النبى ﷺ قد أمر باحتفال فى ذلك التاريخ » .

---

(١) رجال الكشى ١٧٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٠ .

(٣) كتاب الروضة للكلينى ص ١١٥ .

(٤) المصدر السابق ص ١٥٩ .

وعقد أبو جعفر يعقوب الكلينى فى كتابه بعنوان « الكافى » فصلا تحت عنوان « باب فى تزويج أم كلثوم » أورد المؤلف فى ضمن هذا الفصل رواية توحى إلى عقلية الشيعة وفى نفس الوقت تدل بأنهم خال عن الأخلاق والحياء الذى عده النبى ﷺ جزءا من الإيمان فيروى زرارة عن أبى عبد الله عليه السلام فى تزويج أم كلثوم فقال « إن ذلك فرج غُصِبناه »[(١)] .

والواقع أن الكاتب قد نسى فى تعصبه بأنه لم يطعن فى حق عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقط ؛ بل طعن عن طريق هذه الرواية فى أهل البيت حيث وصفهم ضمناً بأنهم مستضعفون .

ويذكر الكلينى كبير محدثيهم وإمامهم الذى يعد كتابه « الكافى » من أصول الأربعة عندهم عن على رضى الله عنه أنه قال « قد عملت الولاة قبلى أعمالا خالفوا فيها رسول الله متعمدين لخلافه ناقضين لعهده مغيرين لسنته »[(٢)] .

وروى الكلينى أيضا عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذينَ آمنُوا ثم كفرُوا ثم آمنوا ثم كفرُوا ثم ازْدَادُوا كُفْرًا لم يَكُن اللهُ ليغْفِر لَهُم ﴾ قال : نزلت فى فلان وفلان آمنوا بالنبى ﷺ فى أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية حين قال النبى ﷺ وآله : من كنت مولاه فعلى مولاه ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام ثم كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ وآله فلم يقروا بالبيعة ثم ازدادوا كفرا بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شىء »[(٣)] .

ويقول شارح الكافى بأن المراد من فلان وفلان : أبو بكر وعمر وعثمان[(٤)] وورد فى نفس الكتاب نقلا عن الإمام جعفر الصادق بأنه قال تحت تفسير الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارتدُّوا على أدبارِهم مِنْ بَعْد ماتَبَيَّنَ لَهُم الْهُدَى ﴾ بأن فلانا وفلانا وفلانا ارتدوا عن الإيمان فى ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام[(٥)] .

---

(١) الكافى للكلينى ج ٢ ص ١٤١ .

(٢) كتاب الروضة للكلينى ص ٥٩ .

(٣) الكافى فى الأصول ص ٤٢٠ .

(٤) الصافى شرح الكافى باللغة الفارسية ج٢ ص ٩٨ .

(٥) أصول الكافى ص ٦٦٥ .

وأورد الكافى تفاسير عديدة تحت آيات مختلفة لاتختلف عن المنهج الشيعى وهو الطعن الصريح فى أصحاب النبى ﷺ فيقول نقلاً عن الإمام جعفر الصادق تحت تفسير هذه الآية ﴿ ولكنَّ اللهَ حبَّبَ إلَيْكُم الإيمَان وزَيَّنَهُ فى قُلُوبكُمْ وكرَّه إليكمُ الكفر وَالفسُوقَ والعصْيانَ أُولَئِكَ هُمُ الراشِدُونَ ﴾ [الحجرات : ٧] .

إذ يقول مفسراً الآية الموضحة « قوله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم يعنى أمير المومنين عليه السلام وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان : الأول والثانى والثالث » (١) .

ويقول الكافى نقلا عن الإمام جعفر الصادق تحت تفسير الآية : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خطِيئَتُهُ فَأُولَئِك أَصْحَابُ النارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ هذا مانصه : « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته قال إذ جحد إمامة أمير المؤمنين فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (٢) ويروى الكلينى بأن أصحاب النبى ﷺ قد ارتدوا بعد وفاته إلا ثلاثة كما ورد فى كتاب الروضة : « كان الناس أهل ردة بعد النبى ﷺ وآله إلا ثلاثة . فقلت : ومن الثلاثة ؟ فقال : المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفارى وسلمان الفارسى رحمة الله عليهم وبركاته » (٣) .

وكذلك طعن الشيعة فى خالد بن الوليد رضى الله عنه فارس الإسلام وقائد جيوشه الظافرة المباركة فيذكر القمى وغيره بأن خالد ماهاجم مالك بن النويرة إلا ليأخذ زوجته بالإضافة أنه يحكى قصة غريبة فى تفسيره توحى فى أول وهلة بأنها مختلقة تماماً فيذكر : « وقع الخلاف بين أبى بكر وعلىّ تشاجرا فرجع أبو بكر إلى منزله وبعث إلى عمر فدعاه ثم قال : أما رأيت مجلس على منا اليوم ؟ والله لإن قعد مقعداً مثله ليفسدن أمرنا فما الرأى ؟ قال عمر : الرأى أن نأمر بقتله . قال : فمن يقتله ؟ قال : خالد بن الوليد ، فبعثا إلى خالد فأتاهما فقالا : نريد أن نحملك على أمر عظيم ؟ قال : حملانى ماشئتما ولو قتل على بن أبى طالب ، قالا : فهو ذاك . فقال خالد : متى أقتله ؟ قال

---

(١) أصول الكافى ص ٢٦٩ .
(٢) المصدر السابق : ص ٢٧٠ .
(٣) كتاب الروضة : ص ١١٥ .

أبو بكر : إذا حضر المسجد ، فقم بجنبه فى الصلاة ، فإذا أنا سلمت فقم إليه واضرب عنقه . قال : نعم فسمعت أسماء بنت عميس ذلك وكانت تحت أبى بكر ، فقالت لجاريتها : إذهبى إلى منزل على وفاطمة فأقريهما السلام ، وقولى لعلى : إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين . فجاءت الجارية إليهما فقالت لعلى عليه السلام : إن أسماء بنت عميس تقرأ عليكما السلام وتقول : إن الملأ ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين . فقال على عليه السلام : قولى لها : إن الله يحيل بينهم وبين مايريدون ، ثم قام وتهيأ للصلاة وحضر المسجد ووقف خلف أبى بكر وصلى لنفسه وخالد بن الوليد إلى جنبه ومعه السيف ، فلما جلس أبو بكر فى التشهد ندم على ماقال وخاف الفتنة وشدة على وبأسه فلم يزل متفكراً لا يجسر أن يسلّم حتى ظن الناس أنه قد سها ثم التفت إلى خالد فقال ياخالد : لا تفعل ما أمرتك به السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : ياخالد ما الذى أمرك به ؟ قال أمرنى بضرب عنقك . قال : وكنت تفعل ؟ قال : أى والله ، لولا أنه قال لى لا تفعل لقتلتك بعد التسليم ، قال : فأخذه على فضرب به الأرض [(١)] .... الخ

وهناك روايات عديدة تطعن فى طلحة والزبير اللذين من المبشرين بالجنة ورد رواية عن النبى ﷺ بأنه قال عن طلحة رضى الله عنه بيوم أحد : « وجبت لطلحة الجنة » [(٢)] وقال النبى ﷺ عن الزبير رضى الله عنه : « إن لكل نبى حواريًا وحوارىّ الزبير » [(٣)] .

ويروى القمى فى هذين العظيمين إن أبا جعفر الباقر قال : نزلت هذه الآية فى طلحة والزبير : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [(٤)] . [الأعراف : ٤٠]

إن الأقوال المشار إليها توضح بكل جلاء أن الشيعة يحملون شعور الحقد

---

(١) تفسير القمى ج ٢ ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) رواه الترمذى وأحمد فى مسنده .

(٣) أخرجه البخارى والترمذى عن جابر ، وكذا الترمذى والحاكم عن على .

(٤) تفسير القمى ج ١ ص ٢٣٠ .

والضغينة نحو أصحاب النبى ﷺ وهذه هى عقيدتهم كما رسمها اليهود لهم حتى صار دينهم الذى يدينون به دين الشتائم والسباب وبالإضافة إلى ذلك أن موقف الشيعة يوحى بفشل الدعوة الإسلامية التى استمرت ثلاثة وعشرين سنة لأن أصحاب النبى ﷺ قد انحرفوا عن الإسلام بعد وفاته مباشرة كما جاء فى كتاب الروضة نقلاً عن الإمام الباقر [١] وإن المجتمع الذى أقامه النبى ﷺ على الإخلاص والحب والتضحية فإنه تحول فجأة إلى حب النفس والجاه واغتصاب السلطة .

والواقع أن الشيعة قاموا عن طريق معتقداتهم المشار إليها بتنفيذ الخطة التى رسمها لهم اليهود .

* * *

---

(١) كتاب الروضة ج ٣ ص ١١٥ .

ظاهرة التناقض فى كلام الشيعة بشأن أصحاب النبى ﷺ

إن الدارس للمذهب الشيعى يجد ظاهرة غريبة حول التناقض الواضح فى أقوال الشيعة بشأن أصحاب النبى ﷺ فيجد صورة تحتوى على الحقد والضغينة والحسد والعداوة كما أسلفت ذكرها معتمدة على الكتب التى لها شأن كبير عند الشيعة وفى نفس الوقت يلاحظ ظاهرة أخرى تدور حول الاحترام والتقدير والودّ من قبل أئمة الشيعة نحو أصحاب النبى ﷺ بصفة عامة والخلفاء الثلاثة بصفة خاصة كما يتضح من كتبهم ، فقال صاحب مجمع البيان فى تفسيره للقرآن : « إن أول من أسلم بعد خديجة رضى الله عنها أبو بكر رضى الله عنه » (١) .

وورد فى شرح نهج البلاغة رواية عن طريق ابن ميثم البحرانى قول على رضى الله عنه فى مناقب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما : « وكان أفضلهم فى الإسلام كما زعمت وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق والخليفة الفاروق ، ولعمرى إن مكانهما فى الإسلام لعظيم وإن المصاب بهما لجرح فى الإسلام شديد رحمهما الله وجزاهما بأحسن ما عملا » (٢) .

يتضح من هذا أن عليًّا رضى الله عنه لقب أبابكر بالخليفة الصديق وأظهر فى قوله بأفضلية الصديق والفاروق وتضحياتهما للإسلام وشهد بقوله : « ولعمرى إن مكانهما فى الإسلام لعظيم » والذى يدل على عظمة مكانهما فى الإسلام كما اعترف على رضى الله عنه بنفسه وكذلك دعا لهما بدعاء الرحمة وأبان عن ما فى قلبه من الحب والشفقة عليهما وهكذا ذكر صاحب إحقاق الحق قول الإمام جعفر الصادق عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه : « أبو بكر الصديق جدى هل يسب أحد أباه ؟ لا أقدمنى الله أن لا أقدمه ولدنى الصديق مرتين » (٣) .

ورد فى تفسير القمى قول الإمام جعفر الصادق بخصوص قصة الغار : « ولما كان رسول الله ﷺ فى الغار قال لأبى بكر رضى الله عنه كأنى أنظر إلى سفينة جعفر

---

(١) تفسير مجمع البيان ج ٣ ص ٦٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٨٦ .

(٣) إحقاق الحق للشوشترى ص ٧ .

وأصحابه ؟ فقال أبو بكر أتراهم يارسول الله ؟ قال : نعم . قال : فأرينهم ؟ فمسح على عينه فرآهم ، فقال له رسول الله ﷺ : أنت الصديق » [١] .

وجاء فى مجمع البيان تحت تفسير قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ الذى جاء بالصدق رسول الله ﷺ وصدق به أبو بكر رضى الله عنه [٢] .

وأورد صاحب إحقاق الحق قول الإمام جعفر الصادق فى حق أبى بكر وعمر رضى الله عنهما : « هما إمامان عادلان قاسطان كانا على حق وماتا عليهما رحمة الله يوم القيامة » [٣] .

وعرض صاحب جلاء العيون فى كتابه مايوضح الحب والمودّة التى كانت قائمة بين على وأبى بكر رضى الله عنهما : « وكما أن عليًّا رضى الله عنه والحسن والحسين رضى الله عنهما كانوا يحبون أبا بكر رضى الله عنه كذلك كان أبو بكر رضى الله عنه يحبهم عن جذر قلبه حبًّا لا مثيل له ويساعدهم ويعاونهم مايمكن له من المساعدة والإعانة وفق عاطفة الحب والصداقة بينهم » [٤] .

روى العياشى عن الإمام الباقر عليه السلام : إن رسول الله ﷺ قال : « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام [٥] .

وذكر الإمام الباقر عليه السلام فى تفسير قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ إن المراد : « بالغلبة » فى قوله تعالى : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ الغلبة التى حصلت فى خلافة عمر رضى الله عنه وإمارته فلما غزا المسلمون فارس وافتتحوها فرح المسلمون بنصر الله عز وجل وإنما تمت غلبة المسلمين فى فارس فى إمارة عمر بن الخطاب رضى الله عنه » [٦] .

---

(١) تفسير القمى ص ١٥٧ .

(٢) مجمع البيان للطبرسى ج ٤ ص ٨٨ .

(٣) إحقاق الحق للشوشترى ص ١٦ .

(٤) جلاء العيون للمجلسى ص ٥٥ .

(٥) تفسير للفيض الكاشانى ص ٣٢٠ .

(٦) تفسير للفيض الكاشانى ص ٤٠٦ .

ورد فى نهج البلاغة كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه : « بارك الله فى بلاد فلان فلقد قوم الأود وداوى العَمَدْ وأقام السنة » [١] .

وقد صرح بعض شراح نهج البلاغة من الشيعة بأن المراد بفلان فى الخطبة المشار إليها هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه [٢] .

وجاء فى كتاب « الروضة » بخصوص عثمان رضى الله عنه نقلاً عن الإمام جعفر الصادق : « ينادى منادٍ من السماء أول النهار : إن عليًّا عليه السلام وشيعته هم الفائزون ، قال : وينادى آخر النهار : ألا عثمان وشيعته هم الفائزون » [٣] .

ولما حوصر عثمان رضى الله عنه فى بيته أمر على رضى الله عنه الحسن والحسين رضى الله عنهما بحرسه والدفاع عنه » [٤] .

وجاء فى نهج البلاغة على لسان على رضى الله عنه بخصوص عثمان رضى الله عنه :

« ووالله ما أدرى ما أقول لك ؟ ما أعرف شيئاً تجهله ، ولا أدلك على أمر لا تعرفه ، إنك لتعلم مانعلم ماسبقناك إلى شىء فنخبرك عنه ولا خلونا بشىء فنبلغكه ، وقد رأيت كما رأينا وسمعت كما سمعنا وصحبت رسول الله ﷺ كما صحبنا وما ابن قحافة ولا ابن الخطاب بأولى لعمل الحق منك وأنت أقرب إلى أبى رسول الله ﷺ وشيجة رحم منها وقد نلت من صهره مالم ينالا » [٥] .

ورد فى نفس الكتاب خطبة على رضى الله عنه التى تدور حول مدح وثناء أصحاب النبى ﷺ ونعرض هنا جزءاً منها : « لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى أحدًا يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سجَّداً وقياماً يراوحون بين جباهم ويقضون على مثل الجمر من ذكر معادهم كان بين أعينهم ركب المعزى من طول

---

(١) نهج البلاغة ص ٣٥٠ .

(٢) الدرة النجفية شرح نهج البلاغة ص ٢٥٧ .

(٣) فروع الكافى كتاب الروضة ج ٣ ص ١٤٦ .

(٤) شرح نهج البلاغة للبحرانى ج ٤ ص ٣٥٤ .

(٥) نهج البلاغة ص ٢٣٤ .

سجودهم ، إذا ذكر الله همرت أعينهم حتى ابتلت جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاءًا للثواب » [١] .

ويقول فى خطبة أخرى مادحاً أصحاب النبى ﷺ : « أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرأوا القرآن فاحكموه وهيّجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً ، وصفًّا وصفًّا ، بعضٌ هلَكَ ، وبعضٌ نَجَا ، لا يبشرون بالأحياء ، ولا يُعزون بالموتى ، مر العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ، ذُبُل الشفاه من الدعاء ، صفر الألوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين ، أولئك إخوانى الذاهبون ، فحق لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدى على فراقهم » [٢] .

إن هذه العبارات التى اقتبستها عن الكتب الموثوقة عند الشيعة توحى إلى وجود الاحترام وشعور التقدير لدى أئمة الشيعة نحو الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . إذن فما هو التفسير لهذا التناقض الواضح الذى نلاحظ فى الكتب التى ألفها كبار علماء الشيعة ؟!

والواقع عندما نقوم بدراسة هذه الظاهرة المتناقضة فلا نجد لها أى تفسير سوى أن نقول بأن المذهب الشيعى عارٍ عن الدعائم القوية بل إن بنيانه قد أُشُيِّدَ على الخرافة المستمدة من اليهودية كما ذكرت فى الباب الأول بأن عبد الله بن سبأ الصنعانى اليهودى هو الذى زرع بذرة المذهب الشيعى . ومن ثم نلاحظ التناقض الصريح فى كتبهم حتى أن بعض الشيعة أبدوا ملاحظتهم حول هذه الظاهرة كما جاء فى أصول الكافى عن طريق زرارة بن الأعين عن أبى جعفر قال سألته عن مسألة فأجابنى ، ثم جاء رجل فسأله عنه فأجابه بخلاف ماأجابنى ، ثم جاءه آخر فأجابه بخلاف ما أجابنى ، فلما خرج الرجلان قلت : يا ابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد بغير ماأجبت صاحبه فقال مازرارة هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم » [٣] .

من هنا يتضح أن هذا المذهب مركب من المتناقضات وخالٍ عن الحقيقة بل إنه يقوم على الخرافة والأباطيل .

* * *

---

(١) نهج البلاغة تحقيق الدكتور صبحى الصالح ص ١٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٧ .

(٣) أصول الكافى للكلينى ص ٣٧ .

الباب الرابع

الشيعة عبر التاريخ

نتناول فى هذا الباب النكسات التى لها تأثير كبير فى تاريخ حياة الأمة الإسلامية ، ذلك بناءً على الأعمال الإجرامية والخيانة الكبرى التى قامت بها الشيعة فى تاريخ الإسلام ، تحدثنا مسبقا أن واضع مذهب الشيعة عبد الله بن سبأ كون مذهبه من عناصر الديانة اليهودية ومن الحضارة الفارسية ، ولذلك نلاحظ أن الفرس رحبوا بهذا المذهب حيث وجدوا فيه ستارا باسم حب على وأولاده للانتقام من المسلمين الذين فتحوا بلادهم ، ومن هنا فإن الباحث يلاحظ الحقد الدفين عند الفرس من بداية أمرهم بقيادة عبد الله بن سبأ وهذا الحقد لا يزال مستمراً إلى يومنا هذا ، ونعرض هنا أهم النكسات التى لحقت الأمة الإسلامية على أيدى الشيعة .

* * *

اغتيال عمر بن الخطاب رضى الله عنه والفتنة الكبرى

تحدثنا فى الباب الأول عن عبد الله بن سبأ الذى وضع المذهب الشيعى ، وكان يعتنق المذهب اليهودى وهو الذى اخترع فكرة التشيع لعلى كرم الله وجهه ولأولاده من بعده ، وهو الذى نسب الألوهية إلى على رضى الله عنه بادعائه أن روح الإله حلت فيه ، ولما قتل على قال : إن علياً لم يقتل وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى عليه السلام وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه ، وهو الذى قال : إن عليا يجرى فى السحاب ، وإن الرعد صوته ، وإن البرق سوطه ، حتى صار السبى إذا سمع الرعد قال : عليك السلام ياأمير المؤمنين ، وهو الذى زرع بذور الفرقة وتعدد الفرق وإثارة النعرات العصبية الجاهلية فى المجتمع الإسلامى ، وهو الذى دبَّر مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالاشتراك مع الحاقدين على الإسلام من غير اليهود ونفذها أبو لؤلؤة فيروز المجوسى الذى اتخذ مدينة الرسول موطناً له وذلك لتنفيذ الخطة التى دبرها عبد الله بن سبأ وأعوانه وذلك بعد أن تم فتح آخر حصون فارس بأيدى المسلمين فى ٢٣ هـ ومن ثم أقدم أبو لؤلؤة المجوسى على طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بخنجر مسموم كان قد صنعه لهذا الغرض – قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لابنه عبد الله اخرج فانظر من قتلنى ؟ فقال ياأمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، فقال : الحمد الله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل سجد لله سجدة واحدة .

اغتيال عمر بن الخطاب رضى الله عنه مؤامرة اشترك فى تدبيرها المجوس والنصارى بقيادة اليهود وانفرد بتنفيذها أبو لؤلؤة المجوسى ، واختاروا عمر بالذات لأنه لعب دوراً هاما فى تحطيم الإمبراطورية الفارسية ، وإن التاريخ يحدثنا بأن محاولات عبد الله ابن سبأ الهدامة قد استمرت بعد اغتيال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث أنه هو الذى أشعل نار الفتنة فى عهد عثمان رضى الله عنه ومازال يزكيها حتى انتهت الكارثة بمحاصرته فى داره ثم استشهاده رضى الله عنه ، وهو الذى أزكى روح التمرد فى الخوارج حتى انتهت الفتة بمقتل على رضى الله عنه ، ولم يكن الدافع لابن سبأ إلى كل هذه الدسائس والكيد والفتن إلا حقده الدفين على الإسلام والمسلمين .

ثورة الزنج وأعماله البربرية ضد الأمة الإسلامية ظهر شخص فى عام ٢٥٥ هـ ادعى نسبه إلى آل البيت وزعم أن اسمه على ابن محمد بن أحمد بن على بن عيسى بن زيد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب وقد سماه المؤرخون « صاحب الزنج » وهو كان يزعم بأنه أوتى آيات ظاهرة ، منها أنه لقن سوراً من القرآن لم يكن يحفظها فجرى بها لسانه فى ساعة واحدة ، ومن هذه السور سبحان والكهف وص [١] وكان يدعى بأن العناية الإلٰهية قد أرسلته لإنقاذ الطبقة الفقيرة مما تعانى من البؤس [٢] وكان يقول لأصحابه « لقد عرضت على النبوة فخفت ألا أقوم بأعبائها فلم أقبلها » [٣] ، وكان يزعم أنه يعلم مافى ضمائر أصحابه وأن الله يعلمه بذلك [٤] ، وأخيراً ادعى النبوة ومعرفة الغيب وانتحل الوحى [٥] .

وعلى الرغم من ادعائه النسب إلى على وفاطمة رضى الله عنهما فإنه لم يجهر بعقائد المذهب الشيعى عملاً على التقية التى يعتبرها الشيعة جزءاً من الدين ؛ بل إنه قام بجهر عقائد مذهب الخوارج ربما تخدم مصلحته ذلك لإثارة البلبلة والفتن فى العالم الإسلامى .

والواقع أن « صاحب الزنج » قد استغل ظروف الخلافة العباسية فى ذلك الوقت بحيث إنها مشغولة فى حروب كثيرة ومتعددة الجهات مع الروم على الحدود ومع القبائل فى الجزيرة العربية ومع يعقوب الصفار فى سجستان ومع ابن طولون فى مصر .

ونظراً لظروف الخلافة العباسية فإن « صاحب الزنج » قد أبدى أفكاره وعقائده مستغلاً وضع المسلمين فى ذلك الوقت ، وإن حركته هددت كيان الدولة العباسية وامتدت من البصرة حتى أبواب بغداد واستولت على جزء كبير من العراق وقطعت التموين عن عاصمة الخلافة وفتكت بالناس وسالت الدماء أنهارا فى بقاع كثيرة من البلاد .

---

(١) تاريخ الطبرى ج ٩ ص ٤١١ .

(٢) نفس المصدر ص ٢١٥ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ٣٠ .

(٤) نفس المصدر ص ١٩ .

(٥) تاريخ عصر الخلافة العباسية للدكتور يوسف العش ص ١١١ .

وقد استمرت ثورة الزنج أكثر من أربعة عشر عاماً ٢٥٥ هـ - ٢٧٠ هـ وسقط فيها مليونان ونصف فى رواية ابن طباطبا [١] ومليون ونصف فى رواية السيوطى [٢] لعب فيها « صاحب الزنج » دور السفاك المرعب المخيف ، إن مدينة البصرة قد تعرضت لبربرية ووحشية صاحب الزنج أكثر من المدن الأخرى . إن (البصرة) قد رأت المذابح الرهيبة وانتهاك حرمة المساجد وسبى عدد كبير من النساء والأطفال ، والواقع أن الأعمال البربرية التى قام بها « صاحب الزنج » وأعوانه فى مدينة البصرة تدل على أنهم كانوا عارين من الإنسانية وكانوا يهدفون إلى القضاء على الأمة الإسلامية بأسرها وأن المؤرخين قد قاموا بوصف تلك المذابح والأعمال الوحشية التى قاموا بها فى تلك المدينة ، وهى تدل بأن الإنسان نسى إنسانيته والدور الذى عليه أن يلعبه فى العالم فى سبيل إسعاد الإنسانية لا لإشقائها وتدميرها ، وإن الأعمال الإجرامية التى قام بها صاحب الزنج لا يمكن أن يقوم بها الإنسان العاقل ، إذ جاء فى كتب المؤرخين وصف تلك الوحشية كما يلى :

« إن صاحب الزنج وأعوانه قد دخلوا فى مدينة البصرة وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقية من شوال عام ٢٥٧ هـ وقاموا يقتلون ويخربون ويحرقون يوم الجمعة وليلة السبت ويوم السبت دخلوا المسجد الجامع فأحرقوه وأحرقوا دوراً كثيرة وانتهبوها وذبحوا كثيرا من أهلها واتسع الحريق فى البصرة وعمّها القتل والنهب والإحراق .

يقول محمد بن سمعان ، وهو شاهد عيان : فإني يومئذ يوم الجمعة لفى المسجد الجامع إذ ارتفعت نيران ثلاث من ثلاث جهات فى وقت واحد كأن موقديها كانوا على ميعاد وجلّ الخطب وأيقن أهل البصرة بالهلاك ، وسعى من كان فى المسجد الجامع إلى منازلهم ومضيت مبادراً إلى منزلى فلقينى منهزموا أهل البصرة راجعين نحو المسجد الجامع وفى آخرهم « القاسم ابن جعفر بن سليمان الهاشمى » وهو على بغلة متقلدًا سيفه يصيح بالناس : ويحكم أتسلمون بلدكم وحرمكم هذا عدوكم قد دخل البلد ، فلم يلتفتوا إليه ولم يسمعوا منه ، ولما عظم الخطب نادى « إبراهيم بن يحيى المهلبى » أحد أصحاب الزنجى

---

(١) الفخرى ص ٢٢١ .

(٢) تاريخ الخلفاء ص ٢٢٤ .

من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم فاجتمع عنده خلق كثير من أهل البصرة حتى ملأوا الرحاب وهم مطمئنون لما أعطوه من الأمان ، ثم إن الخبيث الخائن لما رأى أنه قد أصاب منهم فرصة غدر بهم وأمر بقتلهم وأمر بأخذ الأزقّة والدروب لئلا يتفرقوا ...

قال الحسن بن عثمان وهو شاهد عيان أيضا : فإنى لأسمع تشهدهم وضجيجهم وهم يقتلون ولقد ارتفعت أصواتهم بالتشهد حتى سمعت بالطُّفاوة وهم على بعد من الموضع الذى كانوا به وكانت الزنج تحيط بالجماعة من أهل البصرة ثم يحملون عليهم بالسيوف فلا يسمع إلا قول « أشهد أن لا إله إلا الله » من أولئك المقتولين والصراخ والضحك من الزنج .

هكذا كانوا يفعلون فى كل محال البصرة فى عدة أيام نحسات ، وهرب من بقى من الناس كل مهرب ، وأحرقوا الكلأ من الجبل إلى الجبل فكانت النار تحرق مامرت به من إنسان وبهيمة وأثاث ومتاع وغير ذلك ، وقد قتل هؤلاء جماعة كبيرة من الأعيان والفضلاء والمحدثين والعلماء والأدباء منهم الثقة الحافظ زيد بن أخزم الطائى البصرى أحد شيوخ الإمام البخارى وغيره من أئمة الحديث ، ومنهم : أبو سعيد الأشبح أحد الشيوخ الإمامين البخارى ومسلم ، ومن ضحاياهم أيضا : العالم الراوية الثقة أبو الفضل العباسى بن الفرج الرياشى الأديب النحوى صاحب الأصمعى وأبى عبيدة ذبحوه وهو فى جامع البصرة وله ثمانون سنة [١] .

إن الرواية الموضحة تشير إلى القساوة والعنف اللذين قام بهما صاحب الزنج وأعوانه ضد المسلمين الأبرياء بناء على الخطة المدمرة التى رسمها اليهود من وقت عبد الله ابن سبأ لأن اليهود لهم دور كبير فى تحريك معظم الفتن التى أقضت مضاجع المسلمين ، وكما شرحت سابقا بأن اليهود قاموا بتكوين الشيعة لتمزيق الأمة الإسلامية وأن ثورة « صاحب الزنج » كانت حلقة من حلقات المؤامرات التى دبرها اليهود من وقت جلائهم من المدينة المنورة وضواحيها .

---

(١) انظر هذه الأخبار مع غيرها فى الطبرى وابن الأثير وابن كثير وابن خلدون .

القرامطة ودورهم الخطير فى التاريخ الإسلامى

إن الفرس كان يوجد عندهم الحسد والضغينة نحو الإسلام وأهله منذ زوال ملكهم ومجدهم ، واغتيال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى تم بيد أبى لؤلؤة المجوسى كان مظهراً لتلك العداوة ، وإن مذهب الباطنية كان نتاجا للفكر الفارسى لمحاربة الإسلام والمسلمين فى عقر دارهم ، وذلك عن طريق تقديم الآراء والأفكار التى تخالف الإسلام نصاً وروحاً حيث إنهم لجأوا إلى تأويل القرآن وسنن الرسول بما يفسد الإسلام وإن الباطنية تعنى أن كثيراً من آيات القرآن وكثيراً من الفرائض الإسلامية لها معنى ظاهر ومعنى باطن والباطنية يظهرون أمام العامة بالمظهر الإسلامى ولكنهم يستعملون الفكر الباطنى أمام خاصتهم وعلى هذا فهم قوم يظهرون الإسلام ولكن عقائدهم واتجاهاتهم الفكرية تخالف الإسلام فى كل أسسه ، فهم لا يعترفون بالخالق وهم يبطلون النبوة وينكرون العبادات والبعث .

وإن حركة القرامطة فى جوهرها تنحدر من مذهب الباطنية بدليل وجود التشابه الكبير بينهما حول تفسير الإسلام ، وكذلك جعلوا حبهم لعلى وأهل البيت ستاراً لأعمالهم الإجرامية مثل ماقامت به الحركات الباطنية الأخرى .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : إن الإسماعيلية والقرامطة من الشيعة الغلاة الذين خالط مذهبهم بعض آراء من عقائد الفرس القديمة ومن الأفكار الهندية فانحرفوا تحت تأثير ذلك [١] .

عقائد القرامطة

كان القرامطة يرون أن للقرآن والسنة معنى ظاهراً ومعنى باطناً ، وقد راح القرامطة يتوسعون فى هذا المعنى الباطن ويضيفون له الكثير مما يفسد الإسلام والمسلمين ، وبهذا قالوا بحل الخمر وبأنه لا غسل من الجنابة ، وبأن الصلاة فى اليوم أربع ركعات ركعتان قبل الشروق وركعتان بعد الغروب ، وأن الصوم يكون يومين فى السنة يوم المهرجان ويوم النيروز ثم حط زعيم القرامطة عن مريديه الصوم والصلاة وجميع الفرائض وقال لهم هذا كله موضوع عنكم ومعرفة الإمام تغنيكم عن كل شيء [٢] .

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١ ص ٦٤ محمد أبو زهرة .

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٢٨ أبو الحسن الملطى .

وكان القرامطة يرون أن دم مخالفيهم حلال وأن أموال مخالفيهم حلال كذلك .

أهداف القرامطة

إن القرامطة كان هدفهم القضاء على الخلافة العباسية ذلك عن طريق مساعدة الفاطميين الذين كانوا يريدون تدمير سمعة العباسيين ، ومن ثم نلاحظ أن الفاطميين كانوا يشجعون القرامطة فى صراعهم ضد العباسيين ويشجعونهم فى حركاتهم المدمرة فى المناطق المختلفة بالجزيرة العربية وكان هدف الفاطميين من ذلك أن يشغلوا العباسيين حتى يكونوا دولتهم فى الشمال الأفريقى وفى مصر والشام والخلافة العباسية فى شغل شاغل عنهم .

إن التأييد والمساعدة التى قام بها الفاطميون للقرامطة كانت تقوم على المصالح المشتركة بينهما ، لأن كلاهما ينبع من أصل واحد وهى الباطنية التى تعمل جاهدة على تمزيق الأمة الإسلامية ولذلك نلاحظ أنهم قاموا بتركيز جهودهم لتحقيق هدفهم المعين وهو القضاء على الخلافة العباسية التى كانت رمزاً للإسلام والمسلمين فى ذلك الوقت .

الأعمال الإجرامية التى قام بها القرامطة

إن القرامطة قد قاموا بأعمال رهيبة فى سبيل تحقيق أهدافهم التى تقشعر منها القلوب ، وقد ذكر لنا المؤرخون بعض أعمال القرامطة التى قاموا بها تحت قيادة أبى طاهر سليمان بخصوص هجومهم على مكة حيث إنهم قتلوا نحو ثلاثة آلاف من الحجاج غير الذين ماتوا من الجوع وغير من وقع أسيراً وكان من بين الأسرى : الأزهرى اللغوى العالم المشهور وقد غنم أبو طاهر ملايين الدنانير إذ ذاك وأرسل جزءاً منها إلى الإمام الشيعى وأنفق الباقى على أتباعه ، وقد هاجم القرامطة مكة مرة أخرى ودخلها أبو طاهر وأصحابه يقتلون أهلها ومن كان فيها من الحجاج حتى من تعلق فيها بأستار الكعبة وهدم زمزم وفرش بالقتلى المسجد ، وأقام أبو طاهر بمكة ستة أيام وهو يحرض أصحابه على القتل وينتقل من مكان إلى مكان ويقول « أجهزوا على الكفار وعبدة الأحجار » (١) .

---

(١) ظهور الإسلام ج ٤ ص ١٣٣ دكتور أحمد امين .

وجاء فى « تاريخ أخبار القرامطة » عن الفظائع التى ارتكبها زكرويه مع الحجاج رجالا ونساء وأطفالا حيث إنه كان يسد الآبار بجيف القتلى حتى يموت الحجاج عطشا وكان بعد المعارك يأمر نساء القرامطة أن يدرن بالماء بين الجرحى ليتعرفن بذلك على الجرحى الذين لم يموتوا بعد لقتلهم (١) .

ورد فى نفس الكتاب عن بربرية القرامطة التى قاموا بها ضد المسلمين الأبرياء « إن القرامطة دخلوا حماة ومعرة النعمان وغيرها فقتلوا أهلها وقتلوا النساء والأطفال ودخلوا بعلبك فقتلوا أهلها ولم يبقوا منهم إلا القليل وصالح أهل سلمية زعيم القرامطة بعد أن أمنهم ، فلما دخلها قتل جميع من فيها من بنى هاشم ولم يبق منهم أحدا وقتل النساء والصبيان والفقهاء والشيوخ والبهائم فخرج القرامطة منها وليس بها عين تطرف ودخلوا فى القرى المجاورة يسلبون ويقتلون ، وينهبون ويأتون من المنكرات مالا عين رأت ولا أذن سمعت » (٢) .

إن الروايات الموضحة تشير إلى بربرية القرامطة التى بلغت ذروتها ضد الأمة الإسلامية وذلك لتحقيق أهدافهم المرسومة من قبل أسيادهم اليهود .

ابن العلقمى الشيعى ومؤامرته مع التتار للقضاء على الإسلام

إن تاريخ الأمة الإسلامية حافل بالنكسات والمحن مثل الشعوب الأخرى فى العالم ولكن غارة التتار على الخلافة الإسلامية تعد من أخطر المحن التى مر بها العالم الإسلامى والتى تمت بمؤامرة ابن العلقمى الشيعى حيث دبرها مع التتار معتقداً أن هولاكو سيقتل المعتصم وعندئذ يمكنه أن ينتقل بالخلافة إلى العلويين الذين كانوا يعتنقون المذهب الشيعى .

إن المؤرخين قد اتفقوا على أن التتار قد استولوا على بغداد بمكيدة دبرت مع ابن العلقمى وإن هذه الخيانة قد سجلها المؤرخون فى كتبهم مثل : البعلبكى فى (ذيل مرآة الزمان) والذهبى فى (دول الإسلام) والشيرازى فى (تاريخ وصاف الحضرة) وابن شاكر الكتبى فى (فوات الوفيات) وابن خلدون فى (العبر) وغيرهم كثيرون .

---

(١) تاريخ أخبار القرامطة ص ٣٢ ثابت بن سنان .

(٢) تاريخ أخبار القرامطة ص ٢٠ ثابت بن سنان .

يذكر التاريخ بأن علاء الدين بن العلقمى قد تعهد لهولاكو بالمد والعون خلال غارته على بغداد حيث إنه طلب من الخليفة بعدم قيام أى استعداد لمواجهة التتار مبرراً بأن سلاطين الدنيا وخواقينها كلهم خدم لمركز الخلافة وإنهم على استعداد للمجىء بأدنى إشارة من الخليفة على أن نساء بغداد وحدهن قادرات على رد الاعتداء [١] .

ويستمر المؤرخ موسى كاظم متحدثا عن خيانات ابن العلقمى فيذكر أنه أرسل إلى هولاكو رسالة يشكو فيها من سوء الأحوال ببغداد ويبدى فيها إخلاصه له وطاعته ويرحب بمقدمه ويقول له : إنه قد دبر الأمر بحيث إذا ماوصل سيجد بغداد مفتوحة الأبواب وسيتولى أمورها ويحكمها بلا حرب ولا نزاع [٢] .

وإن هولاكو قد انتهز هذه الفرصة وتقدم نحو بغداد بسهولة وبدون أى مقاومة ودخوله فى بغداد ليس مجرد إنهاء الخلافة الإسلامية ، بل إنه كان فتنة عظيمة ومحنة كبيرة للمسلمين قاطبة حيث استولى الرعب والخوف على العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه وغلب على الناس اليأس والتشاؤم فكانوا يعتبرون التتار بلاء سماويًّا ومقاومتهم شبه مستحيلة ، وأن هذه الغارة كان لها تأثير سيء فى النفوس حيث إن المؤرخ ابن الأثير قد قام بذكرها بعباراته التى توحى إلى الحالة النفسية التى كانت تعانى منها الخلافة الإسلامية خلال غارة التتار على بغداد حيث يقول « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلاً وأُؤخر أخرى ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ؟ ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ؟ فياليت أمى لم تلدنى ويالتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، إلا أنه حثنى جماعة من الأصدقاء على تسيطرها وأنا متوقف ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعاً فنقول هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها وعمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً فإن التواريخ لم تتضمن مايقاربها ولا يدانيها ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج

---

(١) كلشن خلفاء ص ١٣٩ موسى كاظم نورس .

(٢) كلشن خلفاء ص ١٣٩ موسى كاظم نورس .

وهؤلاء لم يبقوا على أحد ؛ بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » (١) .

ويقول مؤلف « مرصاد العباد » الذى شهد هذه الوقعة بعينه وما دار فى مولده « الرى » وموطنه (همدان) من حوادث فظيعة ومن التخريب والتدمير : « استولى الجيش التتارى – خذلهم الله ودمرهم – سنة ٦١٨ هـ على بلاد الإسلام لا يُعرف نظير لما قام به هؤلاء الوحوش من الفتنة والإفساد والقتل والهدم والإحراق وماظهر من أولئك الملاعيين من فظائع تقشعر منها الجلود فى أى عصر من عصور التاريخ لا فى الإسلام ولا فى الجاهلية فقد قتلوا وأسروا فى (رى) وحدها التى هى مولدى أكثر من سبعمائة ألف مسلم ، إن الفتنة التى أثاروها فى العالم الإسلامى والمصيبة التى أنزلوها على المسلمين لا تسع الكلمات أن تصورها وهذه الحادثة تغنى من أن نشرح للناس وعياذ الله إذا لم تتحرك حمية الإسلام وغيرته فى ملوك المسلمين وسلاطينهم ولم يذكروا أنهم مسئولون عن الأمة لقوله ﷺ « الأمير راع على رعيته وهو مسئول عنها » ، وإذا لم تنبعث فيهم أريحتهم ورجولتهم لكى يتحدوا على كلمة واحدة وينقادوا لما أمرهم الله به فى قوله : ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوالِكُم وَأَنْفُسِكُمْ فى سَبِيلِ اللهِ ﴾وإذا لم يستعدوا لبذل النفس والمال والملك لكى يدفعوا هذه الفتنة فإن ذلك كله يدل على أن المسلمين سيفاجئهم الذل والنكسة وترتمى معظم بلاد الإسلام فى أحضان الكفر وأخشى أن المسلمين الذين كانوا لا يحملون إلا الاسم سيفقدون الاسم والرسم كليهما نتيجة لما ندعيه ولا نعمل به » (٢) .

ولم يكن العالم الإسلامى وحده مصاباً بهذه الفتنة التتارية وإنما العالم المتمدن كله كان متوجلاً من هذه الغارة وقد تفشى الذعر والخوف فى الأمكنة التى لم يكن يرجى فيها وصول التتار ويقول « جبن » فى كتابه الشهير : « انحطاط وسقوط الدولة الرومانية » « حينما اطلع سكان السويد على أخبار غارة التتار عن طريق روسيا تسلط عليهم من الذعر والخوف ما منعهم عن الخروج إلى سواحل انجلترا لصيد الأسماك وقد كان ذلك عادة متبعة لديهم » .

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ١٢ ص ١٤٧ .

(٢) مرصاد العباد (المخطوط فى مكتبة ندوة العلماء بلكناؤ الهند) ص ٨ .

ويقول المؤرخ ابن كثير مبيناً المأساة التى أنزلها هولاكو على الأمة الإسلامية بسبب الغدر والخيانة التى قام بها ابن العلقمى ضد الخلافة الإسلامية « ومازال السيف يقتل أهلها أربعين يوما ، ولما انقضى الأمر المقدور وانقضت الأربعون يومّا بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس والقتلى فى الطرقات كأنها التلول وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى فى الهواء إلى بلاد الشام فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الرياح فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء » (١) .

ويقول الشيخ تاج الدين السبكى « فأنزل هولاكو الخليفة المستعصم فى خيمة ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء ليحضروا العقد فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة فضرب أعناقهم ثم طلب حاشية الخليفة فضرب أعناق الجميع ثم طلب أولاده فضرب أعناقهم ، وأما الخليفة فقيل لهولاكو إن هذا إن ترق دمه تظلم الدنيا ويكون سبب خراب ديارك فقام نصر الدين الطوسى وقال : يقتل ولا يراق دمه فقيل : إن الخليفة غم فى بساط وقيل رفسوه حتى مات واستمر القتل ببغداد بضعة وثلاثين يوما ولم ينج إلا من اختفى ، وقيل : إن هولاكو أمر بعد ذلك بعدد القتلى وكانوا ألف ألف وثمانون مائة ألف ، ثم طلبت النصارى أن يقع الجهر بشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وأن يفعل معهم المسلمون ذلك فى شهر رمضان وأريقت الخمور فى المساجد والجوامع ومنع المسلمون من الإعلان بالأذان .

هذه بغداد ولم تكن دار كفر قط وجرى عليها هذا الذى لم يقع قط منذ قامت الدنيا مثله » (٢) .

إن هذه الروايات كلها توضح الأعمال الإجرامية التى قام بها هولاكو ضد الأمة الإسلامية ، وإن أصابع الاتهام كلها تتجه نحو ابن العلقمى الشيعى الذى كان وراء هذه الأحداث كلها ؛ بل إنه كان مسئولا مباشرة عن تلك المأساة ، فقد كان يسعى فى واقع الأمر لنقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين الذين كانوا يعتنقون المذهب الشيعى .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ١١٤ ، ١١٥ تاج الدين السبكى .

الحروب الصليبية ضد الأمة الإسلامية ودور الشيعة فيها

إن الحروب الصليبية التى قام بها الصليبيون ضد الأمة الإسلامية ليست إلا حلقة من الحلقات المدبرة التى دبرها الشيعة ضد الإسلام والمسلمين حيث إن الدولة الفاطمية بمصر تستنجد « بالفرنجة » أعداء الإسلام وتدعوهم للدخول إلى الشام وذلك ليكونوا حائلا بينهم وبين الدولة السلجوقية التى استولت على الشام كله على مايذكره ابن الأثير (١) وغيره من المؤرخين .

إن غارة الصليبيين تمت بناء على طلب الدولة الفاطمية والتى ليست إلا بلاء وفتنة للإسلام والمسلمين ولا تقل أهميتها عن غارة التتار على الإطلاق حيث شهد العالم الإسلامى مجزرة رهيبة كما يظهر من كتب المؤرخين المسلمين وغيرهم حيث يصف « جوستاف لوبون » هذه المجزرة بقوله « لم يكتف قومنا الصليبيون الأتقياء بضروب العسف والتدمير والتنكيل التى اتبعوها بل عقدوا مؤتمراً أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى الذى كان عددهم ستين ألفا فأفنوهم عن آخرهم فى ثمانية أيام ولم يستثنوا منهم امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً (٢) .

ويقول ابن خلدون « استباح الفرنجة بيت المقدس وأقاموا فى المدينة أسبوعا ينهبون ويدمرون وبالأخص القتل بالمساجد فقط من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد المجاورين فكانوا سبعين ألفاً أو يزيدون » (٣) .

ويقول «WELLS» حدثت ببيت المقدس مذبحة رهيبة وكان دم المقهورين يجرى فى الشوارع حتى لقد كان الفرسان يصيبهم رشاش الدم وهم راكبون وعندما أرخى الليل سدوله جاء الصليبيون وهم يبكون من فرط الفرح وخاضوا الدماء التى كانت تسيل كالخمر فى معصرة العنب » (٤) .

إن هذه البيانات كلها تؤكد المجزرة التى قام بها الصليبيون بناء على طلب الدولة

---

(١) الكامل ج ١٠ ص ٩١ لأبن الأثير .

(٢) حضارة العرب ص ٢٨٧ جوستاف لوبون .

(٣) العبر ج ٥ ص ١٨٤ ابن خلدون .

(٤) A SHORT HISTORY OF THE MIDDLE EAST-p.74 .

الفاطمية التى كانت تحلم بإقامة الإمبراطورية الشيعية فى العالم الإسلامى ، ولذلك طلبت العون من الصلبيين لسحق الدولة السلجوقية والتى كانت تعد الفاطميين أكبر خطر عليها ، ومن هنا يتضح بكل جلاء أن الفاطميين كانوا مسئولين بشكل مباشر عن تلك المجازر الرهيبة التى وقعت فى العالم الإسلامى خاصة فى بيت المقدس والشام قاطبة .

الدولة الصفوية وموقفها العدائى لأهل السنة والجماعة

قام إسماعيل الصفوى بتأسيس دولته فى أوائل القرن العاشر الهجرى فى إيران ٩٠٥ – ٩٣٠ وجعل التشيع مذهبا رسميا لأول مرة فى تاريخ إيران بدلاً من مذهب أهل السنة والجماعة ، ولم يقم بتغيير مذهب الدولة فقط ، بل قام بالقضاء على السنيين فى إيران كلها وأرض إيران قد كانت تفتخر بأنها قد خرج منها كبار المحدثين والعلماء مثل : الإمام مسلم وأبى داوود والنسائى وابن ماجه فى الحديث ، وكذلك فى الفقه ، برز منها أبو إسحاق الشيرازى وإمام الحرمين وأبو المعالى عبد الملك الجوينى وحجة الإسلام أبو حامد الغزالى ، ولكن التعصب الدينى الذى كان مظهراً لهذه الدولة قام بالقضاء على جميع العلوم التى وضعها علماء مذهب أهل السنة والجماعة فى حقل الدراسات الإسلامية .

ويروى التاريخ أن إسماعيل الصفوى قام بهدم مساجد السنيين ومقابرهم وبالإضافة إلى ذلك تجاوز كل الحدود فى ظلمه وقهره للسنيين الذين قد قاموا برفض معتقدات الشيعة [(١)] .

وقد بلغت الدولة الصفوية أوجها فى عصر الشاه عباس الصفوى ١٥٨٨ – ١٦٢٩ الذى استعان بالإنجليز وأقام لهم مراكز وأوكاراً فى إيران فكان من مستشاريه السيد أنطوانى والسير روبرت شيرلى [(٢)] واستطاع الشاه عباس أن يحقق انتصارات على الدولة العثمانية عندما استغل حربها مع النمسا من جهة ودعم الإنجليز له من جهة ثانية واستفاد من الضعف والفتن الداخلية فى الدولة العثمانية من جهة ثالثة .

---

(١) تاريخ الإسلام ج ٣ ص ٤٢٣ باللغة الأردية تأليف أكبر شاه خان نجيب آبادى .

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ص ٥٠٢ .

ويشهد على شاه عباس الأول شاهد من أهله فيقول « وإثر ظهور البرتغاليين فى المنطقة بدأت إيران علاقات تجارية مع انجلترا وفرنسا وهولندا ، ومهدت هذه العلاقات إلى اتصالات على مستوى دبلوماسى وثقافى ودينى عند اعتلاء شاه عباس الأول عرش فارس عام ١٥٨٧ م وسجلت تغييرات أساسية فى البلاد وفى علاقتها مع الغرب ، وكان من نتائج التحول السياسى الذى أحدثه شاه عباس بعد أن غص بلاطه بالمبشرين والقسيسين فضلا عن التجار والدبلوماسيين والجنود والمرتزقة أن بنى الغربيون الكنائس فى إيران [(١)] .

وعمل الصفويون على تحويل الحجاج الإيرانيين من مكة إلى مشهد وقد حج الشاه عباس الصفوى سيرا على الأقدام من أصفهان إلى مشهد زيادة فى تقديسه لضريح الإمام « على الرضا » ليكون فى عمله هذا قدوة للإيرانيين ، ومنذ ذلك العهد أصبحت مشهد مدينة مقدسة عند الشيعة الإيرانيين » [(٢)] .

والواقع أن الصفويين أقاموا دولة فارسية باطنية وحاربوا المسلمين من أهل السنة فى إيران وتعاونوا مع أعداء الإسلام كالإنجليز والبرتغال وشجعوا لأول مرة بناء الكنائس وأطلقوا العنان للمبشرين والقسيسين يفسدون فى بلاد المسلمين وليرفعوا رايات الشرك والإلحاد ، وكانت الدولة الصفوية تهدف أساسا إلى القضاء على السنيين تماما .

* * *

---

(١) إيران فى الحضارة ص ١٠٠ سليم واكيم .

(٢) إيران تاليف حسن محمد جوهر ومحمد مرسى أبو الليل ص ٧٦ .

دور الشيعة فى نكبة العالم الإسلامى المعاصر

إن الأحداث والأزمات التى مر بها العالم الإسلامى فى تاريخه الطويل تؤكد أن الشيعة قد قاموا بالدور الخطير فيها وكانوا وراء تلك النكسات التى عانت منها الأمة الإسلامية بشكل مباشر ، وهم مسئولون عن الخلافات والأزمات والمذابح المروعة التى يشهدها العالم الإسلامى المعاصر كل يوم .

ويؤكد التاريخ أن الحكومات التى أقامتها الشيعة عبر العصور كانت تعمل جاهدة على إخضاع الدول والحكومات السنية لسيطرتها وصبغها بالمذهب الشيعى حتى يكون العالم الإسلامى كله تحت قبضتها ، وإن الشيعة مايزالون يفعلون ذلك حتى يتحقق هدفهم المنشود كما نشاهده فى عصرنا الحاضر من الحروب الطاحنة باسم الإسلام وإن كان ظاهرا عملا بالتقية التى يعدونها ركنا من أركان دينهم وعنصراً مهما لتنفيذ مخططاتهم ولم يتخل الشيعة فى وقتنا الحاضر عن هدفهم المرسوم ؛ بل نلاحظ فى موقفهم التعنت والتصلب الذى وضع العالم الإسلامى فى موقف خطير الذى يحتاج لمعالجته فوراً وإلا فنلاحظ فى المستقبل القريب التحول الخطير فى العالم الإسلامى ويتأثر منه بدون شك دول العالم بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

إن مشاكل اليوم التى تعانى منها الأمة الإسلامية بأسرها وهى سياسة إيران التوسعية والعدوانية التى اتخذها الشاه منذ تولية حكمه ثم سياسة « الآيات » الذين تولوا الحكم بعد طرده .

جدير بالذكر أن الشاه قد قام باحتلال الجزر العربية بعد انسحاب الإنجليز من الخليج فى عام ١٩٧١ م وهى أبو موسى قرب الشارقة وطنب الكبرى قرب رأس الخيمة وطنب الصغرى التى تبعد ٨ أميال عن طنب الكبرى ، وأعلن الشاه عن أهدافه التوسعية بكل صراحة فقال : « إيران يجب أن تبنى مستقبل خططها العسكرية على الخليج » وأضاف قائلا : « نحن لا نرغب فى أن تخرج قوات من الخليج الفارسى على زعمه لتحل محلها قوات أخرى ولا شك أن أمرًا كهذا لن يحدث وسيكون ضمان حرية الملاحة فى هذه المنطقة منوطاً بنا ، ونحن قادرون على إنجاز التزاماتنا » [١] .

---

(١) الأهمية الاستراتيجية للخليج العربى ص ٤٦ للدكتور الفيل .

وفى ٢٠/١٠/١٩٧٩م أجرت صحيفة الأنباء حوارا مع الدكتور « شابوربختيار » رئيس وزراء إيران فى عهد الشاه وعند ماسألت الصحيفة بختيار عن الجزر العربية المحتلة زعم أنها ليست عربية وأنه لا مالك لها ، كما رفض الاعتراف بحق الأكراد وعرب إيران والبلوش فى الاستقلال الذاتى ضمن دولة إيران .

أدلى (بختيار) بهذه التصريحات فى وقت عصيب بالنسبة له ومن مصلحته أن يداهن فيه الدول العربية المجاورة لإيران التى أغضبتها ثورة الخمينى ، ولكنه أبى أن يأخذ بالتقية فحرص على الوضوح والصراحة وهو فى حالة الضعف ، إن الشاه محمد رضا البهلوى قد أقام علاقات وثيقة مع إسرائيل لتحقيق أهدافه التوسعية على حساب الدول العربية المجاورة حيث إنه اعترف بإسرائيل فى عام ١٩٤٨ م ولم تنقطع هذه العلاقات إلا فى عهد « مصدق » وعادت العلاقات إلى سابق عهدها بعد رحيل وزارة مصدق وعاد الشاه يقيم مع إسرائيل أوثق العلاقات ، لقد قبل سفيرها « دوريل » فى بلاطه وفتح لها أوسع المجالات ، ففى إيران جيش عرمرم من الخبراء اليهود يعملون فى الجيش والأمن فى بلاط الشاه ، ويكفى أن نعلم أن فى وزارة الزراعة وحدها أكثر من « ٢٠٠ » مهندس زراعى ، ولليهود شركات ومؤسسات واسعة الانتشار وتشكل ثقلا اقتصاديا فى العاصمة طهران ، وإن الشاه كان يوجد عنده ضغينة للإسلام وفى نفس الوقت كان يرغب فى إحياء أمجاد الفرس وكان يردد وبكل مناسبة بأنه يريد أن يكون شعبه إيرانيا قبل كل شىء وكان يرى مبادئ الدين المجوسى كافية لإسعاد البشرية .

وقال الدكتور موسى الموسوى : وإن من يزر الشاه فى مكتبه الخاص لابد أن يرى تلك اللوحة الذهبية التى كتبت عليها العبارات الثلاث أى مبادئ زرادشت المعروفة (الفكر الحسن والعمل الحسن والقول الحسن) .

وقد وضعت على جانب من مكتبه يسعد بقراءتها فى كل صباح »[(١)] .

وحاول الشاه بعث عادات وتقاليد وأعراف الساسانيين من جديد وفى الوقت نفسه حارب واضطهد الأقليات غير الفارسية فى إيران كالعرب والأكراد والتركمان والبلوش .

---

(١) إيران فى ربع قرن للدكتور موسى الموسوى ص ٢٠٤ .

وقد كان الشاه يرغب طوال فترة حكمه فى إقامة الإمبراطورية الساسانية على حساب الدول العربية المجاورة ، ومن ثم نرى أن إيران أعلنت فى ١٩٥٧/١١/١١ م إلحاق البحرين بالتقسيمات الإدارية لإيران معتبرة إياها المحافظة الرابعة عشرة ، وفى عام ١٩٥٨ م خصصت إيران مقعدين فى برلمانها للبحرين شغلهما عبد الله الزبرة وعبد الحميد العليوات ، وهما من الإيرانيين الذين بليت بهم البحرين .

ونجحت إيران فى منع البحرين من الاشتراك فى منظمة الدول المنتجة للبترول (الأوبك) ودأبت على عدم الاعتراف بجوازات السفر الصادرة من البحرين ، وإذا دخل البحرانى إلى إيران يسحب منه جواز سفره ويعطى إشارة مرور داخلية ومازالت البحرين تتعرض للضغط الإيرانى حتى ١٩٧١/٨/١٤ م حيث أثبت الاستفتاء الشعبى رغبة البحرانيين فى الحصول على الاستقلال وصادق مجلس الأمن على نتائج الاستفتاء وقبلت به إيران ولكنها كانت تتطلع إلى بديل آخر حيث إنها احتلت فى ١٩٧١/١١/٣٠ م ثلاث جزر عربية تحت الحماية البريطانية وهى : طنب الكبرى ، وطنب الصغرى ، التابعتين لإمارة رأس الخيمة ، وجزيرة أبو موسى ، التابعة لإمارة الشارقة ، وشرّد سكان هذه الجزر إلى إمارات ساحل عمان .

واحتلال إيران لهذه الجزر الثلاثة بعد ثلاثة أشهر من تنازلها عن المطالبة بالبحرين ، ودليل ظاهر على أن إيران استبدلت صفقة بصفقة أخرى ، علماً بأن احتلالها لهذه الجزر جاء قبيل انسحاب بريطانيا من الخليج بثمان وأربعين ساعة فقط .

وهناك جزر عربية أخرى استولت عليها إيران دون أن يثير استيلاؤهم أية رد فعل ومنها جزيرة (صرى) الواقعة بين أبو ظبى والشارقة فى ١٩٦٤ م ، وشيدوا فيها مطارًا حربيًّا مهمًّا ، وجزيرة « هنجام » القريبة من رأس الخيمة فى عام ١٩٥٠ م ، وكان حاكمها أحمد بن عبيد بن جمعة المكتوم وعدد سكانها ستة آلاف نسمة لجأ بعضهم إلى رأس الخيمة ، والباقى إلى دبى والبحرين ، واحتلت إيران كذلك جزيرة : « الغنم » التابعة لعمان لأنها واقعة على مضيق هرمز ، وتطالب بثلاث جزر فى الكويت ، وترى أن حدودها مع العراق والكويت والسعودية ليست نهاية ، وفى عام ١٩٦٦ م جرت

محادثات بين إيران من جهة والسعودية والكويت من جهة أخرى ، من أجل الجرف القارى ، والجزر الكويتية التى تطالب بها [١] .

وأما بالنسبة للعراق فإن الشيعة يعتبرون عليها حقًّا وراثيًّا ، وهذا الزعم قد يقوم على بعض المفاهيم الخاطئة والشائعة لديهم ، حيث إنهم يرون بأن أراضى العراق مقدسة لوجود بعض المزارات لأئمتهم : كقبر على بن أبى طالب رضى الله عنه فى النجف ، وقبر الحسين فى كربلاء ، ومن ثم أنهم يعتقدون بأن الحج إليها أفضل من الحج إلى مكة المكرمة ، بالإضافة إلى ذلك يرون بأن نسبة الشيعة فى العراق أكثر من ٧٠٪ ومع ذلك فهم محرومون مضطهدون فى ظل الأنظمة السنية ، وعلى شيعة العراق أن يتحرروا من القيادة السنية التى تحكم به منذ عصور طويلة ، وكذلك إن تاريخ العراق متداخل مع تاريخ الفُرس لأن الأكاسرة كانوا يعتقدون بأن العراق امتداد طبيعى لبلادهم ، ويرون أن العرب ضعاف أذلة لم يخلقهم الله إلا لخدمة الفُرس ، ولذلك نلاحظ أن إيران قد جعلت هدفها الأساسى على طول الخط : إثارة الفتن والبلبلة فى داخل العراق لإضعاف الجهة الداخلية فيه حتى يمكنها أن تحتل العراق بكل سهولة ، وإن سياسة إيران التى اتخذتها حاليا نحو العراق تؤكد صحة هذا .

* * *

---

(١) أضواء على الخليج العربى للدكتور إبراهيم الشريفى .

الثورة الإيرانية وتطلعها لإقامة
الإمبراطورية الشيعية فى العالم الإسلامى

إن المسلمين فى العالم الإسلامى كانوا يعقدون آمالاً على الثورة الإيرانية التى جاء بها مجموعة من « الآيات » وعلى رأسهم : الإمام الخمينى للقضاء على التعصب الفكرى والطائفى الذى يعدّ مظهراً من مظاهر الشيعة ، وكان يتوقع منه القيام بدور فعال فى اتحاد المسلمين ، وكذلك الإصلاح لتلك الفساد الذى أزال مجد الإسلام والمسلمين ، وإن التاريخ الإسلامى كان ينتظر منه لبداية صفحة جديدة فى تاريخه ، على أساس التجاوز عن الخلافات القديمة تمهيداً لرحلة جديدة .

ولكن مع الأسف الشديد أن المسلمين قد خابوا فى آمالهم ، حيث إنهم وجدوا الإمام الخمينى مردداً تلك النغمة التى كان يرددها أسلافه ، حيث أنه أعرب عن عقائده الشيعية بكل قوة ، فى كتابه بعنوان : « الحكومة الإسلامية » وأن نظريته نحو الأئمة لا تختلف عن علماء الشيعة الذين سبقوه ، والتى تقوم على أفضلية الأئمة من الأنبياء ، والرسل ، والملائكة ، وأن مكانتهم لا تقل عن مكانة الألوهية .

وكتابه بعنوان « كشف الأسرار » باللغة الفارسية مليىء بالطعن فى أصحاب النبى ﷺ بصفة عامة ، وفى الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم أجمعين بصفة خاصة .

وإن الخمينى لم يقم بالطعن فيهم فقط بل إنه قام بالسب فى شأنهم وأورد فيه بعض العبارات بخصوص أصحاب النبى ﷺ التى لا يقبلها العقل السليم ، ولا الفكر الصحيح ، وقبل أن نتحدث عن أفكار الخمينى من واقع مؤلفاته التى تكشف لنا عن تعصبه الطائفى ، وعن موقفه العدائى نحو أصحاب النبى ﷺ من الأفضل أن نتحدث عن أهداف الثورة الإيرانية والتى تقوم على التعصب الدينى والطائفى ، وكذلك الحقد الصريح نحو أهل السنة والجماعة كما يتضح من دستور الثورة الذى وضعه مجموعة من الآيات ، وعلى رأسهم الإمام الخمينى ، إن المادة الثانية عشر من الدستور الإيرانى تقول : « إن الدين الرسمى لإيران هو الإسلام والمذهب الجعفرى الإثنى عشرى . وهذه المادة غير قابلة للتغيير إلى الأبد .

وورد فى المادة الثانية من دستورهم أن الجمهورية الإسلامية نظام يقوم على الإمامة والقيادة المستمرة ، ثم يذكرون أن هذا النظام يقوم على أساس الكتاب وسنة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين » .

إن الفقرات التى وردت فى دستور الثورة الإيرانية تكشف لنا بأن « الآيات » قد وضعوا المذهب الجعفرى لدولتهم ، وإن نظامهم يقوم على أساس سنة المعصومين والإيمان بالمعصومين ركن فى عقيدتهم ، ومن أنكر ركنا من الأركان ليس مسلما ، فنحن عندهم لسنا بمسلمين لأننا لا نؤمن بعصمة الأئمة .

إن هذا التعصب والحقد الشديد قد دفع « الآيات » إلى شن هجوم شامل على العراق ، وذلك لقيام الامبراطورية الشيعية على أنقاض العالم الإسلامى .

إن سياسة الاستيلاء على الخليج وابتلاعه ليست مرتبطة بشاه إيران وحده ، بل إن هذه النزعة التوسعية على حساب العالم الإسلامى كانت سائدة فى جميع الحكومات الفارسية السابقة التى كانت تحلم بقيام الإمبراطورية الشيعية ، وإن « الآيات » ليسوا مختلفين فى هذا الاعتقاد عن سلفهم مطلقا ، كما يتضح من التصريحات التى صدرت من قِبَل « الآيات » وكذلك الأعمال العدوانية ضد العراق التى اتخذتها الثورة الإيرانية منذ نشأتها .

إن هذه السياسة العدوانية المدمرة من قِبَل « الآيات » قد قامت بإفشال جميع المساعى الحميدة التى قامت بها الدول المحبة للسلام وذلك لإيقاف هذه الحرب المدمرة ، ووضع تسوية سلمية للنزاع ، ولكن « الآيات » غير راضين بوقف اعتدائهم على العراق والإنصات لصوت العقل والإنسانية ، بل إنهم مستمرون فى سياستهم العدوانية التى لا تجلب إلا الخراب والدمار ولكن يا للأسف بعقول « الآيات » التى تعيش فى وادى الوهم والخيال غير راضية أن تخرج إلى عالم الحقيقة .

والواقع أن السياسة الجنونية التى انتهجها « الآيات » ترجع إلى العوامل النفسية التى كونت شخصيتهم حيث إنهم لاقوا معاملة قاسية فى عصر الشاه التى أدت إلى مصادرة ممتلكاتهم وطردهم من البلاد حيث قضوا عنفوان شبابهم لاجئين خارج وطنهم .

وإن هذه المعاملة القاسية لعبت دوراً سلبياً فى تكوين شخصيتهم فلما تمكنوا من السلطة نسوا حقيقتهم وزعموا أن ثورتهم شاملة ومثالية التى لا مثيل لها فى تاريخ البشر وستفجر دول الخليج والعراق كما ورد فى تصريحات « الشهيد » (١) .

« ولذلك فإن الثورة الإسلامية فى إيران ليست إلا الشرارة الأولى التى سوف تفجر كل المنطقة » (٢) .

ويقول رئيس مجلس الخبراء الدستورى المدعو آية الله حسن منتظرى « سنصدر ثورتنا إلى دول الخليج والعراق » (٣) .

والواقع أن الأعمال الإجرامية التى نشاهدها من قبل حكام الثورة ليست إلا نتيجة الحقد والضغينة التى دفعتهم إلى أخذ الثأر من الداخل والخارج حيث إنهم قاموا بإعدام الألوف من كبار الشخصيات الإيرانية فى خلال الشهور الأولى منذ قيام الثورة ثم هجومهم المدمر ضد العراق الذى يحمل فى طياته بذور التوسع والذى يلوح بشكل أكثر وضوحاً فى الهجومات الأخيرة تمهيداً لقيام الإمبراطورية الشيعية التى كان يحلم بها أسلافهم ، ثم تنافسهم الشديد للحصول على الأضواء مثل النجوم اللامعة فى السينما والمسرح ، إن هذه تشير إلى العقلية المريضة للآيات وتكوين شخصياتهم التى تقوم على مركب النقص .

* * *

(١) الشهيد منشورات دورية تصدرها حركة التحرير الإسلامية فى إيران .

(٢) الشهيد العدد ١٢ فى ١٩٧٨/١٢/١٢م .

(٣) نقلا من كتاب بعنوان « وجاء دور المجوسى الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية ص ٣٦٠ دكتور عبد الله محمد الغريب .

دراسة الإمام الخمينى من خلال مؤلفاته

إن دراسة آراء الإمام الخمينى عن طريق مؤلفاته تعطى لنا فكرة بكل جلاء عن عقيدته وأفكاره . وكذلك عن تعصبه الشديد لمذهبه ، إن الخمينى ينادى بحكومة إسلامية شيعية ولا يطرق التعاون مع أهل السنة ؛ على الإطلاق بل إنه يحمل الحقد والضغينة نحوهم ونتناول هنا موقف الإمام الخمينى حول عقائد الشيعة بصورة سريعة عن طريق مؤلفاته .

غلو الخمينى فى الأئمة

إن الإمام الخمينى لا يختلف عن بقية علماء الشيعة حول موضوع الأئمة حيث إنه يرى أن منزلتهم لا تقل عن منزلة الألوهية وأن الأنبياء والرسل والملائكة ليس بإمكانهم الوصول إلى درجة الأئمة مثل قوله : « وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولانبى مرسل »[(١)] .

وجاء فى نفس الكتاب « إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تنهى جيلا خاصاً وإنما هى تعاليم للجميع فى كل عصر وإلى يوم القيامة يجب تنفيذها واتباعها »[(٢)] وقوله : « فإن للإمام مقامًا محموداً أو درجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات الكون »[(٣)] .

ويرى الخمينى أن الأئمة كانوا أنواراً قبل خلقهم وكانوا محيطين بالعرش الإلٰهى إذ يقول : « وبموجب مالدينا من الروايات والأحاديث فإن الرسول الأعظم ﷺ والأئمة (ع) كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلة والزلفى مالا يعلمه إلا الله »[(٤)]. ويعتقد الخمينى أن الأئمة غير قابلين للسهو والغفلة مثل قوله : لا نتصور فيهم السهو والغفلة .

---

(١) الحكومة الإسلامية ص ٣٥ للخمينى .

(٢) نفس المصدر ص ١١٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٥٢ .

(٤) نفس المصدر ص ٥٢ .

والواقع تقدم الخمينى خطوة عن أسلافه فى غلوه بخصوص الأئمة حيث إنه جعل الإمامة كالشهادتين يلقنها الميت قبل موته إذ يقول : « ويستحب تلقينه الشهادتين والإقرار بالأئمة الاثنى عشر » ، وكذلك يكتب على حاشية جميع قطن الكفن وعلى الجريدتين : إن فلان ابن فلان يشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا رسول الله ﷺ وآله وأن عليا والحسن والحسين - وبعد - الأئمة عليهم السلام إلى آخرهم أئمته وسادته وقادته وإن البعث والثواب والعقاب حي »[1] .

إن هذه الأقوال كلها توحى بغلو الخمينى وتطرفه فى عقيدة الأئمة حيث إنه لا يختلف عن بقية علماء الشيعة ، بل إنه سبق عن أسلافه فى هذا الصدد .

موقف الخمينى من أصحاب النبى ﷺ

إن الإمام الخمينى قد اتخذ نحو أصحاب النبى ﷺ موقفا لا يختلف عن بقية علماء الشيعة ، وهو موقف العداء والكراهية والضغينة كما يتبين من مؤلفات الخمينى حيث إنه يرى أن الحكومة الإسلامية الحقيقية كانت موجودة فى أيام رسول الله ﷺ وأيام على بن أبى طالب رضى الله عنه فقط ويتغافل عن فترة الخلفاء الراشدين الذين سبقوا عليا رضى الله عنه إذ يقول فى هذا الشأن فى كتابه « فقد ثبت بضرورة الشرع والعقل أن ماكان ضروريا أيام الرسول ﷺ وفى عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه من وجود الحكومة لا يزال ضروريا إلى يومنا هذا »[2] .

إن هذه العبارة تشير إلى تجاهل الإمام الخمينى عصر الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم الذى سبق عصر على بن أبى طالب رضى الله عنه .

ويرى الإمام الخمينى فى نفس الكتاب أنه من الواجب على العلماء أن تكون أقوالهم وفقا لأعمالهم كما يتضح من حياة الرسول ﷺ ووصيه على بن أبى طالب رضى

---

(١) نقلاً من الكتاب بعنوان « وجاء دور المجوس الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية للدكتور عبد الله محمد الغريب ص ١٩٠ .

(٢) الحكومة الإسلامية ص ٢٦ .

الله عنه ، وأنه يجرد بقية الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم أجمعين من هذه الميزة إذ يقول : « وقد كان الرسول ﷺ وأمير المؤمنين (ع) يقولون ويعملون » [(١)] ، وكذلك أنه تجاوز جميع حدود الأخلاق والأدب فى سبه وشتائمه لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ يقول أنه كان زنديقاً [(٢)] « معاذ الله » وألصق به التهمة أنه أحرق بيت رسول الله ويرى بأن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد أشهرا إسلامهما فى جلب المنفعة الدنيوية وحصولا على السلطة ومن ثم قاما بتشكيل حزب قوى لتحقيق أهدافهما الدنيوية بعد وفاة النبى ﷺ مباشرة وأنهما كانا يخالفان الأحكام الإلٰهية بدون تردد وبكل سهولة حيث قاما بشطب الآيات التى وردت فى حق ولاية على بن أبى طالب رضى الله عنه وأنهما كانا ينسبان إلى النبى ﷺ حديثا زوراً مثل قولهما بأن انتخاب الإمامة والخلافة يتم عن طريق الشورى ومن ثم قاما بعزل على بن أبى طالب رضى الله عنه عن منصب الإمامه رغم أن القرآن ينص على إمامته ولو لم تتحقق رغبتهما الدنيوية لكان قريبا منهما أن ينضما إلى فريق أبى جهل وأبى لهب للقضاء على صرح الإسلام معهم ، ويرى أن عثمان ومعاوية ويزيد كانوا ظالمين ومجرمين ، ويبدى موقفه عن بقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بأنهم قد انضموا إلى حزب أبى بكر وعمر إمّا طمعا لتحقيق رغباتهم الدنيوية أو خشية منهما » [(٣)] .

ويصرح الخمينى بالطعن فى الصحابة فيهم الصحابى سمرة بن جندب رضى الله عنه بأنه يضع الأحاديث على رسول الله ﷺ إذ يقول : « ففى الرواة من يفترى على لسان النبى (ص) أحاديث لم يقلها ولعل راوياً بن جندب يفترى أحاديث تمس من كرامة أمير المؤمنين » [(٤)] وأنه يحمل حقدا وكراهية نحو أصحاب النبى ﷺ بصفة عامة ولكنه قد جعل هدف طعنه خاصا لمعاوية رضى الله عنه إذ يقول معلقاً عنه « وقد حدث مثل ذلك فى أيام معاوية فقد كان يقتل الناس على الظنة والتهمة ويحبس طويلا وينفى من البلاد ويخرج كثيرا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » ، ويقول عن

---

(١) الحكومة الإسلامية ص ٧١ .

(٢) كشف الأسرار ص ١١٩ للخمينى .

(٣) نفس المصدر ص ١٢٠ .

(٤) الحكومة الإسلامية ص ٧١ .

حكومة معاوية رضى الله عنه « ولم تكن حكومة معاوية تمثل الحكومة الإسلامية أو تشبهها من قريب ولا بعيد »[١] ويرى الخمينى بأن معاوية رضى الله عنه استحق لعنة الناس فى الدنيا وعذاب الله فى الآخرة ، كما جاء فى كتابه « معاوية ترأس قومه أربعين عاماً ولكنه لم يكسب لنفسه سوى لعنة الدنيا وعذاب الآخرة »[٢] .

إن هذه الأقوال تكفى لإيضاح موقف الخمينى الذى اتخذه نحو أصحاب النبى ﷺ والذى لا يختلف عن بقية علماء الشيعة فى طعنهم وكراهيتهم وحقدهم تجاه أصحاب النبى ﷺ .

* * *

(١) نفس المصدر ص ٧١ .

(٢) نفس المصدر ص ٣٥ .

موقف الخمينى من القرآن الكريم

قد تحدثنا فى الباب الثالث حول موقف الشيعة من القرآن الكريم ، بالإضافة إلى ذلك ذكرنا فيه أن الشيعة مجمعون بوقوع التحريف فى القرآن الكريم على جميع أشكاله سواء من جهة اللفظ أو المعنى أو الإعراب ، وأن الخمينى لم يشذ عن غيرهم من الشيعة فى اتخاذ موقفه تجاه القرآن بدليل اعترافه الصريح فى الكتاب بعنوان « تحفة العوام مقبول جديد » وألصق فيه تهمة التحريف بأبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما بأنهما قاما بهذا العمل الشنيع كما جاء فى أول الكتاب المذكور « بسم الله الرحمٰن الرحيم اللهم العن صنمى قريش وجبتيهما وطاغويتهما وإفكيهما وابنتيهما اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرفا كتابك » (١) .

إن الكتاب سالف الذكر عبارة عن الاعترافات الصريحة التى قام بها مجموعة من « الآيات » بوقوع التحريف فى القرآن الكريم ، ويأتى ذكر اسم الخمينى ضمنهم وبالإضافة إلى ذلك أن الخمينى يكن احتراما كبيراً لبعض علماء الشيعة الذين يرون بوقوع التحريف ، مثل : صاحب « الكافى » الذى يرى أن القرآن محرف كما ذكره عنه الكاتبون من الشيعة كالصافى فى تفسيره (٢) ، والطبرسى لا يقل فى غلوه وتطرفه عن صاحب « الكافى » فى هذا الاعتقاد وابن بابويه المعروف « بالصدوق » الذى ورد عنه فى كتابه « الخصال » يجىء يوم القيامة ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل المصحف والمسجد والعترة ، يقول المصحف يارب حرقونى ومزقونى ... الخ » (٣) .

وفى هذا النص إشارة صريحة لاعتقاد الشيعة فى القرآن الكريم وجاء فى موضوع آخر من نفس الكتاب « ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل مسجد خراب لا يصلى فيه أهله ، وعالم بين جهال ، ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يقرأ فيه » (٤) .

---

(١) تحفة العوام مقبول جديد ص ١٨ باللغة الأردية .

(٢) تفسير الصافى ج ١ .

(٣) الخصال ج ١ ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٤) الخصال لابن بابويه .

إن هذا يوضح زعم الشيعة بأن المصحف الموجود فى وقتنا الحاضر ليس ماكان هو عند على بن أبى طالب رضى الله عنه حيث إنه قدمه إلى أبى بكر رضى الله عنه بعد وفاة النبى ﷺ ، ولكنه رفضه قطعيا كما جاء فى أساطيرهم ، وجدير بالذكر أن هؤلاء علماء الشيعة الذين أسلفت ذكرهم قد احتلوا مكان التقديس والاحترام عند جميع علماء الشيعة وعلى رأسهم الخمينى الذى استفاد واستمد كثيراً منهم فى مؤلفاته بدليل أن مؤلفات الخمينى مشحونة بأقوالهم وآرائهم ، ومن ثم فإن هذا التقدير الذى يكن الخمينى لعلماء الشيعة الموضح ذكرهم أعلاه قد دفعه إلى التمسك باعتقادهم الخاص بوقوع التحريف فى القرآن الكريم .

الخلافة الإسلامية فى نظر الخمينى

إن الخلافه الإسلامية لها دور كبير فى نشر الإسلام ومجده فى عصور مختلفة بالإضافة إلى مواقفها الجليلة التى قدمتها للمجتمع الإنسانى والتى لا ينكرها إلا من يجهل التاريخ الإسلامى أو من يحمل لها حقدا وضغينة تحت تأثير التعصب الدينى والسياسى ، وإن الخمينى ينظر إلى الخلافة الإسلامية بمنظار التعصب والكراهية والحقد بدون مبرر واضح ، وطعنه فى الخلافة الإسلامية يوحى إلى نظرته الضيقة نحوها حيث إنه يطالب بتكوين حزب أو جماعة تطالب بالثأر والانتقام من السنيين الذين أبعدوا الشيعة عن الحكم والسلطة فى حقب التاريخ الإسلامى على حسب زعمهم ، ومن ثم نرى أنه قام باتخاذ جميع الوسائل الممكنة لتشويه التاريخ الإسلامى مثل زعمه بأن الحكومة الإسلامية لا توجد إلا فى أيام الرسول ﷺ أو فى عهد الإمام أمير المؤمنين [١] ، ومن هنا يرفض عصر الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم أجمعين وكذلك الحكومات الإسلامية الأخرى فى العصور المختلفة فى حقب التاريخ الإسلامى ، ويبدى الخمينى حزنه وألمه بأن لم تحن الفرصة لأئمته لتولية الحكم « ولم تسنح الفرصة لأئمتنا للأخذ بزمام الأمور وكانوا بانتظارها حتى آخر لحظة من الحياة ، فعلى الفقهاء والعدول أن يتحينواهم الفرص وينتهزوها من أجل تنظيم وتشكيل حكومة رشيدة » [٢] ، ويرى أن الخلافة الراشدة

---

(١) الحكومة الإسلامية ص ٢٦ للخمينى .

(٢) الحكومة الإسلامية ص ٥٤ للخمينى .

أو غيرها من الحكومات الإسلامية الأخرى كانت منافية لمبدأ الإسلام إذ يقول « فى صدر الإسلام سعى الأمويون ومن يسايرهم لمنع استقرار حكومة الإمام على بن أبى طالب ، وبمساعيهم البغيضة تغير أسلوب الحكم ونظامه وانحرف عن الإسلام لأن برامجهم كانت تخالف وجهة الإسلام فى تعاليمه تماماً ، وجاء بعدهم العباسيون ونسجوا على نفس المنوال ، وتبدلت الخلافة وتحولت إلى سلطنة موروثة ، واستمر ذلك إلى يومنا هذا » [١] .

إن هذه العبارة تكشف لنا عن حقيقة موقفه الذى يحمله تجاه الخلافة الإسلامية .

* * *

(١) نفس المصدر ص ٣٢ .

موقف الخمينى نحو أهل السنة والجماعة

إن الشيعة يرون أن أهل السنة والجماعة لا نصيب لهم فى الإسلام وأنهم مرتدون ومغتصبون ، ومن ثم أباحوا لأنفسهم الطعن فى حقهم وأن الشتيمة والسب فى حق السنيين قد أصبح لديهم عملا محموداً ومن المقربات حسب زعمهم كما أشرت إلى قول الكشى نقلا عن أبى جعفر بشأن أصحاب النبى ﷺ بأنهم قد ارتدوا عن الإسلام « نعوذ بالله » إلا ثلاثة هم المقداد بن الأسود ، وأبوذر الغفارى وسلمان الفارسى [(١)] ، وجاء فى نفس الكتاب نقلا عن أبى جعفر أنه قال : « المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا وقد أشار بيده إلا ثلاثة » [(٢)] ووردت رواية أخرى عن موسى بن جعفر الإمام المعصوم السابع عندهم – أنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين حوارى محمد بن عبد الله رسول الله الذين لم ينقضوا عليه ؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبوذر » [(٣)] وإن الخمينى لم يختلف فى هذا الاعتقاد عن أئمتهم وعلمائهم حيث قام بالطعن فى أصحاب النبى ﷺ بصفة خاصة وفى بقية السنيين بصفة عامة كما تشهد كتبه ومؤلفاته .

وقبل أن نذكر اتجاهات الخمينى نحو أهل السنة والجماعة من خلال مؤلفاته لابد من الإشارة إلى مصطلح النواصب الذى وضعه علماء الشيعة لأهل السنة والجماعة والذى يطلق على كل شخص يرى تقديم الشيخين فى الولاية على على بن أبى طالب رضى الله عنه كما جاء فى « الوسائل » فى تعريف الناصبى ، ويرى هاشم الحسينى البحرانى الذى يعد من كبار علماء الشيعة ومن محدثيهم بأنه يكفى فى بغض على وبنيه تقديم غيرهم عليهم وموالاة غيرهم كما جاءت به الروايات ، ومن هنا يتضح بأن مصطلح النواصب مخصص لكل شخص ينكر أحداً من أئمتهم أو يرفض التلقى عنهم عن طريق الكافى وغيره فهو لاشك فى عداد النواصب ، وأن الخمينى قد أبدى سخطه وغيظه على النواصب وعدهم من المعلونين والمغضوبين وأحل سلب أموالهم ، وحرم ذبيحة النواصب كما جاء فى كتابه

---

(١) رجال الكشى ص ١٢ .
(٢) نفس المصدر ص ١٣ .
(٣) نفس المصدر ص ١٣ .

« تحرير الوسيلة » إذ يقول « فتحل ذبيحة جميع فرق الإسلام عدا الناصب وإن أظهروا الإسلام » [١] .

ويقول : « فلو أرسل أى كلب للصيد كافر بجميع أنواعه أو من كان بحكمه كالنواصب لعنهم الله لم يحل ماقتله » [٢] ويقول : « ولا تجوز الصلاة على الكافر بأقسامه حتى المرتد ومن حكم بكفره ممن انتحل الإسلام كالنواصب والخوارج [٣] .

ويرى الخمينى بحلة مال الناصبى إذ يقول : « والأقوى إلحاق الناصب بأهل الحرب فى إباحة ما اغتنتم منهم وتعلق الخمس به ؛ بل الظاهر جواز أخذ ماله أينما وجد » [٤] وأما زعم الخمينى بأن النواصب من الملعونين هذا ما نصه : « وأما النواصب والخوارج لعنهم الله تعالىٰ فهما نجسان » [٥] .

إن هذه الأقوال توضح لنا موقف الخمينى الذى يحمله تجاه أهل السنة والجماعة وهو ينافى روح الإسلام والإنسانية حتى لو تظاهر بإعلان تمسكه بهما من باب التقية ولكن كتابته هذه عن أهل السنة والجماعة تفضح ما يتظاهر به على الملأ .

* * *

(١) تحرير الوسيلة للخمينى ص ١٤٦ ج ٢ .

(٢) نفس المصدر ص ١٣٦ ج ٢ .

(٣) نفس المصدر ص ٧٩ ج ١ .

(٤) نفس المصدر ص ٩١ ج ١ .

(٥) نفس المصدر ج ١ ص ١١٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مصـــادر البحـث

رتبت هذه المصادر حسب الترتيب الأبجدى لأسماء مؤلفيها ، مع اعتبار الاسم المشهور للمؤلف « فمثلا وضع ابن خلدون فى حرف الخاء وليس فى حرف العين لأن اسمه عبد الرحمن بن محمد » ومع عدم اعتبار الملحقات (ابن – ال)

(١) القرآن الكريم

(٢) ابن الأثير — الكامل فى التاريخ

(٣) أبو البركات عبد الرءوف — أصح السير باللغة الأردية

(٤) دكتور أحمد أمين — فجر الإسلام

(٥) دكتور أحمد أمين — ضحى الإسلام

(٦) دكتور أحمد أمين — ظهر الإسلام

(٧) أبو يوسف — كتاب الخراج

(٨) أبو زهرة — تاريخ المذاهب الإسلامية ج ١

(٩) دكتور أحمد شلبى — موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

(١٠) أبو الحسنات السيد عبد الله — زجاجة المصابيح ج ٥

(١١) أردبيلى — كشف الغمة

(١٢) أمين الخولى — الإمام مالك

(١٣) أحمد سلطان — تصحيف كاتبين

(١٤) أرنلد — ISLAMIC FAITH

(١٥) أرنلد — PREACHING OF ISLAM

(١٦) أبو داود — سنن أبى داود

(١٧) الإمام أحمد — مسند الإمام أحمد

(١٨) أبو الحسن الملطى — التنبيه والرد على الأهواء والبدع

(١٩) دكتور إبراهيم الشريفى — أضواء على الخليج العربى

(٢٠) أكبر شاه خان نجيب آبادى — تاريخ الإسلام باللغة الأردية

(٢١) أبو عمرو حمد بن عمر العزيز — رجال الكشى

(٢٢) البلازرى — فتوح البلدان

(٢٣) البغدادى : عبد القاهر — الفرق بين الفرق

(٢٤) باقر المجلسى — حياة القلوب ج ٣

(٢٥) باقر المجلسى — حق اليقين باللغة الفارسية

(٢٦) باقر المجلسى — بحار الأنوار

(٢٧) باقر المجلسى — جلاء العيون

(٢٨) البيهقى — تاريخ البيهقى

(٢٩) البزازى — مناقب الإمام أبى حنيفة ج ١

(٣٠) البزار — مسند البزار

(٣١) البحرانى — شرح نهج البلاغة ج ٤

(٣٢) بروكلمان — تاريخ الشعوب الإسلامية

(٣٣) البخارى — صحيح البخارى

(٣٤) ابن تيمية — المنتقى من منهاج الاعتدال

(٣٥) ابن تيمية — منهاج السنة ج ١

(٣٦) ابن تيمية — أحكام عصاة المؤمنين ، جمع وتقديم مروان كجك

(٣٧) ابن تيمية — الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية

(٣٨) تاج الدين السبكى — طبقات الشافعية الكبرى ج ٥

(٣٩) الترمذى — سنن الترمذى

(٤٠) ثابت بن سنان — تاريخ أخبار القرامطة

(٤١) جوستاف لوبون — حضارة العرب

(٤٢) GIBBON-EDWARD — DECLNNE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE

(٤٣) حتى – فليب — تاريخ العرب ج ١

(٤٤)	حتى	HISTORY OF THE ARABS
(٤٥)	ابن حزم	الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ٤
(٤٦)	حسين بخش	إمامت وملوكيت باللغة الأردية
(٤٧)	الحلى	منهاج الكرامة
(٤٨)	ابن الحديد	شرح نهج البلاغة ج ١
(٤٩)	حسن محمد جوهر ومحمد مرسى أبو الليل	إيران
(٥٠)	ابن خلدون	المقدمة
(٥١)	ابن خلدون	العبر ج ٥
(٥٢)	الخمينى	كشف الأسرار باللغة الفارسية
(٥٣)	الخمينى	الحكومة الإسلامية
(٥٤)	الخمينى	تحرير الوسيلة
(٥٥)	الخوارزى	جامع مسانيد الإمام الأعظم
(٥٦)	خوانسارى	روضات الجنة
(٥٧)	دويت ايم – دونالدسن	THE SHEIT RELIGION OF ISLAM
(٥٨)	DOZY	HISTORY OF ISLAM
(٥٩)	دلدار على	أساس الأصول
(٦٠)	دلدار على	عماد الإسلام
(٦١)	الرازى (فخر الدين)	نهاية العقول فى دراية الأصول
(٦٢)	رشيد أحمد الكنكوهى	هداية الشيعة باللغة الأردية
(٦٣)	الزواوى	مناقب مالك
(٦٤)	السيد زين	الشيعة فى التاريخ
(٦٥)	سفارينى (أبو المظفر الإسفارينى)	لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية
(٦٦)	السيوطى	تاريخ الخلفاء
(٦٧)	سليم واكيم	إيران فى الحضارة
(٦٨)	شبلى النعمانى	الفاروق باللغة الأردية
(٦٩)	الشهرستانى	الملل والمحل ج ٢

الرقم	المؤلف	الكتاب
(٧٠)	الشوكانى (محمد بن على بن محمد الشوكانى)	نيل الأوطار ج ٢
(٧١)	الشاه عبد العزيز الدهلوى	« مختصر التحفة الاثنى عشرية » وهذبه السيد محمود شكرى الألوسى
(٧٢)	السيد محمد حسين الموسوى القزوينى الحائرى	فدك – وحققه باقر المقدسى
(٧٣)	الشوشترى	إحقاق الحق
(٧٤)	ابن الصلاح	علوم الحديث
(٧٥)	دكتور صبحى الصالح	نهج البلاغة
(٧٦)	ابن صباغ « على بن محمد بن أحمد الشهير بابن صباغ »	الفصول المهمة فى معرفة أحوال الأئمة
(٧٧)	دكتور ضياء الدين الريس	الإسلام والخلافة فى العصر الحديث
(٧٨)	دكتور ضياء الدين الريس	النظريات السياسية الإسلامية
(٧٩)	الطبرى	تاريخ الأمم والملوك
(٨٠)	دكتور طه حسين	الفتنة الكبرى ج ١
(٨١)	الطوسى (أبو جعفر بن الحسن الطوسى)	التبيان فى تفسير القرآن ج ٨
(٨٢)	الطوسى	كتاب الغيبة
(٨٣)	الطوسى	التهذيب
(٨٤)	الطوسى	الاستبصار
(٨٥)	الطبرسى	الاحتجاج
(٨٦)	الطبرسى	إعلام الورى
(٨٧)	الطبرسى	فصل الخطاب فى إثبات تحريف كتاب رب الأرباب
(٨٨)	الطبرسى	تفسير مجمع البيان
(٨٩)	العسقلانى « أحمد بن على بن حجر العسقلانى »	فتح البارى ج ١
(٩٠)	ابن عبد البر	الاستيعاب فى معرفة الأصحاب

(٩١) ابن عساكر	تاريخ دمشق
(٩٢) الإمام عبده	رسالة التوحيد
(٩٣) عبد القادر الجيلانى	غنية الطالبين
(٩٤) عبد الله المامقانى	مقياس الهداية فى علم الدراية
(٩٥) دكتور عبد الله محمد الغريب	وجاء دور المجوس – الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية
(٩٦) العياشى (محمد بن مسعود بن عياش السلمى المعروف بالعياشى)	تفسير العياشى
(٩٧) ابن عبد ربه	العقد الفريد
(٩٨) دكتور الفيل	الأهمية الاستراتيجية للخليج العربى
(٩٩) ابن قتيبة	الإمامة والسياسة
(١٠٠) القشيرى « محمد تقى القشيرى »	قاموس الرجال
(١٠١) القرطبى (أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى)	تفسير القرطبى ج ١
(١٠٢) ابن القيم	بدائع الفوائد
(١٠٣) القمى (على بن إبراهيم القمى)	تفسير القمى حققه السيد طيب الموسوى
(١٠٤) القمى (ابن بابويه القمى الملقب بالصدوق)	من لا يحضره الفقيه
(١٠٥) القمى ابن بابويه القمى الملقب بالصدوق)	كتاب الخصال
(١٠٦) القمى ابن بابويه القمى الملقب بالصدوق)	الأمالى
(١٠٧) القمى	الخصال
(١٠٨) ابن كثير	اختصار علوم الحديث
(١٠٩) ابن كثير	البداية والنهاية
(١١٠) الكلينى	روضة الكافى
(١١١) الكلينى	الكافى
(١١٢) الكلينى	أصول الكافى

(١١٣) الكشى — معرفة أخبار الرجال
(١١٤) الكاشانى (فيض الكاشانى) — تفسير الصافى
(١١٥) دكتور ليبان — الحضارة العربية
(١١٦) لين بول — SELECTION FROM THE QURAN
(١١٧) المقريزى — إمتاع الأسماع
(١١٨) محمد الحسين آل كاشف الغطاء — أصل الشيعة وأصولها
(١١٩) محمد حسين الزين — الشيعة فى التاريخ
(١٢٠) محمد حسين المظفرى — تاريخ الشيعة
(١٢١) محسن الأمين — أعيان الشيعة
(١٢٢) محمد الخضرى بك — أصول الفقه
(١٢٣) موسى جار الله — الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة
(١٢٤) موسى بن عقبة — مغازى
(١٢٥) محمد الصدر — تاريخ الغيبة الصغرى
(١٢٦) المفيد — الإرشاد
(١٢٧) ابن ماجه — سنن ابن ماجه
(١٢٨) الملا مقبول — مقبول قرآن شريف الأردية
(١٢٩) دكتور مصطفى السباعى — السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى
(١٣٠) موسى كاظم نورس — كلشن خلفاء
(١٣١) دكتور موسى الموسوى — إيران فى ربع قرن
(١٣٢) النوبختى (أبى محمد الحسن ابن موسى النوبختى) — فرق الشيعة صححه وعلق عليه السيد محمد صادق
(١٣٣) نعمة الله الجزائرى — أنوار النعمانية
(١٣٤) نكلسن — HISTORY OF THE ARAB
(١٣٥) إين ناهالستر — الشيعة فى الهند ج ١ باللغة الإنجليزية
(١٣٦) ابن النديم — الفهرست
(١٣٧) النووى — فتاوى الإمام النووى بالمسائل المنثورة — وقام بترتيبه الشيخ علاء الدين بن العطار

(١٣٨) السيروليم ميور — « الخلافة قيامها وزوالها » الكتاب مترجم باللغة الأردية من الإنجليزية

(١٣٩) السيروليم ميور — LIFE OF MOHAMMAD

(١٤٠) وهرى — COMMENTRY OF THE QURAN

(١٤١) WELLS — ASHORT HISTORY OF THE MIDDLE EAST

(١٤٢) ابن هشام — سيرة النبى ﷺ

(١٤٣) دكتور يوسف العش — تاريخ عصر الخلافة العباسية

الدوريـــــات

(١٤٤) جريدة المدينة ١٠ جمادى الأولىٰ لعام ١٤٠٥ هـ

(١٤٥) جريدة جنك باللغة الأردية الصادرة من كراتشى باكستان فى نوفمبر لعام ١٩٨٢ م

(١٤٦) مجلة « نئى دنيا » باللغة الأردية الصادرة من دلهى الهند فى ٤ إبريل لعام ١٩٨٤ م .

(١٤٧) مجلة « الشهيد » تصدرها حركة التحرير الإسلامية فى إيران العدد ١٢ فى ١٩٧٨/١٢/١٢ م .

* * *

محتويات البحث

الموضوع	صفحة
المقدمة	**5**
تمهيد	**11**
موقف اليهود من الإسلام إبان ظهوره	١١
مرض النبى ﷺ ووفاته	١٩
خلافة أبى بكر رضى الله عنه	٢١
خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه	٢٧
عهد الشيخين يقضى على مخططات أعداء الإسلام	٢٩
وضع دار الخلافه بعد الشيخين رضى الله عنهما	٣٠

الباب الأول

الموضوع	صفحة
نشأة الشيعة	٣٣
ظهور عبد الله بن سبأ	٣٥
عبد الله بن سبأ بين الحقيقة والخرافة	٣٦
عبد الله بن سبأ فى مصادر الشيعة	٣٨
ذكر عبد الله بن سبأ فى كتب المستشرقين	٤٠
ذكر عبد الله بن سبأ فى كتب أهل السنة والجماعة	٤٣
أسباب إنكار وجود شخصية عبد الله بن سبأ	٤٥
أفكار عبد الله بن سبأ	٤٨
طعن عبد الله بن سبأ فى عقيدة التوحيد	٤٨
طعن عبد الله بن سبأ فى نبوة محمد ﷺ	٥٠
محاولة إثبات نظرية الرجعة عند عبد الله بن سبأ	٥٢

الموضوع الصفحة

الباب الثانى

الموضوع | الصفحة

* * *

مؤلفات الكاتـب

(١) الحركات المناهضة للإسلام .
(٢) أباطيل القاديانية فى الميزان .
(٣) الجزية فى الإسلام ومقارنتها بالنظام المالى عند الرومان والفرس .
(٤) العلاقات السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية .
(٥) الحج والزيارة باللغة الأردية .
(٦) الشيعة فى الميزان (هذا الكتاب) .
(٧) الشيوعية فى الميزان (تحت الطبع) .

* * *

(ABOUT THE AUTHOR)

1. He is the decendant of a well-known Indian learned religious family that has the great honours of serving Islam for generations

2. He has obtained the ALMIA degree from faculty of DARUL - ULOOM , **NADWATUL - ULMA LUCKNOW,** and a diploma in **FAZIL - TAFSEER** from Lucknow University im fitst division.

He has also obtained the B.A. Honr's, M.Phil.

(Faculty of Arts & Darul-Uloom) from Cairo University with excellent degree, also obtained phd. & D. Lit degree from Lucknow University in India.

3. He is an author of a number's of books and innumberable subjects serving the Islamic Society and dealing with its problems-

He was also the editor in chief of «AL ISLAH» magazine issued by the Student Union of Dar-Al-Uloom from NADWATUL-ULMA, LUCKNOW, INDIA.

(نبذة عن المؤلف)

(١) ينتمى إلى أسرة علمية دينية معروفة فى الهند التى لها شرف عظيم فى خدمة الإسلام لعدة أجيال .

(٢) حصل على شهادة عالمية من كلية دار العلوم ندوة العلماء لكناو – الهند ودبلوم فى التفسير من جامعة لكناو / الهند بتقدير جيد جدا ونال شهادتى – الليسانس والماجستير من كليتى الآداب ودار العلوم من جامعة القاهرة بتقدير ممتاز ثم شهادتى الدكتوراه فى الفلسفة والآداب من جامعة لكناو / الهند .

(٣) ألف عدة كتب، وكتب العديد من المقالات التى تخدم المجتمع الإسلامى وتعالج قضاياهم وكان رئيس التحرير لمجلة « الإصلاح » التى يصدرها اتحاد طلبة دار العلوم ندوة العلماء لكناو / الهند .